قطة على نار

١٢

مسرحيات عالمية

نصف شهرية

قطة فوق سطح صفيح ساخن

ابو كبب

تأليف :

تنيسى وليامز

ترجمة وتقديم :

د. محمد سمير عبد الحميد

أقرتها لجنة المسرح العالمي

المسرح العالمي
هيئة الاذاعة والمسرح والموسيقى
الدار القومية للطباعة والنشر
الثقافة والارشاد القومي

قطة على نار

بقلم تنيسي وليامز

ترجمة وتقديم

الدكتور محمد سمير عبد الحميد

A CAT ON A HOT TIN ROOF

By

TENNESSEE WILLIAMS

تقديم

للمسرحية المنشورة فى هذا العدد ترجمة ، أو ترجمتان سابقتان . وقد عثرت على احداهما بعد عنت ومشقة لطول العهد بصدورها . وطباعتها رديئة بلاشك . ومع ذلك فقد أحسست وأنا أقرؤها باجتهاد المترجم ورسوخ قدمه فى الأساليب العربية . ولكن يبدو أنه فهم أن الإنجليزية الإمريكية والإنجليزية البريطانية لغتان متطابقتان فى اللفظ متفقتان فى المعنى تمام الاتفاق والانطباق . وهذا خطأ لا يعرف مداه الا اذا عقدت المقارنة بين اللهجات الإمريكية واللهجات الانجليزية ولم تقف عند حد الفصحى هنا والفصحى هناك .

وفى مسرحية «قطة فوق سطح صفيح ساخن» أو «قطة على نار» كما سميناها اختصارا أو «على أحر من الجمر» لو أخذنا بالتعريب الكامل — فى هذه المسرحية أجزاء شتى مكتوبة بلهجة امريكية موغلة فى الإغراب ، تذكرنا بالصعيدية المتعمقة . وقد حدثنى الدكتور المترجم — وفاته أن ينوه بذلك فى مقدمته — بأنه كثيرا ما استعان عليها بأساتذه امريكيين لحل ألغاز الإمريكية الجوانية . وفى حالة أو حالتين استغلق المعنى حتى على هؤلاء لأنهم كانوا من الشمال أو من الغرب وتنيسى وليامز من الجنوب وينطق أهل الجنوب .

ولم يكن هذا الاعتبار هو الوحيد الذى حدا بسلسلة «مسرحيات عالمية» الى التفكير فى اعادة ترجمة هذا الأثر المسرحى الجليل ، وان يكن فيه وحدة الكفاية . وانما الاعتبار الأهم هو ركن كبير أهمل من قبل وكان لابد من ظهوره لكى يعرض العمل كاملا على القراء .

فالمؤلف بعد أن فرغ من كتابة هذه المسرحية ودفع بها الى المخرج الشهير ايليا كازان وقرأها هذا الأخير وهو يتمثلها لحما ودما يتخيلها صورا وأصواتا وحركات ، اى يراها من خلال أعين المشاهدين ، أحس ايليا بهبوط فى قلب الفصل الثالث بعد الصعود الدائب فى الفصلين السابقين . فردها للمؤلف مشفوعة بوصف لما يمكن عمله ويكون من شأنه نقل الدم الى عروق الفصل الثالث واجراء النبض فيه . هذه القصة ، كما يرويها تنيس وليامز بنفسه ، يجدها القارئ منشورة بهذا العدد (٢١٧) فى صدر الفصل الثالث رقم ٢ الذى كتبه تنيس وليامز بإرشادات ايليا كازان . وهذا الفصل البديل هو الذى شاهدته الجماهير على مسارح برودواى .

أما أى الفصلين أفضل ، هذا الذى أوحى به المخرج أم ذاك الذى كان قد ارتضاه المؤلف ، وأفضل من أى الوجوه ؟ — فهذا ما أردنا أن نحتكم فيه الى قراء «مسرحيات عالمية» بنشر الصورتين معا

«مدير السلسلة

مقدمة بقلم المترجم

النهضة المسرحية فى ولايات الجنوب بأمريكا

كانت النهضة الأدبية التى قامت فى ولايات الجنوب فى منتصف القرن العشرين من أهم الظواهر فى تاريخ الثقافة الأمريكية . وقد تميزت بتنوع موضوعاتها وخصب انتاجها ولقد برز كتاب الجنوب فى هذه الفترة فى فروع الأدب المختلفة كالشعر والنثر والمسرحية ، كما تميزت كتاباتهم فى النقد والصحافة بمستوى رفيع . ولا يقل الأثر الفنى لكتاب الجنوب على الأدب الأمريكى عامة عن ذلك الأثر الذى تركته جماعة المثقفين من الكتاب الانجليز الذين استوطنوا ولاية نيوانجلند خلال القرن التاسع عشر .

ويذهب بعض النقاد إلى أن نهضة ولايات الجنوب كانت مصدر وحى والهام لكثير من الأدباء الذين وجدوا فى مجتمع الجنوب ذلك الطابع من الارستقراطية المتأصلة فى الريف — وما كانت تتميز به من الحرص على التقاليد — تلك التقاليد التى أخذت تضيع فى المجتمع الصناعى الجديد فى ولايات الشمال — كما أنهم وجدوا فى تقاليد هذا المجتمع الجنوبى وما انفرد به من عادات ومعتقدات معيناً لا ينضب لموضاعات كتاباتهم .

ويرجع الفضل الأكبر فى هذه النهضة الأدبية لجماعة من الكتاب ظهروا فى ولايتى تنيسى وكنتكى كانوا يرون أن الجنوب بطابعه الزراعى التقليدى هو الذى بوسعه أن يتصدى لتيار المادية الجارف الذى استشرى فى الشمال ، وأن

يقاوم تلك الحضارة الهمجية التى سادته وأضحت تنذر بتقويض دعائم مجتمع الجنوب فى زحفها السريع الجارف – وكان من أبرز شخصيات هذه الجماعة توماس وولف ووليم فوكنر .

وقد ساهم تنسى وليامز فى هذه النهضة عن طريق ما نشره من أشعار ومن قصص قصيرة ومقالات وعن طريق معالجته لمشاكل المجتمع الأمريكى المعاصر فى مسرحياته التى يصور فيها مجتمع الجنوب و حرص أهله على مقاومة طغيان أهل الشمال . ويبدى وليامز فى مسرحياته وكتاباته أسفه على ضياع الثقافة الارستقراطية الأصيلة التى تميز بها مجتمع الجنوب . بعد أن حلت محلها القيم المادية البغيضة – كما يبدى عطفه على تدهور الطبقة الارستقراطية فى ذلك المجتمع .

وقد اشتهر تنسى وليامز ككاتب مسرحى بعد النجاح العظيم الذى حققته مسرحيته المعروفه « هواية الحيوانات الزجاجية » التى قدمت على أحد مسارح نيويورك عام ١٩٤٥ . وكانت شهرته هذه فوزاً عظيما لجماعة كتاب الجنوب إذ أصبح كل ما يكتبه وليامز أو يقوله موضوع اهتمام النقاد والرأى العام .

تنيسي وليامز

حياته الأدبية والمسرحية

بدأ تنيسى وليامز حياته الأدبية شاعراً . وكان ذلك فى سن مبكر عندما كان طالباً فى المدرسة الثانوية ، وقد قوبلت أشعاره بالاستحسان من زملائه الطلاب ومن جماعة الشعر فى مسيسبي وتنيسى ورغم أنه ترك قرض الشعر واتجه

إلى الكتابة المسرحية فإن كتاباته لاتزال تحمل أثاراً من الطابع الشعرى يتجلى فى كثرة استخدامه للرموز فى مسرحياته مما يوحى بأنه ما زال يعتبر نفسه شاعراً. ومما لا شك فيه أن أشعاره تعكس كثيراً من خصائص أسلوبه ونظرته إلى الحياة — ويرى تنسى وليامز أن الشاعر وحده هو الذى يستطيع أن يدرك مغزى القيم الثقافية وهو وحده الذى يستطيع أن يرشد الآخرين إلى طريق الصواب.

وإذا ما استعرضنا حياة تنسى وليامز الدراسية منذ البداية نجد أنه قد تخللتها فترة انقطاع مدتها عامان قضاهما يعمل كاتباً فى شركة لصنع الأحذية — وقبل أن يحترف الكتابة للمسرح كان يكافح فى سبيل لقمة العيش فقد التحق بعدد من الأعمال البسيطة فاشتغل عاملا للمصعد فى فندق نيواورليانز، وعاملا ثم قارئاً للشعر فى أحد الأندية الليلية فى قرية جرينتش.

ورغم أن تنسى وليامز مارس كتابة الشعر والقصة القصيرة فإنه كان على يقين من أن موهبته الحقيقية هى المسرح إذ كان كل تفكيره يتجه على الدوام نحو المؤثرات البصرية والسمعية والحركية — فوق خشبة المسرح — وكان يدرك إدراكاً يقيناً أن المسرح ليس مجرد القدرة على الكتابة بل هو أكثر من ذلك، إذ يتطلب — فضلا عن الكتابة — أموراً أكثر حيوية وفعالية لاتتوفر إلا لكاتب يتمتع بالقدرة على خلق المواقف المسرحية وإلماماً تاماً بإمكانيات وظروف الإخراج والأداء المسرحى.

فى عام ١٩٤٤ فى تعليق على مسرحيته «معركة الملائكة» أكد تنسى وليامز ولياءه للمسرح كوسيلة ملائمة للاتصال بالجماهير إذ قال «لم أشك قط أن هناك الملايين من البشر الذين نستطيع أن نلتقى بهم عن طريق خشبة المسرح، فنحن نقترب من بعضنا البعض فى تؤدة وفى تعاطف، وان كان ثمة مشكلة

أو صعوبة فى التفاهم بين البشر فمرجع ذلك إلى قصور الكاتب المسرحى وليس إلى ضخامة الجماهير . فإذا ما توفر للكاتب الحب لأخوانه من البشر والأمانة لتأدية الرسالة فلابد له أن يحقق هذا التفاهم » .

ولم يمض عام على هذا التصريح حتى تم هذا اللقاء بالفعل بين تنسى وليامز وجمهوره عندما عرضت مسرحيته « الحيوانات الزجاجية » على مسرح برودواى فى عام ١٩٤٥ . إذ التقى الكاتب الشاب بجمهوره للمرة الأولى وحاز رضاه ، واعتبر النقاد هذه المسرحية أفضل مسرحية لموسم ١٩٤٤ — ١٩٤٥ ومنحوه جائزة النقاد المسرحيين بنيويورك . وفى عام ١٩٤٧ عرضت مسرحيته المعروفة « عربة اسمها الرغبة » واعتبرت أحسن مسرحية قدمت على المسرح الأمريكى بعد عدة سنوات من الركود المسرحى ، وبلغ الإعجاب بها أن منحت جائزتين من جوائز المسرح إحداهما جائزة النقاد المسرحيين والأخرى جائزة بولتيزر .

وهاتان المسرحيتان اللتان دفعتا به إلى مركز الصدارة فى المسرح الأمريكى تتشابهان فى كثير من النواحى . فالموضوع الرئيسى فيهما هو مشكلة نساء الجنوب الضائعات فى دوامة العالم الجديد واللائى يبدو لهن العالم القديم وما كن يتمتعن به فيه من مركز اجتماعى وأمن اقتصادى وكأنه الفردوس المفقود ، كما يبدو فيهما التركيز الواضح والحبكة الدقيقة التى تخلو من الحشو ، ففى كليهما يحوّل المؤلف الحقائق الصغيرة التافهة والتى لا قيمة لها إلى مواقف مسرحية ذات مغزى . بل وأحياناً إلى حوار شعرى ، ويصاحب الأحداث المسرحية فى كليهما مؤثرات من الموسيقى والرموز تلقى ضوءاً على الحالة النفسية لشخوص المسرحية .

ومن الجدير بالذكر أنه منذ حداثة عهده بالكتابة المسرحية كان قد حدد

هدفه بل وقطع شوطاً بعيداً فى سبيل تحقيقه عندما ظهرت له مجموعة من مسرحيات الفصل الواحد تحت عنوان « سبع وعشرون عربة محملة بالقطن » وضع فيها خلاصة ما اكتسبه فى حياته من خبرات وتجارب . وفى هذه المسرحيات القصيرة بلغ تنسى وليامز الذروة ككاتب مسرحى يصور قطاعات مختلفة من حياة المجتمع الأمريكى بكل ما فيها من صراعات نفسية وجموح إلى الجنس ، كما برزت فيها موهبته كشاعر وهب القدرة على تصوير أسلوب التعويض الذى يلجأ إليه المهزومين والشواذ ، ومنذ ظهور هذه المسرحيات أخذت نزعته نحو الأسلوب الطبيعى تتحدد وتتبلور . وهو القائم على قوة الملاحظة والشعور بالعطف نحو بنى البشر ، وامتلأت مسرحياته بالتفاصيل المؤلمة التى نفر منها رواد المسرح فى بوسطن فى العرض الأول ، ولكن المؤلف اعتبر هذه التفاصيل جانباً رئيسياً من الحقيقة التى اعتزم تقديمها للجماهير إذ كان يحس أن اتصاله بالجماهير لا يمكن أن يتم إلا عن طريق الفن المسرحى بكل ما يتوفر فى المسرح الحديث من مؤثرات بصرية وسمعية .

ومن الغريب فى التأليف المسرحى الحديث بأمريكا أن تنسى وليامز — شأنه فى ذلك شأن غيره من كتاب المسرح الأمريكى من أمثال أونيل وجرين وأودتس ووايلدر — قد تفتحت مواهبه أول ما تفتحت فى المسرحيات القصيرة ذات الفصل الواحد .

وخلال الخمسينات تنوعت كتابات تنسى وليامز المسرحية فى عدة اتجاهات وبدرجات متفاوتة من العمق والتركيز كما يبدو جلياً فى « هبوط أورفيوس » و « فجأة فى الصيف الماضى » ويتمثل فى هذه المسرحيات من عمق الخيال المسرحى مالم يحظ به كاتب أمريكى منذ أونيل ، وفى نفس الوقت استمر الكاتب فى الافادة من استغلال نزعته نحو الواقعية — فى مسرحيتين ناجحتين هما

« قطة فوق سطح صفيح ساخن » و « طائر الشباب » وقد حازت الأولى إعجاب جمهور المسرح عام ١٩٥٥ وذلك بفضل الحيوية المتدفقة التى تميزت بها شخوصها وقوة الاثارة فى أحداثها ، وقد أجمع رواد المسرح فى لندن على أن معالجة تنسى وليامز لموضوع الصراع من أجل الحقيقة والحياة كما صوره فى فى داخل أسرة من أسرات الجنوب فى مسرحية « قطة فوق سطح صفيح ساخن » كان عملا مسرحياً قوياً .

وتنسى وليامز لا يعتبر واحداً من المصلحين الاجتماعيين الذين سيطروا على المسرح الأمريكى فى الثلاثينات ، حتى وان كانت تجاربه الخاصة قد دفعت به فى فترة الركود إلى الثورة ضد الجنوب وتقاليده القديمة بما فيها من جمود واستسلام للهزيمة من الناحيتين السيكلوجية والاقتصادية ؛ فقد كان اهتمامه ينصب فى المكان الأول على الأفراد لا على الظروف الاجتماعية . فإن ظروف حياته الخاصة ونشأته كانت كفيلة بأن تميزه عن غيره من الكتاب الذين شغلوا بتصوير مشاكل أهل المدينة من أمثال أودتيس وارثر ميللر وليليان هيلمان الذين اعتادوا على تحليل المشاكل الاجتماعية وكانوا يعالجون مشاكل الفرد فى ضوء الظروف الاجتماعية والصراع الاقتصادى . ولو أننا قارناه بكتاب المسرحيات الهادفة إلى الاصلاح الاجتماعى الذين ظهروا فى مقاطعة تنسى ، لوجدنا أنه كان فى عزلة عن مجتمعه ؛ إذ نشأ وتربى تربية تقليدية فقد كان أبوه كما أسلفنا مديراً للمبيعات فى إحدى شركات الأحذية فى سانت لويس وكان جده لأمه قسيساً ؛ فلا غرو أن عزف عن حياة المدن وضوضائها إذ كانت تخيفه وتنفره فكره سانت لويس ولم يستطع يوماً أن يعتاد على الحياة فى نيويورك ، وكان كلما وجد فسحة من الوقت رحل إلى فلوريدا ومكسيكو والحى اللاتينى فى نيواورليانز أو إلى إيطاليا . وقد انطبع سلوكه منذ البداية

بالميل إلى العزلة والحرص على المحافظة على فرديته ، وبالفرار كلما أثقلت عليه ظروف الحياة . ولكن فراره هذا لم يكن فى العادة فراراً من شىء ما بل كان سعياً إلى شىء آخر ، سعياً إلى الخلق الفنى ، وقد وجد فى هذا النوع الغريب من الفرار الطريق إلى تحقيق ذاته .

ورغم أن تنسى وليامز قد أصبح من مشاهير الكتاب فى الأدب الأمريكى إلا أنه يعد فى الوقت ذاته من الشخصيات التى يدور من حولها جدل كبير إذ أن النقاد يختلفون إختلافاً بيناً فى تقديرهم لإنتاجه الأدبى وموضوع الخلاف فى كتاباته يدور حول ناحيتين : الناحية الخلقية والناحية الفنية أو الجمالية . فبينما يأخذ عليه بعض النقاد تركيزه البالغ على الجنس وأعمال العنف فى مسرحياته نرى البعض الآخر يمتدح جرأته على اقتحام مجاهل الدوافع التى تحرك الرغبات البشرية والتصرفات اللاارادية — الأمر الذى لم يتعرض له غيره من كتاب المسرح من معاصريه ، بل ان بعض النقاد المسرحيين يشيدون به كعبقرية رائدة وكفنان وهب قدرة خاصة على صياغة التجارب الذاتية البحتة فى صور موضوعية .

ويرى بعض النقاد أن تنسى وليامز قد ضحى بمواهبه الفنية فى سبيل ارضاء الجماهير ، هذا رغم أنهم يقدرون له اهتمامه بمشاعر الفاشلين والمغلوبين الذين يقاسون من العقد النفسية وغيرهم من ذوى الاحساس المرهف الذين وجدوا أنفسهم محاصرين فى عالم مادى يقوم على المنافسة الشديدة .

تنيسي وليامز

وعالمه الأدبي

خلق تنسي وليامز عالمه الأدبي الخاص وانفعل به وصوره في مسرحياته ، إذ كان يشعر بعاطفة قوية تشده إلى أولئك الحيارى والضائعين في دوامة الحياة الحديثة وكان يبدى عطفاً شديداً على أولئك الفاشلين الذين عجزوا عن التكيف مع الظروف التي تحيط بهم وحاول جاهداً أن يصور مأساتهم في هذا المجتمع الأمريكي المعاصر الذى تسيطر عليه الآلة وتجعل من الفرد العادى فيه شيئاً تافهاً لا قيمة له ، وكان يرى أن مشكلة هؤلاء الأفراد خليقة باهتمام كتاب المسرح ، إذ أنهم في الواقع يشكلون السواد الأعظم للمجتمع الأمريكي ، لذا نراه يقدم نماذج كثيرة من هؤلاء في مسرحياته ويحاول من خلال فنه المسرحي أن يفسر الجوانب الغامضة في تجاربهم والدوافع الخفية التي تحركهم ، وفوق هذا فإنه كان يرى في مأساة هؤلاء الأفراد و ما يعانون من كبت واضطهاد مأساة نفسه وما تعرض له من أزمات نفسية ، وهو يقول في هذا « قد يبدو للبعض أنني أكتب عن أولئك المثقلين بمتاعب الحياة ولكنني في الواقع أكتب تحت تأثير ما أعانيه شخصياً ، إذ أنني أجد في ذلك علاجاً للأزمات النفسية التي أمر بها ، وقد يكون في هذا أيضاً متنفساً لجمهور المسرح إذ يتخلصون من بعض ما يعانون من توتر ، وانى لأرجو لهم ذلك » .

ومن هنا تراه يضفى على شخوصه انطباعاته الخاصة نتيجة لما تأثر به من نظريات أو نتيجة لما تعرض له من مشاكل وأزمات ، ويردد كثيراً في مسرحياته

مشكلة الصراع بين الجسد والروح وبين التحرر والتزمت وبين الرجل المنطلق على سجيته وذلك الذى أفسدته المدنية الحديثة وهى الفكرة التى يبدو أنه قد أخذها عن د . ه . لورنس كما أنه يصور فى أشكال مختلفة نظريته عن براءة الطفولة وذلك الفساد الذى يلحق بها بعد دخولها فى تجارب الحياة الحديثة ، ويتمثل هذا واضحاً فى شخصية فال كسيفير فى مسرحيّة هبوط أورفيوس .

وكما أنه يصور القسوة والعنف فى مشاهد كثيرة فى مسرحياته فإنه يصوّر أيضاً إلى جوار ذلك كثيراً من المشاهد التى تفيض برقة المشاعر والألفة والتعاطف ، كما أنه يهتّم اهتماماً شديداً بمشكلة الجنس وهو يرى أن العلاقات الانسانية لاتبلغ حد الكمال إلا عن طريق ممارسة الحب ، لذا فإن كلمة الحياة فى نظره لاتعنى سوى الحب ، وهو يعتبر بحق حجة فى معالجة أمور الجنس فى المسرح الأمريكى الحديث إذ لا تكاد تخلو مسرحية من مسرحياته من التصدى لمشاكل الجنس وهو فى هذا يمثل التأثر الروما نتيكى الذى يريد أن يحطم ما تبقّى من جمود وتزمت فى العقلية الأمريكية .

والأمر المثير فى مسرحيات تنسى وليامز أنها تقوم إلى حد كبير على تصوير الشخوص بكل أبعادها وأعماقها بالاضافة إلى خلق المواقف المسرحية المليئة بالاثارة وإلى قوة التعبير فى الحوار المسرحى — كما تتجلى فى مسرحياته القدرة الفائقة على التلاعب بالألفاظ بغرض التأثير العاطفى .

وبفضل جرأته فى استخدام كل امكانيات المسرح الحديث استطاع أن يفتح أمامه مجالات هائلة كوسيلة للاعلام والاتصال بالجماهير وأكد فعالية الوسائل القديمة وقدرتها على الاثارة . ومن الإنصاف أن نقول أن وليامز هو أعظم كتاب المسرح الأمريكى فى منتصف القرن العشرين وإليه يرجع الفضل فى نشر الوعى المسرحى وإثارة اهتمام الجماهير بكل ما يجرى على خشبة المسرح

ونظراً لأنه لم يبلغ بعد الخمسين من عمره فمن سبق الحوادث أن نحكم بصفة قاطعة على انتاجه وفنه المسرحي . ولكننا لو حكمنا عليه بحسب انتاجه فى العشرين سنة الأخيرة لأمكن لنا القول أن احساسه المسرحي القطرى سوف يبقى مصدر القوة فى انتاجه .

(قطة فوق سطح من صفيح ساخن)..

يقول تنسى وليامز أن « لكل فنان قضية أساسية تشغل تفكيره طوال حياته وهى القوة الدافعة وراء كل انتاجه الأدبى . وبالنسبة لى كانت القضية المسيطرة على تفكيرى هى الحاجة إلى الفهم والتعاطف بين بنى البشر وثباتهم فى وجه الشدائد » . وقد اهتم تنسى وليامز بهذه القضية وصورها فى كثير من مسرحياته .

والمسرحية التى نقدمها الآن للقارىء وهى « قطةفوق سطح صفيحساخن » ، إلى حد كبير على هذه القضية . إذ هى إلى جانب ما تتعرض له من قضايا ومشاكل أخرى ، دراسة لتدهور شخصية بريك بوليت بعد أن حاصرته الشدائد ، إذ افتضح أمر علاقته المريبة بصديقه سكبر ، ورأى نفسه عاجزاً عن فهم ظروف المجتمع المحيطة به والتكيف معها وفشل فى بلوغ أى قدر من التفاهم حتى مع أقرب الناس إليه — زوجته وأبيه — وكانت النتيجة أن لجأ إلى الخمر فأدمن الشراب ولم يعد يجد فى الحياة لذة سواها . ثم استقال من عمله كمذيع للبرامج الرياضية ، ومن ثم تحاول زوجته ماجى فرض سيطرتها عليه ، تلك السيطرة التى تبلغ ذروتها فى الفصل الثالث عندما تفلح فى ارغامه على مضاجعتها ، وهى لم تحقق بغيتها هذه إلا بعد أن حرمته من الخمر — نديم حياته — وفرضت عليه شروطها .

ويقابل شخصيتى بريك وماجى فى المسرحية شخصيتى جوبر وزوجته

مى ، وجوبر هذا هو الابن الأكبر وهو صورة كاريكاتورية من رجل الأعمال الذى لا يهمه من الحياة سوى جمع الثروة واقتناء المال ، وبينما استخلف جوبر زوجته مى خمسة من الأبناء نرى أن ماجى وزوجها لم ينجبا ذرية بعد ، ومن هنا يبدأ الصراع بين الأسرتين الصغيرتين فى سبيل الحصول على القسط الأكبر من ميراث الوالد .

أما الوالد عميد الأسرة فقد قضى طيلة حياته يعمل بكل ما أوتى من قوة ونشاط حتى استطاع فى النهاية أن يجمع ثروة طائلة تتمثل فى ثمانية وعشرين ألفاً من الفدادين من أجود الأراضى وبضعة ملايين من الدولارات ، وهو نموذج صادق للرجل العصامى الذى بدأ حياته من العدم ثم انتهى إلى كل هذا الثراء العريض .

ويصاب الوالد عميد الأسرة بمرض السرطان ، ولكن طبيبه الخاص يصور له غير ذلك حتى يخفف عنه وقع الكارثة ، فنراه فى عيد ميلاده الخامس والستين ممتلئاً بالسعادة والزهو بعد أن توهم خطأ أن كابوس الموت قد زال عنه ، ومن ثم يمنى نفسه بتعويض ما فاته من فرص المتعة بالحياة ، ولكن جوبر الابن الأكبر يدرك خطورة مرض أبيه ومن ثم يدبر الخطط والمؤامرات للاستيلاء على كل ممتلكات الأسرة وحرمان أخيه بريك وزوجته ماجى من نصيبهما فيها ، ووراء هذه المواقف المعقدة المثيرة تكمن مشكلة التفاهم بين البشر ، بل بين أفراد الأسرة الواحدة ، وبفعل الحزازات الخفية المؤلمة والتى كثيراً ما تسود جو العلاقات فى داخل الأسرة ينعدم اللقاء ، ويتباعد الأخوة وينطوى كل منهم على نفسه ، وهنا يحاول المؤلف جاهداً الوصول إلى حقيقة الدوافع التى تحرك سلوك الأفراد ، إذ يرى أن إدراك حقيقة هذه الدوافع هو الكفيل بتفسير ذلك الضياع المؤسف وذلك الشقاء الذى يعانون منه فى حياتهم .

والقطة ماجى كغيرها من الشخصيات النسائية فى مسرحيات سترنبرج لا تنتمى إلى الجنس الضعيف رغم أنها أكثر جاذبية منهن ، وهى لا تتحدث بأسلوب أهل الجنوب بل بأسلوب فتاة القرن العشرين التى لا تعانى من الكبت أو العقد ، وهى دخيلة على هذه الأسرة التى لا يهمها من أمرها سوى أن تنجب وريثاً لزوجها ، ولكنها تواجهه المواقف بشجاعة وثبات ، وهى أقرب شخصيات المسرحية شبهاً بشخصية الوالد فى انطلاقها وحيويتها ، وهى الوحيدة فى المسرحية التى لا تخشى قول الحق ولا تحتمى وراء قناع من الزيف . وقد نبذها زوجها وازدراها بعد أن واجهته فى جرأة بحقيقة علاقته بصديقه سكبر فكشفت القناع عن تلك الأكذوبة التى كان يعيش فى وهمها وكانت تخفف عليه وطأة الحياة . وبنفس الجرأة والصراحة نراها تتشاجر مع جوبر وزوجته لكى تحصل لنفسها ولزوجها على نصيب عادل من الميراث ، إذ أنها كانت تدرك بحكم تجربتها فى الحياة مذلة الفقر المدقع وما يتعرض له المرء بسببه من متاعب وكوارث .

ويبدو لنا ذلك جلياً واضحاً من الجزء التالى من الحوار فى الفصل الأول وفيه تشرح ماجى لزوجها بريك ما قاسته من شظف العيش ومرارة الحرمان فى طفولتها وصباها ..

مارجريت : كنت دائماً مضطرة للتزلف لأناس لا أطيقهم لمجرد أنهم يملكون المال . وكنت فقيرة كفقر أيوب .. انك لا تستطيع إدراك ذلك. حسن سأقول لك .. ان ذلك مثل شعورك وأنت على بعد آلاف الأميال من كأس شرابك .. وتضطر للوصول إليه على رسغك المكسور .. وبلا عكازة ..

وفى السنة التى خرجت فيها للحياة العامة لم يكن لدى سوى

رداثين للسهرة .. أحدهما صنعتة والدتى من تصميم فى مجلة « فوج » والآخر قديم جاءنى من ابنة عم بخيلة غنية كنت أمقتها .. والثوب الذى أرتديته فى حفل زفافنا كان فستان زفاف جدتى .. ولذا فإنى مثل قطة على سطح من صفيح ساخن.

وربما كانت رغبة ماجى الملحة فى الحصول على المال كدعامة لتأمين مستقبلها واحداً من الأسباب التى حدت بها إلى التمسك بزوجها والتعلق به وحرصها على الاستمرار فى حياتها الزوجية معه رغم كل ما تعرضت له منذ بداية المسرحية من توتر شديد نتيجة اعراضه عنها وانصرافه إلى الخمر وعدم اكتراثه برغباتها ، هذا فى الوقت الذى كانت تهيم به هياماً شديداً يبلغ حد العبادة ، وفى الجزء التالى من الحوار فى الفصل الأول تصوّر لنا ماجى ذلك الصراع الذى كان يعصف بها ويحطم أعصابها :

مارجريت : آه بريك إلى متى سيظل الأمر كذلك ؟ هذا العقاب ؟ ألم يمض وقت كاف ؟ ألم تنته مدة العقوبة .. ألا أستطيع أن أتقدم بطلب العفو ؟

بريـــك : ماجى .. انك تفسدين لذة الشراب .. فى الفترة الأخيرة يبدو صوتك وكأنك تصعدين الدرج جرياً لتحذرى القوم من حريق بالمنزل ..

مارجريت : أجل .. لاعجب .. لاعجب . أتعرف ما أحس به يابريك ؟ أحس طوال الوقت كقطة فوق سطح من صفيح ساخن .

وثمة سبب آخر كان يدفع ماجى إلى تقبل كل هذا الذل والاحتقار من جانب زوجها بريك .. ذلك أنها كانت ترى أن حياتها الزوجية التى انتهت قبل الأوان ، سوف تتجدد فجأة يوماً عندما تتيقظ مشاعر زوجها لجمالها

وفتنتها فيراها ويتلهف عليها كما يراها بقية الناس فراحت تعيش على هذا الأمل ..

مارجريت : لعلك تعلم أن علاقتنا الزوجية لم تنته بطريقة عادية .. لقد فترت قبل أن يحين أوانها بكثير .. وسوف تتجدد ثانية بشكل مفاجىء تماماً .. إنى واثقة من ذلك .. ولذلك أحافظ على جاذبيتى .. إلى الوقت الذى ترانى فيه مرة أخرى كما يرانى الرجال الآخرون .. لا زال الرجال يرمقوننى ويعجبون بى ... ان بعضهم على استعداد أن يقدم ... انظر يا بريك .

ومن الموضوعات الهامة التى عالجها مؤلف المسرحية والتى كان لها فى الواقع أكبر الأثر فى تدهور العلاقات بين بريك وزوجته بل أيضاً بين بريك وأبيه ، موضوع عشق الجنس وهو يتمثل فى العلاقة المريبة الخاصة التى كانت تربط بريك بسكبر أعز أصدقائه فى الجامعة والمؤلف فى عرضه لهذه العلاقة وما يكتنفها من ملابسات يكتفى بالتلميح دون التصريح ويحاول جاهداً أن يرسم الخيوط الدقيقة الغامضة فى حياة بريك وأن يصور ذلك العالم الرومانتيكى الغريب الذى طوى نفسه بداخله وتلك الهوة السحيقة التى كانت تفصل بين نظرة بريك إلى هذه العلاقة على أنها أقدس شىء فى حياته وبين نظرة الآخرين ومنهم أبوه وزوجته ماجى إلى هذه العلاقة وارتيابهم فيها . وقد ازدادت الهوة عمقاً على عمق بعد موت سكبر فقذفت ببريك بعيداً عن أبيه وعن زوجته حيث عاش فى عالم من الوهم على ذكريات الماضى . وأصبح شديد الحساسية منطوياً على نفسه يعاقر الخمر ليل نهار ويرفض بكل ما أوتى من صلابة وعزم مجرد الإشارة إلى هذه العلاقة أو التلميح إليها ، والحوار التالى يصور لنا مدى انفعاله عندما حاولت ماجى أن تشير إلى هذه العلاقة واستماتته فى الدفاع عنها ..

ماجى : .... أذكر أننا حين تواعدنا نحن الأربعة فى الكلية .. جلاديس فيتز جيرالد وأنا وأنت وسكبر . كان الأمر أقرب لموعد بينك وبين سكبر أما أنا وجلاديس فلم نك سوى تابعين لكما ، وكأنه كان يجب أن نسير فى ركابكما ليبدو المشهد رائعاً أمام الناس .

بريك : .. ماجى أتريدين أن أضربك بهذهالعكازة؟ ألا تعلمين أنى أستطيع قتلك به ؟

ماجى : يا الهى : أتظن أيها الرجل أنى أكترث بهذا ؟

بريك : لكل إنسان جانب عظيم صادق ورائع فى حياته ... جانب عظيم صادق .. كانت تربطنى بسكبر صداقة ... وإذا بك تعتبرينها مدنسة ..

وتثار هذه المشكلة مرة أخرى فى الفصل الثانى عندما يحاول الأب الوصول إلى معرفة سر ادمان ابنه للخمر واشمئزازه من الحياة وعزوفه عن القيام بأى عمل واستقالته من عمله كمذيع للبرامج الرياضية فيوجه إليه سؤالا تلو الآخر آملا فى بلوغ حقيقة الدوافع الكامنة وراء انطواء ابنه وإعراضه عن الحياة ..

الأب : لماذا تشرب الخمر ؟

بريك : لست أدرى

الأب : مادمت لا تعرف السبب فلم لا تقلع عنه ؟

بريك : أرجوك ناولنى عكازتى حتى أستطيع أن أقف ..

الأب : أجب أولا على سؤالى .. لماذا تدمن الشراب ؟لماذا تبدد حياتك يابنى هباء وكأنها شىء كريه مزر عثرت عليه فى الطريق ؟

ولا يجد بريك جواباً شافياً يقدمه لأبيه فيعلل اشمئزازه من الحياة وهروبه

منها باشمئزازه من الكذب والنفاق ، وهنا يقدم لنا مؤلف المسرحية على لسان الأب من ناحية وبريك من الناحية الأخرى موقفين مختلفين وفلسفتين متباينتين تجاه الحياة. فبينما يرى الأب بنظرته الواقعية أن على المرء أن يتقبل الحياة بكل ما فيها من خير وشر وأن يتعايش معها ويكيف نفسه مع ظروف مجتمعه .. كما فعل هو فى حياته .

الأب : لقدعشت فى جو من الكذب وتغاضيت عنه .. لم لا تفعل أنت ذلك؟
يا للجحيم .. لابد لك أن تفعله فى حياتك .. وهل فى الحياة سوى الكذب ؟

يرى بريك بنظرته المثالية أن خير طريق للخلاص من هذه الحياة بشرورها هو فى الهروب بعيداً عنها .

ويسير الحديث بينهما سجالا على هذا النحو دون أن يصل الوالد إلى إلى ما يريد فتستبد به الحيرة فيكاشف ابنه بحقيقة علاقته بسكبر وأنها ربما كانت السبب فى إدمانه للخمر..وهنا تقع الطامة الكبرى ويثور بريك على أبيه ويعتبر الأمر اهانة لكرامته فيصمم فى عصبية على الانتقام لنفسه من أبيه فيكاشفه بدوره بخطورة حالته خلافاً لما توهم وتكون هذه المصارحة الصاخبة بينهما بمثابة القذيفة التى أزاحت عن وجه كل منهما قناع الوهم الذى كان يحتمى وراءه ويعيش فى ظله . إذ يدرك الأب أن ذلك التقرير الذى قدم إليه وتلك الأمانى والمنى التى بناها عليه لم تكن سوى سراباً خادعاً وكذباً .. ويدرك بريك من جانبه أن علاقته بسكبر قد انكشفت ولم تعد بعد سراً على أحد .

ولو أننا أدركنا مدى الحب الصادق الذى كان يكنه الوالد لابنه بريك ورغبته الجادة فى حل مشاكله ومساعدته على النهوض مرة أخرى لأدركنا عمق الصدمة ومبلغ الأثر الذى أحدثته فى نفسه تلك الطعنة التى جاءته من أقرب الناس وأحبهم إلى قلبه .

وفى الفصل الثالث والأخير من المسرحية وبعد أن تأكدت خطورة حال الوالد يشتد الصراع على الارث خصوصاً وأن الوالد لم يكتب وصيته بعد ، ويحاول كل من جوبر وزوجته من جانب ومارجريت من الجانب الآخر أن يستحوذ على الجانب الأكبر من الميراث وهنا يشتد الصراع والجدل بين مارجريت ومى تارة وبين جوبر وأمه تارة أخرى ، فيعدّ جوبر بوصفه الابن الأكبر مشروعاً للوصاية على أبيه المحتضر ويحاول أن يقنع أمه بقبوله محاولا بذلك الاستيلاء على المزرعة وما عليها وحرمان أخيه بريك وماجى من نصيبهما العادل فى الميراث فتثور الأم عليه وترفض أن تستمع إليه إذ أنها لا تتصور أن تسمع فى البيت غير صوت زوجها . وفى دوامة هذا الصراع وأمام سطوة جوبر وزوجته وذلك المركز الممتاز الذى يتمتعان به فى الأسرة بفضل مالهم من أبناء . تجد ماجى نفسها وحيدة بلا معين فلا تستسلم ولا تلين وبفضل ذكائها وحيويتها تجد طريقها إلى الخلاص من هذه الورطة ، فتلقى على الأسرة المجتمعة نبأ حملها من زوجها بريك . وهنا نرى الفرق واضحاً بين سلوك كل من بريك ومارجريت فبينما يبدى بريك عدم اكتراثه لما يجرى وينصرف عنه إلى حياته الخاصة القائمة على ذكريات الماضى ، تتجه مارجريت ببصرها إلى المستقبل وتخطط له بكل ما أوتيت من حيلة وذكاء .

ويقع هذا الخبر من جوبر وزوجته وقع الصاعقة فيحاولان تكذيبه والسخرية منه ويرفضان بكل ما أوتيا من عزم وتصميم أن يعترفا به . بينما تسعد به الأم سعادة طاغية فتنسى فى غمرة فرحتها به آلام زوجها المحتضر وتقرر على الفور أن تصعد إلى غرفته لتخبره بهذا النبأ السار الذى طالما تمناه فى حياته . .

الأم : آه يابريك . يابن أبيك ... كم يحبك أبوك ! أتعرف أجمل حلم يتمنى لو تحقق ؟ انه يتمنى أن تنجب حفيداً يشبه أباه كما تشبه أنت أباك !

مى : من المؤسف أن ماجى وبريك لا يستطيعان تحقيق حلم الوالد !

مارجريت : انصتوا جميعاً

مى : الام ننصت يا ماجى ؟

مارجريت : بريك وأنا سننجب طفلا !

الأم : ماجى .. بريك : ان الخبر رائع بحيث يصعب تصديقه ..

مى : هذا صحيح .. رائع بحيث يصعب تصديقه .

الأم : مرحى .. مرحى ! لقد تحقق حلم الوالد ... سأذهب الآن لأخبره فوراً .. قبل أن ...

ثم تنتهى المسرحية بمشهد رائع معبر تسمع فيه صيحات الألم والأنين منبعثة من غرفة نوم الوالد المحتضر فى الدور العلوى بينما تظهر ماجى على المسرح وهى تأخذ بيد زوجها فى رفق وتؤده وحنان إلى غرفة نومها ، بعد أن استسلم لها وخضع لسيطرتها .. مما يوحى بأن الحياة توشك أن تولد من جديد فى ذات الميت الذى أوشك أن يحل به الموت ..

وأود فى الختام أن أنوه بفضل زملائى فى لجنة المسرح العالمى : الأستاذ الشيخ عبد الحكيم سرور ، وقد قرأ النص وتأكد من صحته اللغوية ، كما كانت له نصائح سديدة لتعديل ما قد ينبو عن الذوق السليم من عبارات النص الأصلى ؛ ولا يفوتنى أن أنوه بفضل الأستاذ أحمد عباس صالح ، وقد استفدت بمقترحاته فيما يتعلق بسلامة الجملة المسرحية .

وأخص بالشكر زميلى الدكتور محمد اسماعيل الموافى مدير هذه السلسلة . وقد قام بعبء مضاهاة النص المترجم بالنص الأمريكى مضاهاة دقيقة وتأكد من تمام المطابقة بينهما .

د . محمد سمير عبد الحميد

مقدمة المؤلف

حديث مهموس

إنه لمن المؤسف بالطبع أن جانباً كبيراً من كل عمل خلاّق يرتبط ارتباطاً وثيقاً بشخصية صاحبه .

وإنه لأمر مؤسف ومحرج وسخيف أن تلك العواطف التى تحرك الكاتب بعنف بحيث تدفعه إلى التعبير بقدر من الصفاء والقوة لها جذور ها — مهما تغير شكلها السطحى — فى تلك الاهتمامات الخاصة بالفنّان والتى تبدو غريبة فى بعض الأحيان فى تلك المشاعر وما يلازمها من الصور التى ينسجها كل منا حول نفسه من مولده إلى وفاته ، وفى ذلك النسيج البالغ التعقيد والذى تتشابك خيوطه فى سرعة هائلة لا يمكن ملاحقتها والتى يخلقها من تصوراته الخاصة به .

هذا الخاطر الموحش وهذه الظروف القاسية أمران مخفيان للحد الذى يحول دون التفكير فيهما . وعلى هذا فإن كل منا يتحدث إلى الآخر ويراسله ويبرق إليه ويحادثه بالتليفون من المسافات القصيرة والبعيدة عبر القارات والبحار ، ونتصافح فى الاجتماعات وعند الوداع ثم يحارب كل منا الآخر بل يحطم كل منا الآخر . كل ذلك بسبب فشل جهودنا فى اختراق الأسوار التى تحيط بكل منا . وكما قال أحد الشخوص فى إحدى المسرحيات ذات مرة « لقد حكم علينا جميعاً بالسجن الانعزالى داخل جلودنا »

وعندما يتغنى الواحد منا بالأشعار المحببة إلى نفسه فإنه كسجين يبعث بصيحاته إلى جاره السجين فى الغرفة المجاورة . حيث أنه قد حكم على كل منا بالسجن الانفرادى مدى الحياة .

وقد شاهدت مرة جماعة من الفتيات الصغيرات فى أحد الطرق الجانبية فى المسيسبى ، وقد تزينت كل واحدة منهن فى ملابس أمها أو اختها فبدت بعضهن فى ملابس حفلات الرقص وبعضهن فى قبعات ذات ريش وأحذية ذات كعوب عالية وكن يمثلن مشهد اجتماع للسيدات فى أحد الصالونات وكن يؤدين أدوارهن بدقة ومهارة فائقتين وبأدب أهل الجنوب وظرفهم . ولكن احداهن لم تقتنع بما أبدته والأخريات من اهتمام بمهارتها فى تمثيل دورها ، إذ كانت كل منهن مشغولة بنفسها عن الاهتمام بالآخرين . ومن ثم أفردت الفتاة ذراعيها النحيلتين وألقت برقبتها النحيلة إلى الوراء وصرخت صرخة مدوية تريد أن تشعر السماء بوجودها وأن توقظ الأخريات إلى الاهتمام بها . وصاحت « انظروا إلى ! انظروا إلى ، انظروا إلى ! » .

ولما كانت تنتعل حذاء أمها ذى الكعب العالى فقد اختل توازنها وسقطت على الأرض سقطه مدوية تتدحرج فى الوحل فتلوث ثوب أمها الأبيض الحريرى وتمزقت الطرحة القرمزية التى كانت تتزين بها ورغم هذا فلم يعرها أحد التفاتاً .

وأغلب ظنى أنها الآن واحدة من كتاب الجنوب .

ومن الطبيعى أن كتاب الجنوب من أصحاب الخيال المسرحى ليسوا هم وحدهم الذين تشغلهم هذه المسائل المسرحية ويصيحون « انظروا إلى ! » فربما كان هذا المشهد قصة ترمز لحال كل فنان منا ــ فنحن كثيراً ما نتعثر ونسقط فى سلسلة من المتاعب لا تليق بنا ــ وعلى أى حال فإن من الحكمة أن

نتنبه لذلك الخطر وألا يقنع الواحد منا بمطالبة الآخرين بالالتفات إليه ، وأن يدرك أن عليه أن يخلق من خياله الخاص ومواهبه المسرحية خلفاً فنياً لا يلفت أنظار الجمهور فحسب بل يشد انتباه المشتركين معه فى تمثيل تلك المشاهد.

وإنى أحاول جاهداً أن أفعل هذا .

ولما كنت أريدك أن تلاحظ ما أفعله من أجل أن أسعدك ومن أجل أن أمدك بالمعلومات عن الأشياء التى أشعر أنى أعرفها أكثر منك لأن عالمى مختلف عن عالمك ، بقدر ما يختلف عالم كل منا عن عالم الآخر ، فليس هذا مبرراً كافياً لإقحام عالمى الشاعرى الخاص الذى لم يصل بعد إلى المرتبة التى تسمو به عن الطابع الفردى وتنقله إلى الاهتمام الجماعى أو ترتقى به من الطابع الشخصى البحت إلى الطابع الجماهيرى العام .

ولكننى لعدة سنوات خلت—ولعلها مرت كالحلم بفضل هذه الفكرة التى تسلطت على تفكيرى—وأنا أحاول أن أتبين الطريق لبلوغ هذا الهدف وجعله حقيقة صادقة . وإنى أشعر أحياناً بالقدرة على ذلك . وأحياناً عندما تستيقظ فى داخل نفسى نشوة الممثل المغمور وتصيح مدوية « انظروا إلى ! » أحس أن ما تجشمته من متاعب وما ذهبت إليه من تصورات لن يخل بتوازنى أو يدفعنى إلى السقوط ، إذ أنكم أيها الزملاء وأنتم تشاركوننى التمثيل فى دروب الحياة ومسالكها قد تتنبهون فجأة إلى فتسمحون لى بالاستحواذ على انتباهكم ،، انتباهكم على الأقل لفترة العرض ما بين التاسعة مساء والثانية عشرة .

ومنذ إحدى عشرة سنة فى مثل هذا الشهر —مارس —عندما كنت أكثر قرباً من الجماهير مما تصورت ، وبعد تسعة شهور فقط من ذلك اللقاء الذى طالما تمنيته وعملت من أجله والذى طال انتظارى له ، والذى فيه استحوذت

على انتباه الجمهور ، كتبت أول مقدمة لاحدى المسرحيات الطويلة . وكانت الفقرة الأخيرة منها ما يلى :

هناك أشياء كثيرة يمكن أن نقولها ولكن ليس هناك من الوقت ما يكفى لذلك . كما وأنه ليس هناك من الجرأة ما يكفى ، فلست كاتباً مجيداً بل أننى أحياناً لا أحسن الكتابة بالمرة . ولايكاد يكون هناك كاتب مسرحى ناجح يعجز عن أن يكتب الكثير فى نقد مسرحياتى . ولكننى أرى فى الكتابة شيئاً أكثر حيوية من الكلمات . شيئاً أقرب إلى الحياة وإلى الحركة . لذا فإننى أريد أن أكتب أكثر وأكثر لمسرح أكثر مرونة من ذلك الذى كتبت له حتى الآن . ولم يخامرنى الشك لحظة أن هناك الكثيرين ، بل الملايين من البشر يمكن أن نحادثهم ، فنحن نقترب من بعضنا البعض فى تؤدة ولكن فى شعور من الود . وإن كان ثمة ما يعوق هذا اللقاء فمرجع ذلك إلى قصور باعى لا إلى ضخامة عدد الجماهير ، فإذا ما توفرت الأمانة والحب لدى الكاتب فإن هذا اللقاء أمر لا شك فيه .

وهذا الرأى المتميز بالعاطفية إن لم يكن بالبلاغة والذى صدر عنى فى ذلك الوقت يوحى باعتقادى بأن علاقتى الشخصية بالجماهير من رواد المسرح كانت طيبة ، بل وثيقة ، حقاً كنت أعتقد ذلك ولازلت . لقد كان الحياء الشديد فى وقت ما حائلا بينى وبين الاتصال المباشر بالآخرين وربما كان ذلك سبباً فى أنى بدأت أكتب لهم المسرحيات والقصص . إلا أننى حتى الآن وبعد أن انفكت عقدة لسانى وذهبت عنى حمرة الخجل وتخلصت من الصمت والحياء بعد أن اجتزت مرحلة الشباب العصبية التى كانت السبب فى ذلك . لازلت أجد أن التفاهم مع جماهير الغرباء الذين ألتقى بهم فى الحفلات الموسيقية الهادئة بأضوائها الخافتة وفى المقاعد الجانبية فى المسرح أيسر من التفاهم مع

إخواني الجالسين أمامي على مائدة واحدة ، فلأن الأولين غرباء عني فإنهم أكثر قرباً وتفهماً .

وأظن أني بالطبع قد أسرفت في التسليم بهذا التعاطف وذلك الاهتمام من جانب أولئك الذين أتحدث إليهم بجرأة مما أدى إلى كثير من الاعتراضات التي آلمتني ودفعتني إلى إعادة النظر والتعقل . ولكنني عندما أوازن بين الاعجاب الذي يمكن الحصول عليه دون جهد ، والاحترام الذي لا يتأتى إلا بعد جهد كبير ، فإنني أفضل الأخير دائماً . ومهما كانت قسوة إعراض الجماهير فأني مصر على ألا أتحدث إليهم في سطحيات أمور حياتهم من أمثال تلك الأمور التي يتحدث بها المعارف والأصدقاء ويضحكون لها في المناسبات الاجتماعية العادية .

فأنا شخصياً أجد الكثير من هذا في أوقات فراغي ، ويقيني أن لديهم من الوقت ما يكفي لذلك ، طوال يومهم باستثناء فترة العرض القصيرة التي أستحوذ فيها على انتباههم لأقول لهم ما أريد .

وعلى هذا فإني أود أن أتابع الحديث إليك بحرية وبإخلاص عن الأهداف التي نعيش ونموت من أجلها كما لو كنت أعرفك أكثر من أي شخص آخر ممن يعرفونك .

تنيسي وليامز

ارشادات لمصمم المناظر

المنظر عبارة عن غرفة للجلوس والنوم في بيت ريفي في دلتا المسيسبي . وهي تطل على شرفة جانبية في الدور العلوي تحيط بالبيت كله . وللغرفة بابان

واسعان كبيران يفتحان على الشرفة ويظهر من خلالهما (الدربزين) المحيط بها وسط سماء صافية فى أمسية صيف منعشة تعم أضواؤها تدريجياً — أولا إلى الغسق ثم إلى ظلام الليل مع سير أحداث المسرحية التى تستغرق كل هذه الفترة باستثناء فترة استراحة قدرها « خمس عشرة دقيقة » .

وربما كان طراز أثاث الغرفة لايتفق مع ما يتوقعه المرء فى منزل أكبر مزارعى القطن فى دلتا المسيسبى . وهو من الطراز الفكتورى مع لمسة من الشرق الأقصى . لم يطرأ عليه تغير ذو بال منذ أن كان يشغل البيت أصحابه الأصليون جاك سترو وبيتر أوكيلو ، العانستان اللتان أقامتا معاً فى هذه الغرفة طوال حياتهما . وبعبارة أخرى فإن الحجرة لابد أن توحى بأشباح الماضى إذ تحوم حولها شبهات تلك العلاقة المريبة التى كانت تربط بين هاتين العانستين . وثمة ملاحظة أود ابداءها رغم أنها قد تبدو بعيدة عن موضوع المسرحية ، وهى أننى رأيت ذات مرة لوحة منقولة عن صورة قديمة لشرفة بيت روبرت لويس ستيفنسون فى جزيرة ساموا حيث قضى السنوات الأخيرة من حياته وقد وضع الرسام بها لمسات من الضوء الخفيف فوق أثاثاتها الخشبية الذابلة . فبدت تماماً كما تبدو قطع الأثاث المصنوعة من الخيزران أو الغاب فى مداخل البيوت عندما تتعرض للحرارة الشديدة والمطر الغزير فى المناطق الاستوائية . وهذا ما خطر ببالى عندما فكرت فى مناظر هذه المسرحية . فهذا المنظر يعيد إلى الذهن الراحة والهدوء اللتين يوحى بهما الضوء وتوحى بالشعور بالاطمئنان الذى ينبعث من تلك الأمسية من أمسيات آخر الصيف بجوها المعتدل الجميل . ومهما كانت مخاوف المرء — حتى وإن كانت الخوف من الموت — فلابد أنه شاعر بالطمأنينة والراحة فى ظلها . لأن المشهد خلفية لمسرحية تعالج العواطف الإنسانية الجامحة وهى بحاجة إلى هذه الرقة وذلك الهدوء من حولها .

وباب الحمام الذى لا يبدومنه سوى بعض قطع القيشانى الأزرق الباهت وبعض حوامل من الفضة لوضع الفوط يقع فى حائط جانبي يقابله فى الجانب الآخر باب البهو (الصالة) . وثمة قطعتين من الأثاث يجدر ذكرهما ؛ سرير يتسع لشخصين يجب على المخرج أن يجعل منه جزءاً حيوياً وهاماً من الديكور وعلى هذا فيحسن أن يكون سطحه مائلا قليلا إلى الأمام بحيث يبدو الممثلون فوقه بوضوح . وفى الفراغ بين البابين الكبيرين للغرفة قطعة من (الموبيليا) الضخمة المألوفة فى وقتنا هذا بها جهاز راديو بثلاث مكبرات للصوت وجهاز تليفزيون وخزانة للخمر بها كثير من الأكواب والزجاجات . هذه القطعة من الأثاث بألوانها الفضية وما يتلألأ بداخلها من زجاج وأكواب تبدو كحلقة الوصل بين الأضواء الذهبية المتلألئة الصاخبة فى داخل الحجرة والأضواء الزرقاء والبيضاء الهادئة فى الشرفة وهى بمثابة معبد دقيق الصنع ومتكامل فى ذاته يجد فيه المرء الراحة والانطلاق اللذين يحتمى بهما بعيداً عن متاعب الحياة كتلك التى يتعرض لها شخوص المسرحية .

ويجب أن يكون الديكور أبعد كثيراً عن تلك الواقعية التى يوحى بها هذا الوصف الذى قدمته . وإنى أقترح أن تتلاشى جدران الحجرة تدريجياً وبشكل غير ملحوظ فى زرقة السماء ، التى هى سقف الغرفة ، ويمكن تصوير النجوم والقمر بلمسات من اللون الأبيض ، بحيث تبدو وكأن المشاهد يراها من خلال منظار مقرب غير مضبوط .

هل هناك مزيد من التفاصيل ؟ نعم الأضواء الجانبية تنتشر فوق الأبواب فى شكل يشبه مروحة من الزجاج بعضه أزرق وبعضه أصفر . وفوق ذلك يجب ألا يألو المخرج جهداً فى توفير الفراغ الكافى للممثلين حتى يستطيعوا الحركة فى

يسر وحرية (ليعبروا عما بهم من قلق وتوتر ورغبة جامحة فى الانطلاق) .
كما لو كان المنظر مصمماً لرقصة باليه .

وزمن المسرحية أمسية فى الصيف والأحداث مستمرة متتابعة يتخللها فاصلان .

قِطَّةٌ فَوْقَ سَطْحِ صَفِيحٍ سَاخِنٍ

بقلم :
تنيسي وليامز
ترجمة وتقديم :
الدكتور محمد سمير عبد الحميد

شخصيات المسرحية

مارجريت	: زوجة بريك وبطلة المسرحية .	Margaret
بريك	: بطل المسرحية ـ الابن الأصغر	Brick
مى	: أحيانا تسمى السيدة الأخت ـ زوجة جوبر الابن الأكبر .	Mae
الأم		Big Mama
ديكسى	: صبية صغيرة ـ ابنة جوبر	Dixie
بستر ، سونى ، تريكسى	: أبناء جوبر الصغار	
دادى	: عميد الأسرة.	Big Daddy
القس توكر		Rev. Tooker
جوبر	: أخو بريك	Gooper
دكتور بو	: طبيب الأسرة .	Dr. Baugh
لاسى	: خادم زنجى .	Lacey
سوكى	: خادم آخر .	Sookey

صبية أخرى وولدين صغيرين .

الفصل الأول

« عندما ترفع الستار نلاحظ أن شخصاً
يغتسل فى الحمام الذي يبدو بابه
« مواربا » . وتدخل سيدة شابة جميلة
على محياها أمارات القلق إلى حجرة
النوم وتتجه نحو باب الحمام » .

مارجريت : (وهى تصيح لكى يعلو صوتها على صوت تدفق
الماء فى الحمام) : لقد أصابنى واحد من أولئك
الوحوش قصار الرقاب بقطعة من الكعك المدهون
بالزبد وهذا يضطرنى إلى تبديل ثيابى !

(صوت مارجريت سريع ممطوط ، وهو يبدو
أثناء أحاديثها الطويلة وكأنه نبرات قس يتغنى بترانيم
دينية — فهى تكاد تتغنى بالكلمات وتكاد أنفاسها
لاتلاحق كلماتها بل تلهث فى أثرها ، وأحيانا يتخلل
عباراتها نغمة موسيقية مثل دا . دا . دااا .

(يتوقف تدفق الماء فى الحمام وينادبها بريك من

الداخل . ولكنه لازال محتجبا عن الجمهور .
وتتميز أحاديثه إلى مارجريت بنغمة من الاهتمام
الزائف تخفي وراءها عدم الاكتراث أوماهو أسوأ) .

بريك : ماذا تقولين يا ماجي ؟ كان الماء يتدفق بصوت مزعج فلم أتبين كلماتك .

مارجريت : أجل . لقد قلت أن واحداً من أولئك الوحوش قصار الرقاب لطخ ردائي الجميل المطرز (بالدانتيل) فاضطررت إلى تبديله . .
(تفتح أدراج الصوان ثم تركلها برجلها لتغلقها) .

بريك : لماذا تسمين أبناء جوبر بالوحوش بلارقاب ؟

مارجريت : لأنه ليست لهم رقاب ! أليس هذا سببا وجيها وكافيا ؟

بريك : أليست لهم أية رقاب ؟

مارجريت : ليست لهم أية رقاب ظاهرة . فرؤوسهم السمينة الصغيرة تلتحم بأجسامهم الصغيرة السمينة دون أي فاصل بينهما .

بريك : هذا أمر مؤسف للغاية .

مارجريت : نعم مؤسف للغاية لأنك لاتستطيع أن تقصف رقابهم ماداموا بلا رقاب .
أليس هذا صحيحاً يا حبيبي ؟

(تنسلخ من ردائها وتقف فى غلالة من الستان الفضى المطرز) .

نعم . هم وحوش بلا رقاب . وكل أولئك الذين ليست لهم رقاب وحوش .

(أطفال يتصايحون فى الدور الأسفل) .

هل تسمعهم ؟ هل تسمعهم يصرخون ؟ لست أعرف أين تقع حناجرهم ماداموا بلا رقاب أصار حاك القول ، لقد استفزت أعصابى على مائدة العشاء الليلة لدرجة أننى فكرت فى القاء رأسى إلى الخلف واطلاق صرخة مدوية يتردد صداها عبر حدود اركنساس وبعض أرجاء لويزيانا وتنيسى . وقد قلت لزوجة أخيك الفاتنة مى « ألا يمكن يا عزيزتى أن تطعمى هؤلاء الصغار الأعزاء على مائدة مستقلة عليها مفرش من المشمع ؟ فانهم يلوثون كل شىء ، ويجعلون المفرش المطرز جميلا للغاية ! » فحملقت فى بعينين مفتوحتين وقالت أوا هوا ! كلا كلا ! كيف أفعل ذلك فى يوم عيد ميلاد جدهم ؟ أنه لن يغفرلى ذلك أبداً ! وأود أن تعلم أن جدهم ما كاد يجلس إلى المائدة مع هؤلاء الوحوش الخمسة قصار الرقاب حتى اختلط الطعام بلعابهم — فألقى بالشوكة

وصاح « بالله عليك يا جوبر لماذا لا تطعمهم فى مذود فى المطبخ كما نطعم الخنازير فى الحظيرة ؟ » أقسم لك أننى كنت أموت لو وجهت إلى هذه الإهانة ! .

تصور هذا يا بريك. ان لديهم الآن خمسة والسادس فى الطريق . وقد أتوا إلى هنا بالمجموعة كاملة وكأنها مجموعة من حيوانات يعرضونها فى سوق أرياف وهم يدفعونهم للقيام بألعاب طوال الوقت ! فمثلا يقولون أيها الصغير ، فرج جدك كيف تفعل هذا . فرج جدك كيف نفعل ذاك . . وأنت يا أخت أسمعى جدك بعض ماحفظته فى المدرسة ، وأنت يا سكر فرجى غمازتيك لجدك وأنت يا أخ فرج جدك كيف تقف على رأسك ! وهكذا طوال الوقت فضلا عن الملاحظات الصغيرة التى لاتنتهى ، والتلميحات الخبيثة إلى إنى وأنت لم ننجب أطفالا. وما دمنا لم ننجب أطفالا أبداً فليست لنا فائدة أبداً . وبالطبع هذا مشهد فكاهى غير أنه يثير الاشمئزاز أيضاً لأن ما يهدفان اليه واضح تماما..

بريك : (بدون اهتمام) : إلام يهدفان يا ماجى ؟

مارجريت : أنت تعلم ما يهدفان اليه !

بريك : (وقد ظهر على المسرح) : كلا . لست أعرف ما يهدفان اليه .

(يقف بباب الحمام يجفف شعره بمنشفة ويستند على حامل المناشف لأن أحد رسغى قدميه مكسور ومغطى بالجبس ومربوط وهو لايزال نحيفاً مشدوداً كصبى . . لم تمزق الخمر بعد مظهره وهو يتمتع بسحر آخر يضفيه عليه مظهر التجرد وعدم الاكتراث الذى يتصف به أولئك الذين تخلوا عن الكفاح . ولكن بين حين وآخر حينما يستثار يومض من خلف هذا الهدوء مايشبه البرق فى سماء صافية مما يدل على أنه لايتمتع بالهدوء والسلام فى أعماق نفسه . وربما لوتركزت عليه الأضواء بقوة لبدت عليه أمارات الانهيار ولكن الأضواء الخافتة الدافئة التى تسلط عليه من بعيد من الشرفة تعامله برفق .)

مارجريت : سأخبرك بما يهدفان اليه يا بنى ! أنهما يقصدان حرمانك من أملاك أبيك .

(تتجمد لحظة قبل أن تبدى الملاحظة التالية . وينخفض صوتها كما لو أن اعترافا محرجاً توشك أن تدلى به إليه) بعد أن علمنا أن أباك سيموت...

بالسرطان . . .
(أصوات من حديقة المنزل. وثداءات ممدودة من بعيد . ترفع مارجريت ذراعيها الجميلتين العاريتين وتضع بعض المساحيق تحت ابطها وهى تتنهد بخفة. ثم تضبط زاوية مرآة مكبرة لتحكم رمشا من رموشها ثم تقف بعصبية وهى تقول :) .
أن الضوء أقوى مما يجب فى هذه الحجرة ... حتى ..

بريك : (بهدوء ولكن بحدة) : هل نحن ؟

مارجريت : هل نحن ماذا ؟

بريك : نعلم أن أبى سيموت بالسرطان ؟

مارجريت : لقد وصل التقرير اليوم .

بريك : أوه .

مارجريت : (تنزل ستائر من الخيزران فتلقى فى الحجرة ظلالا مرتعشة ذهبية طويلة) : نعم . لقد وصل التقرير منذ برهة قصيرة . لم يكن مفاجأة لى يا صغيرى.. (فى صوتها غنة ذات رنين بعيد المدى .. وأحيانا ينخفض كصوت صبى فنتخيل فجأة أنها وهى صغيرة كانت تلعب ألعاب الصبيان).
لقد عرفتُ عليه أعراض المرض حينما وصلنا إلى هنا فى الربيع الماضى وأنا مستعدة لرهانك أن أخاك

الشهم وزوجته كانا واثقين من هذا أيضاً . هذا على الأرجح هو التفسير الواضح لتخلفهم هذا العام عن رحلتهم المعتادة لقضاء الصيف فى لندن لكى يتمكنوا من الهبوط علينا هنا بكل قبيلتهم الصاخبة كلما اشتكى الجد أوتوجع . وهذا أيضا يفسر إشاراتهم وتلميحاتهم الكثيرة إلى مصحة رينبوهل فى الفترة الأخيرة وأنت تعرف ماهى رينبوهل . أنها مكان مشهور فى علاج مدمنى الخمر والمخدرات من شريرى الشاشة !

بريك : لست من المشتغلين بالسينما .

مارجريت : كلا . كما أنك لاتتعاطى المخدرات . ولكنك مرشح من الدرجة الأولى لهذا المكان ياصغيرى وهذا هو المكان الذى ينوون ارسالك اليه . ولكن فوق أشلائى ! . نعم فوق جثتى سوف يشحنونك إلى هناك . وليس هناك ما يسعدهم أكثر من ذلك .. وعندئذ يستطيع أخوك الشهم أن يتحكم فى الأموال ويرسل لنا بعض مايجود به علينا . أوربما نصب نفسه وكيلا يوقع الشيكات نيابة عنا ويمنع النفقة عنا أينما وحينما يريد ! يا له من وغد ! ما رأيك فى هذا ياصغيرى . لقد فعلت كل مافى وسعك لتمكنه من

هذا . لقد فعلت كل مامن شأنه أن يعنيهما ويحرضهما
على تنفيذ هذه الخطة التى دبراها ! فقد تركت عملك .
واتخذت شرب الخمر مهنة لك ! وكسرت رسغ
قدمك الليلة الماضية فى ملاعب المدرسة الثانوية .
وماذا كنت تفعل . تقفز الحواجز ؟ فى الثانية أو
الثالثة صباحا ؟ شىء غير معقول بالمرة . تناولته
الصحف وكتبت عنه نبذة لطيفة صغيرة فى جريدة
كلاركسديل ريجستر قصة انسانية شيقة عن رياضى
مشهور سابق أقام بمفرده مباراة على ملاعب المدرسة
الثانوية المجيدة فى الليلة الماضية .
وأخوك الشهم جوبر يدعى أنه استخدم نفوذه
ليحول دون وصولها لوكالات الأنباء لعنة الله عليها .
ولكنك برغم هذا مازلت تتمتع بميزة كبيرة يابريك
(خلال السيل السابق من الكلمات كان بريك مستلقياً
فى استرخاء على الفراش الذى فرشت عليه ملاءة
ناصعة البياض . وتدحرج بحذر على جنبه أو على
بطنه) .

بريك : (بجفاف) : هل كنت تقولين شيئاً يا ماجى ؟

مارجريت : ان أباك يهيم بك يا حبيبى وهو لايطيق أخاك الشهم
أو زوجته مى — ماى ذلك الوحش الولود ، فهى نظره

بغيضة كل البغض ! هل تعرف كيف عرفت؟
من التعبيرات البسيطة التى كانت ترتسم على وجهه
حينما تتشبث تلك المرأة بالحديث فى أحد الموضوعات
المحببة إليها كقصة رفضها التخدير حينما وضعت
التوأمين لأنها تشعر أن الوضع تجربة يجب على
المرأة أن تخوضها كاملة ! حتى يمكنها أن تقدر
الأمومة روعتها . هاه
(هذه الصيحة الاستنكارية تتبعها بحركة عنيفة كغلق
أحد الأدراج) .
وكيف أنها جعلت أخاك الشهم يقف إلى جوارها
فى غرفة الوضع حتى لايفوته جمال تلك اللحظة
وروعتها ! وهى تنتج له أولئك الوحوش بلارقاب..
(مثل هذا الحديث كان يقابل بالاستهجان من
الجميع إلا من مارجريت التى تجعله ساخراً بشكل
غير مألوف بعينيها الدائمة اللمعان وصوتها الذى
يهتز بالضحك المبالغ فيه عادة) .
وأبوك يشاركنى رأيى فى الاثنين ! أما عن نفسى
فإننى أمنحه ابتسامة من وقت لآخر ليحتملنى..
انى أظن أن أباك يكن لى رغبة لاشعورية . . .

بريك : وما الذى يدعوك إلى الاعتقاد بأن أبى يكن لك

هذه الرغبة يا ماجى ؟.

مارجريت : الطريقة التى يرخى نظره إلى جسمى حينما أتحدث معه إذ تمتد نظراته لنهدى ويسيل لعابه) .

بريك : مثل هذا الكلام تشمئز منه النفس .

مارجريت : هل حدث أن أخبرك أحد أنك متزمت أحمق ؟ أعتقد أنه جميل حقاً أن يقدر ذلك الشيخ جسدى حق قدره وهو على حافة القبر .

هل تحب أن تسمع شيئاً آخر ؟ أبوك لم يعرف كم طفلا وطفلة أنجبوا من صلب مى وجوبر ! فسألها على المائدة كم طفلا أنجبا ؟ كما لوكان أخوك الشهم وزوجه مجرد معرفة لاأكثر ! فقالت أمك أنه كان يمزح. لكن هذا الرجل العجوز لم يكن يمزح . كلا وحق السماء .

ولما أخبراه بأن لهما خمسة أطفال والسادس فى الطريق ! كان هذا بالنسبة له بمثابة مفاجأة مؤلمة .

(الأطفال يصرخون فى الطابق الأسفل) .

اصرخوا أيها الوحوش . .

(تتجه نحو بريك بابتسامة مفاجئة مرحة ساحرة لاتلبث أن تتلاشى حينما تجد أن بريك لاينظر اليها بل ينظر بعيداً فى الفضاء الذهبى الباهت وكل وجهه تعبيرات مضطربة) .

(إن إعراضه الدائم عنها يجعل مزاحها فاضحاً) .
نعم . ليتك كنت معنا فى حفل العشاء يا صغيرى.
(كلما تناديه بكلمة «صغيرى» تبدو الكلمة رقيقة ناعمة) .

هل تعرف أن أبوك — بارك الله روحه — هو أغلى شىء فى الوجود ، ولكنه انكب على طعامه وكأن ليس لديه شىء سواه يفضل النظر إليه — جلس مى وجوبر جنباً إلى جنب إلى المائدة فى مواجهة أبيك تماما وهما يرقبان وجهه كالصقور الجارحة ، ويتشدقان بالطعام والكلام عما يتمتع به أبناؤهم الصغار قصار الرقاب من ذكاء وفطنة ! !
(تقهقه وترفع يدها تداعب بها رقبتها وثدييها بينما تلقى برأسها إلى الوراء فتبدو رقبتها طويلة مقوسة . تقترب من حافة المسرح وتكرر هذه الحركات مع الكلام) .
وكان الوحوش قصار الرقاب مصطفين حول المائدة. وقد جلس بعضهم فى مقاعد مرتفعة وبعضهم الآخر فوق المجلدات الضخمة واضعين قبعات ورقية زاهية الألوان غريبة الأشكال على رؤوسهم احتفالا بعيد ميلاد الوالد الكبير وطوال حفل العشاء —

نعم — أحب أن تعرف — أخوك اهمام وزوجته
لم يكفا لحظة عن تبادل القفشات والغمزات واللكزات
والإشارات والتلميحات ! لقد كانا كأثنين من
محترفى القمار يسلبان أموال ثرى أبله حتى أن
الوالدة بارك الله فيهارغم أنها ليست على درجة
عالية من الذكاء أو سرعة البديهة — لاحظت ذلك أخيراً
وقالت لجوبر ماذا تبغيان من وراء كل هذه الحركات ،
والإشارات التى تتبادلها أنت وماى يا جوبر ؟ »
أقسم لك بالسماء أنى كدت أختنق وأنا أتناول طعامى !
(تعود مارجريت إلى « التسريحة » . ولم تلحظ بريك
بعد — وهو يرقبها بنظرة لايمكن تحديد مغزاها .
أهى نظرة استحسان ؟ أم دهشة ؟ أم احتقار ؟
أنها مزيج من كل هذا مع شىء آخر) .
لعلك تعلم أن أخاك جوبر لايزال متشبثاً بوهم أنه
قد قفز قفزاً إلى أعلى السلم الاجتماعى بزواجه من
الآنسة ماى فلين سليلة أسرة فلين فى ممفيس .
(تروح مارجريت وتجىء فى الحجرة بينما تتكلم
ثم تتوقف أمام المرآة . ثم تعاود السير) .
مع هذا فلدى بعض الأنباء السيئة لجوبر . فان
أسرة فلين لم تكن تملك شيئاً فى هذا العالم سوى

المال ، وقد فقدته . أنهم لم يكونوا شيئاً يذكر على الإطلاق سوى جماعة نجحت إلى حدما فى التسلق على أكتاف الغير . وطبعاً تعرف أن ماي فلين ظهرت فى مجتمع ممفيس قبل أن أظهر أنا فى ناشفيل بثمان سنوات . ولكن كان لى أصدقاء فى وارد يلمونت ينتمون أصلا إلى ممفيس وقد اعتدنا أن نتزاور فى عطلات عيد الميلاد والربيع. ومن هنا فإننى أعلم من هم المعتبرون ومن هم المغمورون فى مجتمع ممفيس . وعلاوة على هذا فقد أفلت جد الأسرة بصعوبة من الحبس فى سجن الولاية لاتهامه فى مضاربات مالية مريبة فى البورصة عندما أفلست مجموعة حوانيته . أما عن انتخاب ماي ملكه لمهرجان القطن كما يذكروننا بذلك دائما حتى لاننسى — فإننا هذا شرف لا أحسدها عليه ! كل ما فى الأمر أنها جلست على عرش من النحاس فوق عربة كارو طويلة ملطخة زحفت بها الشارع الرئيسى ، وهى تبتسم وتنحنى وتقذف بالقبلات إلى حثالة القوم المتجمهرين فى الشوارع . . .

(تأخذ خفاً مزيناً بالجواهر وتسرع إلى غرفة الملابس) .

ولعلك تذكر أنه حينما اختبرت سوزان ماكفيتر، لتحظى بهذا الشرف منذ عامين — هل تدرى ما حدث لها ؟ هل تدرى ماحدث للصغيرة سوزى ماكفيترز ؟

بريك : (شارداً) : كلا ماذا حدث للصغيره سوزى ماكفيترز ؟

مارجريت : بصق أحدهم عصارة التبغ فى وجهها .

بريك : (بلا وعى) : بصق أحدهم على وجهها بعصار التبغ ؟

مارجريت : نعم . هذا صحيح . أطل سكير عجوز من إحدى نوافذ فندق جايوسو وصاح مناديا أيتها الملكة . أيتها الملكة خذى . فرفعت سوزى المسكينة رأسها ورمقته بابتسامة مشرقة فبصق فى وجهها مباشر بملء فمه من عصارة التبغ .

بريك : أجل . وماذا تعرفين عن هذا .

مارجريت : (تخرج) : ماذا أعرف عن هذا ؟ لقد كنت هناك ورأيت الحادثة بنفسى .

بريك : (شارداً) : لابد أنها كانت مثاراً للضحك .

مارجريت : ولكن سوزى لم تر ذلك — بل أصابتها نوبات

هستيرية وراحت تصرخ كالمجنونة — واضطروا إلى وقف الموكب وانزالها عن العرش والسير بدونها (تلمح بريك فى المرآة . فتتنهد تنهيدة خفيفة وتستدير لتواجهه — تمر عشرة ثوان) .

لمَ تنظر إلىّ بهذه الطريقة ؟

بريك : (يصفر نغمة فى هدوء) : أية طريقة يا ماجى ؟

مارجريت : (محتدة بشكل مخيف) الطريقة التى كنت تنظربها إلى الآن قبل أن ألمحك فى المرآة وأخذت تصفر مترنما بلحن ! لست أدرى كيف أصفها لك . ولكنها جعلت الدماء تتجمد فى عروقى ! لقد ضبطتك تنظر إلى هكذا عدة مرات فى الفترة الأخيرة . فيم تفكر وأنت تنظر إلى بهذه الطريقة ؟

بريك : لم أكن أدرك انى أنظر اليك ياماجى .

مارجريت : ولكنى أدركت ذلك . فيم كنت تفكر ؟

بريك : لا أذكر أنى كنت أفكر فى شىء يا ماجى .

مارجريت : ألا تدرى انى أدرك أن . . . . ؟ ألا . . . . تعرف أنى أدرك . . أن ؟

بريك : (ببرود) : تعرفين ماذا ؟

مارجريت : (تحاول جاهدة التعبير) أدرك انى قد اجتزت تجربة بشعة صرت بعدها جامدة عصبية .
(ثم تضيف فى صوت يكاد يكون رقيقاً) .
وقاسية . .
وهذا مالاحظته فى سلوكى فى الفترة الأخيرة .
وكان لابد أن تلاحظ ذلك ؟ ولابأس . فلم أعد رقيقة الإحساس . لم يعد بوسعى أن أكون كذلك .
(تستجمع قواها) .
ولكن بريك ؟ بريك ؟

بريك : هل قلت شيئاً ؟

مارجريت : كنت على وشك أن أقول شيئاً : وهو أننى أشعر بالوحدة تماما .

بريك : كل الناس ينتابهم هذا .

مارجريت : إن الحياة مع شخص تحبه وهو لايبادلك هذا الحب قد تجعلك تشعر بالوحدة أقوى مما لوعشت وحيداً منفرداً .
(فترة سكون – يحجل بريك مقتربا من حافة المسرح ويسألها دون أن ينظر إليها) :

بريك : هل تريدين العيش بمفردك ياماجى ؟

(فترة سكون أخرى . وبعد أن تلتقط نفسا سريعاً وقد شعرت بالإهانة) .

مارجريت : كلا . يا إلهى ! لست أحب هذا !

(تنهيدة أخرى . وبقوة تتحكم فى أعصابها لتحول بين نفسها وبين البكاء ثم تراها تعود بقوة وشجاعة إلى ذلك العالم الذى يمكن فيه التحدث عن الأمور العادية) .

هل تمتعت بحمام منعش ؟

بريك : أوه . . هوه .

مارجريت : هل كان الماء بارداً ؟

بريك : كلا .

مارجريت : ولكنه جعلك تشعر بالنشاط . أليس كذلك ؟

بريك : أشعر أننى أكثر نشاطا . .

مارجريت : هناك شيء سوف يجعلك أكثر نشاطا !

بريك : ماذا ؟

مارجريت : التدليك بالكحول أو الكولونيا . . التدليك بال. بالكولونيا !

بريك : ان هذا قد يفيد انسانا مجهداً — وأما أنا فلا أبذل جهداً يا ماجى .

مارجريت : ولكنك تحتفظ بقوامك رغم ذلك .

بريك : (بلا اكتراث) : أتظنين ذلك ياماجى ؟

مارجريت : كنت دائماً أظن أن مدمنى الخمر يفقدون نضارتهم . ولكنى أدركت خطأ هذا الظن .

بريك : (فى خبث) : نعم . شكراً ياماجى .

مارجريت : أنت السكير الوحيد الذى لاتبدو عليه السمنة بفعل الخمر .

بريك : ولكن أحس بجسمى يترهل .

مارجريت : عاجلا أوآجلا لابد أنها ستجعلك تترهل . . لقد بدأ سكيبر يترهل حينما . .

(تتوقف بسرعة) .

آسفة . . لا أستطيع أبداً تجنب مواضع الألم — كم أتمنى لو أنك فقدت نضارتك. إذن لكان استشهادى أهون على نفسى .. لو حدث ذلك لكان الاستهاد أهون على نفسى . . ولكن لست محظوظة بل أعتقد فعلا أن مظهرك تحسن بعد إدمانك الخمر . . ان من لايعرفك لايتصور أنك كنت يوما متماسكا مشدود القوام . . .

(تسمع أصوات الكروكيه فى الحديقة — طرقات

المضارب ــ أصوات خفيفة على بعد وعلى قرب)
طبعاً .. كانت لديك دائماً صفة الهدوء وعدم الانفعال وكأنك تمارس لعبة دون اهتمام بالنتائج ربحت أم خسرت والآن وقد خسرت المباراة ــ لم تخسرها بل هجرت اللعب ــ فأنت تتمتع بتلك الجاذبية النادرة التي لايتمتع بها سوى الطاعنين فى السن أو الميئوس من شفائهم . . جاذبية المغلوبين . فأنت تبدو فى تمام الهدوء . . . منتهى الهدوء . . هدوء تحسد عليه . .

(تسمع موسيقى) ..

انهم يلعبون الكروكيه . لقد ظهر القمر أبيض اللون وبدأ يميل إلى الاصفرار . .

لقد كنت عاشقاً رائعا . . وكنت أيضاً زوجا رائعاً انك رجل ورجل رزين . . كنت أشبه بمن يفتح الباب لسيدة أو يقدم لها مقعداً على المائدة ممن يبدى لهفة عليها ولذا فإن عدم اكتراثك جعلك زوجاً رائعاً .

أتعرف ؟ لو أيقنت أنك لن تقربنى أبداً . . أبداً.. أبداً لنزلت للمطبخ ولتناولت أطول وأحد سكين

اجده وغمدته فوراً فى قلبي — أقسم نفعلت ذلك.
ولكن يعوزنى شيء واحد هو جاذبية المغلوبين
على أمرهم . . دورى لم ينته . . وانى مصممة على
النصر . .
(صوت مضارب الكروكيه وهى تصطدم بالكرة)
أى نصر تحرزه قطة على سطح من الصفيح الساخن؟
أود لو أعلم . . سوى أن تبقى على هذا السطح
قدراً استطاعتها . .
(ترتفع أصوات الكروكيه) .
سوف أقول لك هذا المساء إنى أحبك وقد تكون
مخموراً حينذاك فتصدقنى . . أجل . . إنهم يلعبون
الكروكيه . .
سيموت أبوك بالسرطان .
فيم كنت تفكر عندما فاجأتك وأنت تنظر إلى بهذه
الطريقة ؟ هل كنت تفكر فى سكيبر ؟
(بريك يأخذ عكازته وينهض).
آه . . معذرة . . أرجو المغفرة . . ولكن مبدأ
الصمت لايجدى . . لا إن مبدأ الصمت لايجدى..
(بريك يعبر إلى البار ويتناول جرعة سريعة ويمسح
رأسه بمنشفة) مبدأ الصمت لايفيد . .

إذا كان هناك شيء يختمر فى ذاكرتك أوفى مخيلتك
فان مبدأ الصمت لايجدى .. هو تماماً كمن يغلق الباب
ويحكم إغلاق منزل يحترق أملا فى أن ينسى أن المنزل يحترق
ولكن التهرب من النار لايخمدها فالصمت تجاه
مشكلة يضخمها فتتسع كجرح يتقيح ويصبح خبيثاً.
ارتد ثيابك يا بريك . .
(يسقط عكازته) .

بريك : لقد وقعت منى عكازتى .
(يتوقف عن تجفيف شعره بالمنشفة ولكنه لايزال
واقفاً ممسكاً بحامل المناشف وهو يرتدى البرنس
الأبيض) .

مارجريت : استند علىّ .

بريك : لا . . يكفى أن تناولينى عكازتى . .

مارجريت : استند على كتفى .

بريك : لا أريد أن أستند على كتفك . . أريد عكازتى . .
(يقول ذلك بسرعة البرق) .
هل ستعطينى العكازة أم تجبرينى على أن أركع على
الأرض و . .

مارجريت : هاك هى . . خذها . . خذها . .
(تدفع إليه بالعكازة) .

بريك : (يعرج خارجاً) شكراً لك ؛

مارجريت : يجب ألا نتبادل الصياح . . فالحوائط فى هذا المنزل لها آذان . .

(يعرج تجاه خزانة الخمر ليحضر كأساً آخر) .

ولكن هذه هى المرة الأولى التى أسمع فيها صوتك مرتفعاً منذ وقت طويل يا بريك . .شرخ فى الجدار ؟ جدار السكنية . . أعتقد أنها بادرة طيبة . . بدأت تنفعل كلاعب تحول إلى موقف الدفاع . .

(بريك يدور ويبتسم لها فى برود وهو ممسك كأسه)

بريك : لم تأت بعد يا ماجى . .

مارجريت : ماذا ؟

بريك : تلك الغمزة التى تصل إلى رأسى عندما أشرب من هذا الخمر مما يجعلنى أحس بالراحة . . هلا صنعت فى معروفاً ؟

مارجريت : ربما . . ماذا تريد ؟

بريك : مجرد . . مجرد أن تخفضى صوتك . .

مارجريت : (فى همس متحشرج) سأفعل ذلك .. سوف يكون حديثى فى همس . . هذا ان لم أسكت تماما .. هلا صنعت أنت فىّ معروفاً وجعلت هذا آخر كأس تحتسيه حتى ينتهى الحفل . .

بريك : أى حفل ؟

مارجريت : حفل عيد ميلاد أبيك .

بريك : هل اليوم عيد ميلاد أبى ؟

مارجريت : انك تعرف أن اليوم عيد ميلاد أبيك .

بريك : لا . . لا أعرف . . لقد نسيت .

مارجريت : لقد تذكرته نيابة عنك .

(كلاهما يتكلم وهو يلهث وكأنهما طفلان بعد مشادة . . يتنفسان بعمق وكل منهما منهك . . وينظر كل للآخر نظرات شاردة . . يرتعشان ويلهثان وكأنهما انتزعا من معركة حامية) .

بريك : أحسنت يا ماجى . .

مارجريت : ما عليك إلا أن تخط سطوراً قليلة على هذه البطاقة.

بريك : اكتبى أنت أى شىء ياماجى .

مارجريت : لابد أن تكون بخط يدك . . إنها هديتك . . لقد قدمت له هديتى . . فلابد أن تكون البطاقة بخط يدك (يبدأ التوتر بينهما من جديد . . يحتد صوتهما مرة أخرى) .

بريك : لم أشتر له هدية . .

مارجريت : لقد اشتريت الهدية نيابة عنك .

بريك : عظيم . . إذن اكتبى أنت البطاقة .

مارجريت : وأدعه يعرف أنك نسيت عيد ميلاده ؟

بريك : لم أتذكر عيد ميلاده .

مارجريت : ليس هناك مايدعوك لتأكيد ذلك . . لأن تسجل ذلك على نفسك .

بريك : لا أريد أن أخدعه فى ذلك . .

مارجريت : فقط أكتب « مع أطيب التمنيات » أستحلفك . .

بريك : لا . .

مارجريت : بل يتحتم عليك .

بريك : لايتحتم علىّ أن أفعل شيئاً لا أريده . . أنت دائماً تنسين الشروط التى قبلت أن أستمر معك على أساسها

مارجريت : (تقول قبل أن تدرك وقع كلماتها) أنا لا أعيش معك . . نحن محبوسان فى قفص واحد . .

بريك : عليك أن تتذكرى الشروط التى وافقت عليها . .

مارجريت : إنها شروط مستحيلة . .

بريك : إذن لم لا . .

مارجريت : ش ش ش . . من هناك ؟ هل أحد بالباب ؟
(وقع أقدام فى البهو) .

مى : (فى الخارج) أتسمحان لى بالدخول لحظة ؟

مارجريت : آه . . أنت . . بكل تأكيد . . ادخلي يا مي.

(مي تدخل وهي ترفع عالياً قوساً يستعمله النساء في الصيد) .

مي : بريك . . أهذا قوسك ؟

مارجريت : سيدتي الأخت . . هذه جائزة الصيد فزت بها في مباراة للرماية أقيمت بين الكليات على ملاعب كليتنا . .

مي : إنه أمر خطير للغاية أن تتركوا مثل هذا القوس في متناول أطفال أشقياء يستهويهم اللعب بالأسلحة..

مارجريت : على الأطفال الأشقياء الذين تستهويهم الأسلحة أن يتعلموا ألا يمسوا أشياء لاتخصهم . .

مي : ماجي . . عزيزتي . . لو أنك أنجبت أطفالالأدركت سخف ماتقولين . .هلا تفضلت بوضعه في مكان موصد بحيث لايتمكن الأطفال من الوصول اليه ؟

مارجريت : يا سيدتي الأخت لاأحد يتآمر على حياة أطفالك.. ولازال كلانا يحمل تصريح الرماية . . وسوف نخرج لصيد الغزلان في مونليك بمجرد أن يبدأ الموسم .. أحب أن أجري ومعنا الكلاب في الغابات الباردة . . أجرى وأجري . . وأقفز فوق الحواجز . .

(تدخل غرفة الملابس وهى تحمل القوس) .

مى : كيف حال رسغك المصاب يا بريك ؟

بريك : إنه لايؤلمنى . . مجرد وخز .

مى : آه . . بريك . . بريك . . ليتك كنت معنا بعد العشاء . . لقد قدم الأطفال عرضاً . . عزفت بولى على البيانو ودق بسترو سونى الطبلة ثم أطفأوا الأنوار وقدم ركسى ، وتركسى ، رقصة على أطراف الأصابع وهما بملابس الجنيات .. فابتسم الوالد . . مجرد ابتسام .

مارجريت : (من داخل الحجرة الصغيرة بضحكة حادة) إن قلبى يتمزق إذ فاتنا أن نشاهد هذا العرض .. (تعود للحجرة) ولكن يامى لم أطلقت على أطفالك أسماء كلاب ؟ .

مى : أسماء كلاب ؟

(مارجريت أبدت هذه الملاحظة وهى فى طريقها لترفع الستائر الخيزران لأن وهج الشمس قد تناقص . وتغمز لبريك بعينها أثناء مرورها) .

مارجريت : (برقة) ركسى . . تركسى . . بستر . . سونى .. بولى . . كأنهم أربع كلاب وببغاء . . حيوانات تؤدى مشهداً فى سرك . .

مى : ماجى !

(مارجريت تلتفت مبتسمة).

تسلكين سلوك القطط ؟

مارجريت : لأنى قطة .. لماذا لاتتقبلين الدعابة ياسيدتى الأخت؟

مى : لاشىء يسعدنى أكثر من دعابة مرحة .. أنت تعرفين الأسماء الحقيقية لأطفالى .. فاسم بستر الحقيقى روبرت .. واسم سونى الحقيقى سوندرز .. وتركسى اسمها الحقيقى مارلين .. ودكسى ...

(شخص يناديها من الدور السفلى .. تجرى إلى الباب وهى تقول) :

انتهت الاستراحة :

مارجريت : (بينما تغلق مى الباب) ماهو يا ترى الإسم الحقيقى لدكسى ؟

بريك : ماجى .. سلوك القطط لايجدى شيئاً ..

مارجريت : أعرف ذلك! .. لماذا! — أسلك سلوك القطط؟ أترى لأن الحسد يأكلنى والرغبة تنهشنى؟ بريك .. لقد أخرجت لك حلتك الشانتونج الحريرية الجميلة التى اشتريتها من روما وقميصاً من قمصانك الحريرية التى عليها اسمك . وسأضع فيه أزرار الأساور ..

تلك النجمتين الياقوتتين الجميلتين اللتين قليلا ما تستعملهما .

بريك : لن أستطيع ارتداء البنطلون فوق هذا الجبس

مارجريت : نعم تستطيع ذلك . . سوف أساعدك ..

بريك : لن أرتدى ملابس يا ماجى .

مارجريت : هل تكتفى بارتداء البيجاما الحريرية البيضاء ؟

بريك : نعم ، هذا ما سأفعله يا ماجى ..

مارجريت : شكراً لك . . شكراً جزيلا . .

بريك : عفوا .

مارجريت : آه بريك . . إلى متى يظل الأمر هكذا ؟ هذا العقاب ؟ ألم يكف مامضى ؟ ألم تنته مدة العقوبة . ألا أستطيع التقدم بطلب العفو ؟

بريك : ماجى — أنت تفسدين علىّ لذة الشراب . . منذ مدة وصوتك يبدو وكأنك صعدت السلم قفزاً لتحذرى شخصاً من حريق بالمنزل .

مارجريت : صحيح . . ولاعجب . . لاعجب .. أنت تعرف ما أحس به يا بريك ، أليس كذلك ؟

(تختلط أصوات الأطفال والكبار فى الطابق الأسفل يرددون بصوت عال غير متميز أنشودة « وردتى البرية الأيرلندية ») .

أحس طوال الوقت كقطة فوق سطح صفيح ساخن.

بريك : إذن اقفزى من على هذا السطح .. اقفزى بعيداً عنه . . فالقطط تستطيع أن تقفز من أعلى الأسطح وتهبط على الأرض على أرجلها الأربع دون أن يصيبها أذى . .

مارجريت : آه . . هذا صحيح . .

بريك : افعلى ذلك . . استحلفك بالله . . افعلى ذلك . .

مارجريت : أفعل ماذا ؟

بريك : اتخذى لنفسك عشيقاً .

مارجريت : لا أستطيع أن أرى رجلا سواك . . حتى حين أغمض عينى فانى أراك أنت وحدك . لم لاتصبح قبيحاً يا بريك . . لم لاتكون قبيحاً أومترهلا حتى أستطيع تحمل الأمر؟

(تندفع إلى باب البهو تفتحه وتنصت) .

الحفل الموسيقى لايزال مستمراً ! أحسنتم ياعديمى الرقاب .. أحسنتم ! .

(تدفع الباب بقوة وتغلقه بعنف) .

بريك : لم أغلقت الباب؟

مارجريت : لنحظى بخلوة لفترة وجيزة .

بريك : أنت أدرى يا ماجى . .

مارجريت : أبدا . . لا أدرى أكثر منك .

(تندفع نحو أبواب الشرفة وتسدل الستائر الحريرية الوردية عليها) .

بريك : دعك من هذه البلاهة .

مارجريت : لايضيرنى أن أكون بلهاء معك .

بريك : ولكنه يضايقنى أنا ياماجى.. انى أحس بالحرج من أجلك . .

مارجريت : تحس بالحرج ؟ فلتكف عن تعذيبى . لا أستطيع الاستمرار فى العيش فى هذه الظروف..

بريك : لقد وافقت على . .

مارجريت : أعرف ذلك . . ولكن . .

بريك : — قبول هذا الشرط . .

مارجريت : لا أستطيع . . لا أستطيع . . لا أستطيع ..
(تمسك بكتفه) .

بريك : اتركينى .

(يفلت منها ويمسك بمقعد صغير ويرفعه وكأنه مروض أسود فى مواجهة قطة كبيرة فى سرك . . تمر خمس ثوان . . تحملق فيه وهى تضغط بقبضة

يدها على فمها . . ثم تنفجر فى ضحكة حادة شبه هستيرية .. يبقى بريك جادا للحظة .. ثم يبتسم ويضع المقعد على الأرض . . الوالدة تنادى خلف الباب المغلق) .

الوالدة : يا بنى . . يا بنى . . يا بنى !

بريك : ما الأمر يا أماه ؟

الوالدة : (فى الخارج) آه يا بنى . . لقد جاءنا أسعد خبر عن الوالد وشعرت أنه يجب الإسراع لأخبرك فوراً. (تحرك مقبض الباب) هذا الباب – لماذا هو موصد؟ أتعتقدون جميعاً بوجود لصوص بهذا المنزل ؟

مارجريت : أماه بريك يرتدى ثيابه . . ولم ينته بعد .

الوالدة : ولكن ، ليست هذه المرة الأولى التى أرى فيها بريك بدون ثيابه . هيا افتحى هذا البا ب . ! (مارجريت تلوى وجهها وتذهب لتفتح باب البهو بينما يقفز بريك مسرعاً إلى الحمام ويدفع الباب برجله ويغلقه . . تختفى الوالدة من البهو) .

مارجريت : أماه !

(تظهر الوالدة من خلال أبواب الشرفة من الجانب الآخر خلف مارجريت . . ترغى وتزبد مثل كاب

ضخم عجوز . . وهى امرأة قصيرة ممتلئة . . تتنفس بصعوبة أغلب الوقت من تأثير الستين عاما ، والمائة وسبعين رطلا . . وهى دائماً مشدودة كالملاكم أو بالأحرى كمصارع يابانى . . وأسرتها ربما كانت تفضل أسرة الوالد بعض الشىء ولكن الفارق لم يكن كبيراً . . ترتدى فستانا دانتيل أسود أو فضياً وعلى الأقل ماقيمته نصف مليون من الجواهر اللماعة .. تعبيراتها دائماً صادقة لاتصنع فيها) .

الوالدة : (بصوت مرتفع يفزع مارجريت) هأنذا جئت من باب الشرفة الخاص بمى وجوبر .. أين بريك ؟ بريك ! أسرع واخرج من هناك يا بنى . . ليس عندى من الوقت سوى ثانية واحدة وأود أن أنقل لك الخبر الخاص بأبيك . . انى أكره الأبواب الموصدة فى أى بيت .

مارجريت : (تتصنع الخفة) لاحظت ذلك يا أماه .. ولكن يجب أن يكون للناس لحظات يختلون فيها بعيدين عن غيرهم — أليس كذلك ؟

الوالدة : لايا سيدتى .. لا أحب هذا فى بيتى (دون توقف) لــماذا خلعت فستانك ؟ رأيى أن الفستـان المطرز بالدانتل جميل جداً عليك يا عزيزتى .

مارجريت : وأنا أيضاً أرى أنه جميل علىّ .. ولكن أحد الصغار خفاف الظل جارى على مائدة الطعام استعمله بدلا من الفوطة ولذا . .

الوالدة : (تلتقط جوربا ملقياً على الأرض) ماذا ؟

مارجريت : تعرفين يا أماه أن مى وجوبر شديدى الحساسية من ناحية هؤلاء الأطفال — شكراً يا أماه . .

(دفعت الوالدة بالجورب الذى التقطته فى يد مارجريت وهى تزوم) لدرجة أنك لاتجسرين على القول أن هناك مجالا للإصلاح .

الوالدة : بريك — أسرع واخرج .. كنى ياماجى .. الحق إنك لاتحبين الأطفال .

مارجريت : انى أحب الأطفال جداً — بل أعبدهم — إذا ما أحسنت تربيتهم .

الوالدة : (فى لطف وحب) عظيم . . إذن لم لاتنجبين عدداً منهم . . وتحسنين تربيتهم بدلا من التندر طول الوقت بأطفال جوبر ومى ؟

جوبر : (ينادى على السلم بصوت مرتفع) يا أماه . . ان بيتسى وهيو قررا الانصراف وهما ينتظران توديعك .

الوالدة : اطلب منهما أن ينتظرا . . سأنزل بعد لحظة . .
(تتجه إلى الحمام وتنادى) .
بنى ! أتسمعنى من عندك ؟
(يجيب بصوت مكتوم) .
لقد جاءنا الآن التقرير الكامل من معامل مستشفى أوكزنر . . النتيجة سلبية تماما يا بنى . . كل شيء سلبي . . من أول شيء لآخر شيء . . ليس بالوالد سوى اختلال وظيفى بسيط يسمونه تشنج القولون.. أتسمعنى يا بنى ؟

مارجريت : أجل . . يستطيع سماعك يا أماه . .

الوالدة : إذن لم لايقول شيئا ؟ يا إله السموات . . ان خبراً كهذا عن الوالد يجب أن يجعله يرقص . . لقد جعلنى الخبر أرقص طرباً . . لقد صحت وشهقت ووقعت على ركبتى . . انظرى (ترفع رداءها) أترين الكدمات التى أصابت ركبتى ؟ لقد تطلب الأمر طبيبين حتى أتمكن من الوقوف مرة ثانية .
(تضحك وهى دائماً تضحك من نفسها ملء شدقيها) .
لقد ثار الوالد علىّ .. ولكن أليس هذا الخبر رائعاً ؟
(تواجه الحمام ثانية وتستمر) .

بعد كل هذا القلق الذى مررنا به يصلنا تقرير كهذا وفى عيد ميلاد الوالد ؟ لقد حاول الوالد أن يخفى غبطته لهذا الخبر الذى أزاح كابوس القلق عن ذهنه . . ولكن ذلك لم ينطل علىّ . . لقد أوشك أن يبكى .

(صيحات وداع تسمع فى الطابق السفلى فتجرى إلى الباب) .

احجزوا هؤلاء الناس عندكم . . لاتسمحوا لهم بالخروج . . هيا ارتد ملابسك . . سنصعد إلى هذه الغرفة لإقامة حفل عيد الميلاد لنعفيك من النزول . .

كيف حال رجله يا ماجى ؟

مارجريت : مكسورة يا أماه .

الوالدة : أعرف أنها مكسورة .

(يدق التليفون فى البهو . . صوت زنجى يرد : « منزل السيد بولى ») أقصد أما زالت تؤلمه ؟

مارجريت : متأسفة لا أستطيع أن أجيبك على هذا السؤال ياأماه . . عليك أن تسألى بريك إذا كانت لاتزال تؤلمه أم لا . .

سوكى : (فى البهو) مكالمة من ممفيس ياسيدتى . . انها الآنسة سالى من ممفيس .

الوالدة : طيب ياسوكى .

(تندفع الوالدة إلى البهو وتسمع وهى تصيح فى التليفون) هالو يا آنسة سالى كيف حالك يا آنسة سالى . . نعم لقد كنت على وشك أن أطلبك لأخبرك . .أششت !

(ترفع صوتها ليصبح خوارا) .

يا آنسة سالى . . لاتطلبينى أبداً من بهو جايوسو.. يوجد صخب كثير فى بهو ذلك الفندق .. ولاعجب أنك لاتستطيعين سماعى . . والآن أنصتى يا مس سالى ؟ . ليس هناك أى خطر يهدد صحة الوالد .. لقد جاءنا التقرير لتوه . . ليس هناك أى شيء سوى ما يسمى تشنج القولون .

(تظهر عند باب البهو تنادى مارجريت) .

ماجى تعالى وتحدثى مع هذه البلهاء فى التليفون . . لقد انقطع نفسى من الصياح . .

مارجريت : (تخرج وتسمع وهى تتحدث بعذوبة فى التليفون) آنسة سالى ؟ أنا زوجة بريك — ماجى .. أنا مسرورة لسماع صوتك.. هل تستطيعين سماعى؟ عظيم .. الوالدة تودك أن تعرفى أنهم حصلوا على التقرير من مستشفى أوكزنر وان مايشكو منه الوالد هو تشنج القولون .. نعم تشنج فى القولون يا آنسة سالى . . بالضبط ..

تشنج فى القولون . . وداعا يا آنسة سالى وآمل أن أراك قريبا . .

(تنهى الحديث قبل أن تبدو الآنسة سالى مستعدة لإنهائه بقليل — تعود من باب البهو) .

لقد سمعتنى بوضوح تام . . لقد اكتشفت أنه عند التحدث إلى الصم يحسن ألا نصرخ بل يجب أن ننطق بوضوح . . لقد كانت خالتى كورنيلا صماء كالأموات ولكنى كنت أجعلها تسمعنى بأن أقول كل كلمة ببطء ووضوح بالقرب من أذنها — لقد كنت أقرأ لها مجلة تجارية كل مساء . وكنت أقرأ لها الإعلانات المبوبة فيها ولم يفتها منها شىء ولكنها كانت عجوز بخيلة جداً . . أتعرفين ما نلته منها حين ماتت ؟ اشتراكاتها التى لم تستنفدها فى خمس مجلات ونادى كتاب الشهر ومكتبة جمعت أسخف الكتب . . وما عدا ذلك آل إلى أختها الملعونة . . وهى أبخل من أختها التى ماتت .

(كانت الوالدة ترتب الأشياء فى الغرفة أثناء هذا الحديث) .

الوالدة : (تغلق باب الخزانة على الملابس المخلوعة) لاشك أن الآنسة سالى مشكلة والوالد يقول وإن

يدها دائما ممدودة تطلب شيئا وهو على صواب . .
هذه العجوز المسكينة دائما تمد يدها تطلب شيئاً . .
ولا أظن الولد يعطيها بالقدر الذى ينبغى .
(شخص ينادى عليها من الطابق الأسفل وترد صائحة) أنا قادمة !

(تبدأ فى الخروج . . وعند باب البهو تلتفت وتشير بالسبابة أولا تجاه باب الحمام ثم تجاه خزانة الشراب وكأنها تتساءل « هل كان بريك يشرب ؟ » وتتظاهر مارجريت بأنها لاتفهم وترفع رأسها ثم ترفع حاجبيها وكأن العرض الصامت لغز غامض عليها .. تسرع الوالدة فى العودة إلى مارجريت) .
انطقى . . كفى عن تمثيل دور الخرساء .. أعنى ألا يزال يشرب كثيراً من هذا الخمر ؟

مارجريت : (بضحكة قصيرة) آه . . أظنه أخذ كوباً طويلا من الويسكى بالصودا بعد العشاء .

الوالدة : ليس فى هذا مايضحك . . بعض العزاب يكفون عن الشراب عندما يتزوجون والبعض يبدأ الإدمان بعد الزواج . . ولم يلمس ابنى الخمر قبل أن . .

مارجريت : (تصرخ) هذا ظلم .

الوالدة : عدل أوظلم . . أود أن أوجه لك سؤالا — هل

تسعدين بريك كزوجة ؟ .

مارجريت : لم لاتسألين ان كان هو يسعدنى كزوج ؟

الوالدة : لأنى أعرف أن . .

مارجريت : ان ما تعنينه يصدق على الطرفين .

الوالدة : لابد أن هناك علة . . انت لم تنجبى أطفالا وابنى يدمن الخمر . .

(ناداها شخص من الطابق الأسفل فاندفعت إلى الباب بمجرد انتهائها من العبارة السابقة . . تقف عند الباب وتشير للفراش) .

عندما ينهار الزواج فان المتاعب تبدأ من الفراش..

هذا الفراش !

مارجريت : هذا (الوالدة خرجت مسرعة من الغرفة وأغلقت الباب بعنف) ليس عدلا .

(مارجريت وحيدة . . وحيدة تماما . . وتحس بذلك – تنسحب للداخل وتقوس كتفيها وترفع ذراعيها بقبضة يدها مضمومة وتغمض عينيها بشدة كطفل على وشك أن تغرس فى جسمه ابرة تطعيم.. عندما تفتح عينيها مرة أخرى فإن ما تراه هوالمرآة البيضاوية الطويلة وتجرى مباشرة اليها .. تحملق فيها باستخفاف وهى تقول « من أنت » ؟ ثم

تنحنى قليلا وتجيب بنفسها فى صوت مختلف يبدو عاليا ورفيعا فيه سخرية « أنا ماجى القطة » . . تنتصب بسرعة عندما يفتح باب الحمام قليلا ، ويناديها بريك) .

بريك : هل ذهبت الوالدة ؟

مارجريت : ذهبت .

(يفتح باب الحمام ويقفز خارجا . . فى يده كأس وقد فرغت ويتجه إلى خزانة الخمر . . يصفر فى هدوء. رأس مارجريت تدور على رقبتها الطويلة الرشيقة لترقبه . . ترفع يدها فى تردد إلى أسفل رقبتها وكأنها تجد صعوبة فى أن تبتلع قبل أن تتكلم) . أتعرف أن علاقتنا الزوجية لم تنته بطريقة عادية . . لقد فترت قبل أن يحين أوانها بكثير وسوف تنشط ثانية بشكل مفاجىء تماما .. انى واثقة من ذلك .. ولذلك أحافظ على جاذبيتى . . إلى الوقت الذى ترانى فيه مرة أخرى كما يرانى الرجال الآخرون.. نعم كما يرانى الرجال الآخرون .. لازال الناس يرمقوننى ويعجبون بى .. ان بعضهم على استعداد ليقدم . . انظر يا بريك .

(تقف أمام المرآة البيضاوية وتتلمس صدرها ثم

أردافها بكلتى يديها) كيف أحتفظ بقوامى . .
لم يتهدل فيه شيء . . أى شيء . .

(صوتها هادئ ومرتعش كطفل يتوسل . . فى هذه اللحظة حينما يستدير ليلمحها — بنظرة لاعب يقذف الكرة لزميله وهناك آخر يقذفها له ليصيب الهدف — عليها أن تستحوذ على انتباه المستمعين بقوة — تشدهم إليها وتستمر حتى الفاصل الأول دون أى تراخ) .

غيرك من الرجال لايزالون يشتهوننى . . يبدو وجهى مكدوداً أحياناً ولكنى حافظت على قوامى كما حافظت أنت على قوامك . . والرجال معجبون بى . . فأنا مازلت أدير الرءوس عندما أمشى فى شارع . . فى الأسبوع الماضى أينما ذهبت فى ممفيس كانت نظرات الرجال تخرق ثقوباً فى ثيابى — فى النادى الريفى وفى المطاعم وفى المحلات لم أر رجلا مر بى أو التقى بى إلا والتهمنى بعينيه واستدار بعد أن مررت ليعاود النظر إلى . . وفى الحفل الذى أقامته إليس لأبناء عمها القادمين من نيويورك تبعنى أوسم رجل فى الحشد وصعد الدرج خلفى وحاول أن يقتحم حجرة السيدات ورائى . . تبعنى حتى

الباب وحاول أن يشق طريقه . .

بريك : ولم لم تسمحى له بالدخول ياماجى ؟

مارجريت : لأنى لست رخيصة لهذا الحد: هذا أولا .. لا أقول انى لم أكن على وشك لاستسلام للإغراء .. أتحب أن تعرف من هو ؟ لقد كان سونى بوى ماكسويل . .

بريك : أوه . . سونى بوى ماكسويل ! لقد كان ممتازاً فى رياضة الجرى ولكنه أصيب إصابة بسيطة فى ظهره فاضطر أن يعتزل .

مارجريت : لم تعد به إصابة . وهو أعزب ومازال يشتهينى . .

بريك : مادام الأمر كذلك فلا أرى سبباً يجعلك تمنعينه من دخول حجرة السيدات . .

مارجريت : ويجىء شخص يضبطنى متلبسة ؟ لست غبية إلى هذا الحد . . آه ربما أخونك يوما ما مادمت تواقاً لحملى عليه بهذا الشكل المهين . . ولكن لوفعلت ذلك فتأكد تماما أن ذلك سيكون مع رجل فى مكان وزمان لن يعرفهما أحد سوانا . . فلن أعطيك تكئة لتطلقنى لأنى خائنة أو لأى سبب آخر .

بريك : لن أطلقك يا ماجى بسبب الخيانة أو لأى سبب آخر . . ألا تعرفين ذلك ؟

أقسم أنى سأستريح لوعرفت أنك اتخذت لنفسك عشيقاً . .

مارجريت : ولكنى . . لن أخاطر . . لا . . إنى أفضل أن أبقى على هذا السطح من الصفيح الساخن . .

بريك : البقاء على سطح الصفيح الساخن شيء مرهق . .
(يبدأ فى الصفير بهدوء) .

مارجريت : (يسمع صوتها خلال صفيره) نعم ولكنى أستطيع البقاء فوقه طالما اضطررت لذلك . .

بريك : فى وسعك أن تتركينى يا ماجى . .

: يستأنف صفيره . . تستدير بسرعة لتدقق النظر اليه)

مارجريت : لا أريد . . ولن أفعل . . هذا بالإضافة إلى أنى لو فعلت . . فانك لا تملك سنتا واحداً تدفعه نفقه لى إلا ماتحصل عليه من الوالد . . وهو سيموت بالسرطان .

(للمرة الأولى يبدو بشكل واضح أن بريك قد تنبه إلى إدراك مصيره . . فينظر إلى مارجريت) .

بريك : أمى قالت الآن أنه لن يموت وأن التقرير طيب.

مارجريت : هذا ما تظنه لأنها سمعت نفس القصة التى قالوها لأبيك . . وانطلت عليها تماما كما انطلت عليه . .

يا لهم من مسنين بؤساء .. ولكنهم سيخبرونها
بحقيقة الأمر هذه الليلة .. عندما يذهب الوالد
لفراشه سيقولون لها أنه سيموت بالسرطان(تدفع
بشدة درج التسريحة) ان المرض خبيث فتاك .

بريك : هل يعرف الوالد ذلك ؟

مارجريت : يا للجحيم ! وهل يعرف أحد منهم الحقيقة ..
لاتجد من يصارحهم بها فلابد أن تخدعهم ..
ولابد أن يخدعوا هم أنفسهم

بريك : لماذا ؟

مارجريت : لماذا ! لأن معشر الناس يحلمون بحياة خالدة ، ذلك هو
السبب ولكن أكثرهم يريدها هنا على الأرض لا فى
السماء (يضحك ضحكة قصيرة جافة على هذه اللفتة
المرحة) نعم .. (تستعمل كحل الرموش) هذا
هو الموقف .. على أى حال .. (تنظر حولها)
أين وضعت سيجارتى ؟ لا أريد أن أحرق البيت..
على الأقل لاأريد ذلك وجوبر ومى ووحوشهم
الخمسة فيه .
(وجدت السيجارة وجذبت نفس الدخان بشراهة.
تنفث الدخان وتستمر فى الحديث) .
عليه فإن هذا آخر عيد ميلاد للوالد .. ومى

وجوبر يعرفان ذلك . .نعم يعرفان ذلك جيداً . .
عرفوا الخبر اليقين من مستشفى أوكزنر . . ومن
أجل ذلك عادوا مسرعين بوحوشهم عديمى
الرقاب . . أتعرف السبب ؟ ان الوالد لم يكتب
وصيته . . لم يكتب الوالد وصية طول حياته . .
ولذلك قامت هذه الحملة لتبرز له بوضوح أنك
مدمن للخمر واننى عاقر .
(يبقى محملقاً فيها لحظة ثم يتمتم كلمات فى حدة
ولكنها لم تسمع ثم يعرج مسرعاً إلى الشرفة الطويلة
فى الضوء الذهبي الذى خفت كثيراً) .

مارجريت : (مسترسلة فى ترانيمها الدينية) أتعرف ؟ . انى
مولعة بالوالد . . انى حقاً مولعة بهذا الرجل العجوز .
انى فعلا مولعة . . أتعرف .

بريك : (بهدوء وغموض) نعم . أعرف أنك . .

مارجريت : لقد كان يعجبنى دائماً رغم خشونته ورغم كلماته
البذيئة إلى غير ذلك . . لأن الوالد على سجيته لم
يتغير ولايحاول أن يكون دعيا . . لم يتحول إلى
الفلاح الجنتلمان . . لايزال فلاح المسيسبى الكادح
تماما كما كان وهو خولى يشرف على مزرعة جاك
سترو وبيتر أوكلو . . ولكنه استولى عليها وجعل

منها أكبر وأحسن مزرعة فى الدلتا ــ لقد أحببت الوالد دائما . .

(تعبر إلى مقدمة المسرح) .

أجل . . هذا آخر عيد ميلاد للوالد . . انى آسفة لذلك إلا انى أواجه الحقائق . . فرعاية مدمن الخمر تحتاج للمال وهذه هى المهمة التى وكلت بها مؤخراً .

بريك : لست ملزمة برعايتى .

مارجريت : بل انى ملزمة . . شخصان فى قارب واحد كل منهما مسئول عن رعاية الآخر . . أنت على الأقل تحتاج للمال لشراء المزيد من هذه الخمر الغالية عندما تنفد هذه الكمية . . أم أنك ستقنع بالجعة الرخيصة ؟ مى وجوبر يخططان لحرماننا من ممتلكات الوالد متذرعين بأنك تدمن الخمر وبأنى عاقر . . إلا أننا نستطيع إحباط هذه الخطة . . وسنحبط تلك الخطة . .

بريك . . أنت تعرف . . إننى كنت فقيرة فقراً مهينا طوال حياتى . . تلك هى الحقيقة يا بريك . .

بريك : لم أقل غير ذلك .

مارجريت : كنت دائماً مضطرة للتزلف لأناس لا أطيقهم لمجرد أنهم يملكون مالا وكنت أفقر من الفقر . . انك

لاتستطيع تصور ذلك . . دعني أشرح لك .. تصور نفسك على بعد آلاف الأميال من شرابك المشتهى تسعى إليه على ساقك المكسورة.. وبلا عكازة .

هكذا يشعر المرء حين يكون فقيراً ويضطر للتزلف لأقارب لمجرد أنهم أغنياء وهو يكرههم . . وكل ما يملك لفة من الملابس القديمة وقليل من سندات ضئيلة الفائدة عفى عليها الزمن . وكان أبي يحب الشراب . . لقد عشق الخمر كما تعشقت أنت شرابك . وهذا فى الوقت الذى كانت أمى تحاول المحافظة على مركزنا الاجتماعى وعلى مظهرنا بدخل شهرى لايعدو مائة وخمسين دولارا من عائد تلك السندات القديمة .

وفى السنة التى خرجت فيها للحياة العامة لم يكن لدى سوى ثوبين للسهرة . . أحدهما صنعته أمى من تصميم فى مجلة « فوج » والآخر قديم من ابنة عم بخيلة غنية كنت أمقتها . . والثوب الذى ارتديته فى حفل زفافنا كان فستان زفاف جدتى . . ولهذا ترانى كقطة فوق سطح صفيح ساخن . .

(بريك لازال فى الدهليز . . يناديه شخص ما فى الدور الأسفل بصوت زنجى دافىء « ياسيد بريك —

كيف الحال » ؟ بريك يرفع كأس الخمر وكأن في ذلك إجابة على السؤال) .

مرجريت : تستطيع الاستغناء عن المال وأنت شاب ولكنه ضروري في الشيخوخة . . فالشيخوخة بلا مال أمر بشع للغاية . . لابد من أحد اثنين . . إما أن تكون شابا وإما أن تكون ثرياً . . لاحياة للشيخوخة.. بلا مال . . تلك هي الحقيقة يا بريك .

(بريك يصفر في هدوء وشرود) .

ها قد ارتديت ثيابي . . لقد فرغت . . ولم يعد لي ما أفعله .

(تتحرك بقلق دون هدف . . وتتكلم وكأنها تحدث نفسها) .

أعرف متى وقعت في الخطأ . . ماذا ! آه . . أساوري (تلبس مجموعة من الأساور على معصميها . حوالى ستة على كل معصم وهي تتكلم) .

لقد فكرت كثيراً في هذا الموضوع وأدركت الآن متى وقعت في الخطأ — نعم ، لقد أخطأت عندما أخبرتك عن ذلك الشيء الذي حدث بيني وبين سكيبر — ما كان يجدر بي إطلاقاً أن أعترف بذلك — فمصارحتك بحقيقة العلاقة بيني وبين سكيبر كانت خطأ فاحشاً من جانبي .

بريك : ماجى ، لا تنطق بكلمة أخرى عن سكيبر ، إنى أعنى ما أقول يا ماجى. لاتذكرى شيئاً عن سكيبر.

مارجريت : يجب عليك أن تفهم أن سكيبر وأنا . . . .

بريك : تظنين أنى غير جاد يا ماجى ؟ أيخدعك أنى أقول ذلك بهدوء ؟ احذرى يا ماجى : إن ما تفعلين الآن شىء أخطر ، أنت — أنت — أنت — تستهترين بشىء — لاينبغى لأحد أن يلهو به ، أن يستهتر به .

مارجريت : أنا هذه المرة مصرة على أن أقول لك كل ماأريد قوله . لقد كان بينى وبين سكيبر علاقة غرامية — إذا استطعت أن تسمى مثل تلك العلاقةغ راماً — لقد اختلينا وذلك جعل كلا منا يشعر بأنه اقترب منك قليلا .الا ترى انك يا ابن اللبـ — كنت تتطلب من الناس أكثر من اللازم: منى أنا ومنه وكذلك من جميع التعساء البؤساء المعذبين الذين ابتلوا بحبك — وهم كثيرون — نعم هناك عدد كبير بالإضافة إلى سكيبر — كنت تطلب ممن يحبونك أكثر من اللازم بكثير — أيها المخلوق الأسمى — يا شبيه الآلهة — وهكذا اختلينا ليحلم كل منا بأنه يختلى بك ! نعم ، نعم ، نعم ! الحقيقة ، الحقيقة هذه . ما وجه الفظاعة فيها ؟ أحبها ، أعتقد أنا لحقيقة—

نعم – ما كان يجدر بى أن أخبرك . . .

بريك : (مستمراً فى رفع رأسه إلى الخلف بشكل غير طبيعى)

ان سكيبر هو الذى أخبرنى بالأمر ولست أنت يا ماجى .

مارجريت : لقد أخبرتك !

بريك : بعد ما أخبرنى هو !

مارجريت : وما الفرق بين ...

(بريك يستدير فجأة نحو الشرفة وينادى)

بريك : أنت يا بنية !

الفتاةالصغيرة: (على بعد) : ماذا – ياعمى بريك !

بريك : قولى للعائلة ليصعدوا – اطلبى من الجميع أن يصعدوا إلى هنا .

مارجريت : لا أستطيع أن أمسك عن الكلام . إذا لزم الأمر سأستمر فى التحدث إليك عن هذا الموضوع ، وأمامهم جميعاً .

بريك : يا بنية ! أذهبى . إذهبى من فضلك . افعلى ما أطلبه منك . ناديهم !

مارجريت : لأنه لابد من الإفضاء به وأنت ، وأنت لم تسمح لى قط !

(مارجريت تتنهد ، ثم تملك زمام نفسها وتستمر في الحديث — في شيء من الهدوء) .

إن ما حدث بيني وبين سكيبر شيء جميل ومثالى يشبه مايروى فى الأساطير الإغريقية .. وكيف يكون الأمر غير ذلك وأنت أنت .. وذلك ماجعل الأمر مؤسفاً ومزعجاً إلى هذا الحد .. فلقد كان حباً لم يمكن الوصــول به إلى شيء مرض أو الإفصاح عنه بوضوح .. بريك .. اسمع لابد أن تصدقنى .. بريك . افهم كل شيء عن الموضوع .. أظن أنه كان شيئاً نبيلا .. ألا ترى أنى صادقة حين أقول إنى أحترمه ؟ الفكرة الوحيدة التى أودتوكيدها هى أن عجلة الحياة يجب أن تدور حتى بعد أن تصفر الحياة من الأحلام .

(بريك بلا عكازة . يمر وهو متكىء على قطع الأثاث ليأخذها من الأرض بينما تستمر مارجريت وكأن قوة خارجية تسيطر عليها) .

أذكر أننا حين تواعدنا نحن الأربعة فى الكلية .. جلاديس فترجيرالد وأنا وأنت وسكيبر .. كان الأمر أقرب لموعدبينك وبين سكيبر .. أما أنا وجلاديس فلم نكن سوى تابعين لكما وكأنه كان

يجب أن نسيرَ فى ركابكما ليبدو المشهد رائعاً أمام الناس .

بريك : (يلتفت ليواجهها . . رافعا عكازته قليلا) ماجى أتريدين أن أضربك بهذا العكازة ؟ ألا تعلمين أنى أستطيع قتلك به ؟

مارجريت : يا إلهى . . أتظن أنى أكترث لهذا ؟

بريك : لكل إنسان جانب عظيم صادق ورائع فى حياته . . جانب عظيم صادق . . كانت تربطنى بسكيبر صداقة . . وإذا بك تسمينها اسما دنسا . .

مارجريت : لا أعتبرها مدنسة بل أعتبرها نظيفة .

بريك : الجانب الصادق العظيم فى حياتى يا ماجى كان صداقتى لسكيبر لا حبى لك . وتسمينها اسما دنسا !

مارجريت : إذن لم تكن منصتاً ولم تفهم ماقلت . . انى أعتبرها نظيفة للدرجة أنها أودت بسكيبر المسكين . . كان بينكما شيء وهذا الشيء كان يجب أن يحفظ فى ثلاجة حتى لايناله الفساد . . وكان الموت هو الثلاجة الوحيدة الصالحة لحفظه . .

لقد تزوجتك يا ماجى . . ما الذى جعلنى أتزوجك لو كنت فعلا ؟؟

مارجريت : بريك .. لاتجادل .. دعنى أكمل الحديث ..
صدقنى .. انى أعلم أنه لوكان هناك ثمة رغبة
لاشعورية تدنس العلاقة بينكما فان سكيبر هو
المسئول عنها .. والآن دعنى أختصر قليلا .. لقد
تزوجتنى مبكراً فى الصيف الذى تخرجنا فيه من
الكلية .. وكنا سعداء .. أليس كذلك ؟ كنت فى
نشوة .. نعم كنا نحلق فى ذرى السعادة كلمااختلينا
ولكن فى ذلك الخريف رفضت أنت وسكيبر عروضا
ممتازة للعمل لتظلا بطلين لكرة القدم .. أقصد
لتحترفا البطولة .. لقد نظمتما فريق « دكس ستارز »
فى ذلك الخريف لتظلا رفاقا فى الفريق إلى الأبد —
ولكن حدث خلل فى العلاقة حين دخلتُ بينكما —
بدأ سكيبر يدمن الخمر وأصبت أنت فى العمود
الفقرى ولم تتمكن من الاشتراك فى مباراة عيد
الشكر فى شيكاغو واكتفيت بمشاهدتها فى التليفزيون
على سرير متحرك فى توليدو .. وذهبت أنامع
سكيبر وخسر فريق الدكس ستارز لأن سكيبر
كان ثملا .. شربنا سويا طوال الليل فى باربلاكستون
وعندما بدأ النهار البارد ينبلج على البحيرة وخرجنا
ونحن سكارى لنلقى نظرة عليها قلت « سكيبر —

إما أن تكف عن عشقك لزوجي أو تجعله يسمح لك
بأن تبوح له بما بيننا من علاقة . إما هذا أو ذاك » .
فلطمني بشدة على فمي .. ثم استدار وجرى دون
توقف عائداً إلى غرفته فى الفندق . . وعندما ذهبت
لغرفته تلك الليلة . . نقرت على بابه كالفأر الصغير
المتردد وقام سكيبر بتلك المحاولة المؤسفة الفاشلة
ليثبت أن ماقلته لم يكن صحيحاً .

(بريك يوجه لها بالعكازة ضربة تحطم المصباح
المتلألىء على المنضدة) .

هكذا تحطم . . إذ صارحته بحقيقة كان هو والعالم
الذى ولد فيه ونشأ وهو نفس العالم الذى ولدت
فيه أنت ونشأت قد علمكما أنه لا يمكن الافصاح
عنها . . ومنذ ذلك الوقت لم يعد سكيبر سوى وعاء
للخمر والمخدرات . . من اصطاد العصفور ؟ أنا بـ
(تلقى برأسها إلى الخلف وتغمض عينيها بشدة)
بسهامى الرحيمة .
(بريك يوجه اليها ضربة بالعكازة لاتصيبها) .
آسفة . . لم تصبني — انى لا أحاول أن أدعى البراءة —
يا إلهي — لا يابريك . . أنا لست طيبة . . ولا أعرف
لم يتظاهر الناس بالطيبة .. ليس هناك إنسان طيب ..

فالأغنياء والموسرون يمكنهم احترام شكليات الأخلاق تلك القيم الخلقية التقليدية . . ولكنى لا أستطيع ذلك أبداً . . أجل — ولكنى صريحة . . أنصفنى فى ذلك فقط ، أرجوك . . لقد ولدت فقيرة ونشأت فقيرة وأتوقع أن أموت فقيرة اللهم إلا إذا وفقت فى الحصول على شىء من تركة الوالد عندما يموت بالسرطان .. ولكن يا بريك « لقد مات سكيبر ولازلت أنا على قيد الحياة . ماجى القطة .

(بريك يقفز إلى الأمام بارتباك ويرميها بعكازته) .

على قيد الحياة . . على قيد الحياة . . أنا .

(يقذفها بالعكازة عبر السرير الذى احتمت خلفه ويرتمى على الأرض وهى تكمل حديثها) .

على قيد الحياة . .

(تقتحم الغرفة طفلة صغيرة تلبس قبعة يرتديها الهنود الحمر وهى تطلق مسدس صوت على مارجريت وهى تصيح : طاخ .. طاخ .. طاخ .. ينساب الضحك فى الدور الأسفل من باب البهو المفتوح .. تنحنى مارجريت على السرير وهى تلهث عند دخول الطفلة . . تقوم الآن وتقول فى غضب مكتوم) .

يا بنت . . أملك أو غيرها يجب أن تعلمك (تلهث) أن تطرقي الباب قبل دخول الغرفة . . وإلا فقد يظن أنك بلا تربية .

ديكسى : ياه . . يا . . ماذا يفعل العم بريك على الأرض ؟

بريك : لقد حاولت أن أقتل ماجى . . ولكنى فشلت ووقعت . . ناولينى عكازتى يا بنيتى لكى أقوم من على الأرض .

مارجريت : أجل . . أعط عمك عكازته فهو قعيد ياعزيزتى . . لقد كسرت ساقه فى الليلة الماضية وهو يقفز الحواجز فى ملاعب المدرسة الثانوية .

ديكسى : لم كنت تقفز على الحواجز ياعمى ؟

بريك : لأنى اعتدت أن أقفز ويحب الناس أن يمارسوا ما اعتادوا عليه حتى لو فقدوا القدرة على ذلك .

مارجريت : هذا صحيح . . هذا هو جوابك . . اذهبى يابنتى . . (ديكسى تطلق مسدس الصوت ثلاث مرات على مارجريت) .
كفى . . كفى عن ذلك أيتها الوحش الصغير قصيرة الرقبة .

(تمسك بالمسدس وتلقى به من باب الشرفة) .

ديكسى : (لديها رغبة لألوان من العنف لاتناسب سنها كطفلة) انك تغارين . . انك تغارين لأنك . لاتستطيعين إنجاب أطفال . .

(تخرج لسانها لمارجريت وهى تمر بجانبها نافخة بطنها أتخرج للشرفة تدفع مارجريت أبواب الشرفة بعنف وتتكىء وهى تلهث على الباب . . صمت.. استبدل بريك كأسه الذى وقع على الأرض وجلس بعيداً على السرير الكبير ذى الأربعة أعمدة) .

مارجريت : هاقد رأيت أنهم مغتبطون لأننا لم ننجب .. حتى فى حضور وحوشهم الصغار قصار الرقاب..

(صمت . . ثم تقترب أصوات على الدرج) .

بريك . . لقد زرت طبيباً فى ممفيس . . إخصائيا فى أمراض النساء . . لقد فحصنى فحصاً شاملا وليس ثمة سبب يمنعنا من الإنجاب إذا أردنا ذلك.. وهذا الوقت من الشهر أنسب الأوقات للحمل بالنسبة لى . . هل تنصت لى ؟ هل تنصت ؟ . هل تنصت لى ؟

بريك : نعم . . أسمعك يا ماجى .

: (يعاود النظر لوجهها المحتقن) .

ولكن كيف تتصورين أن يكون لك طفل من رجل لايطيقك ؟

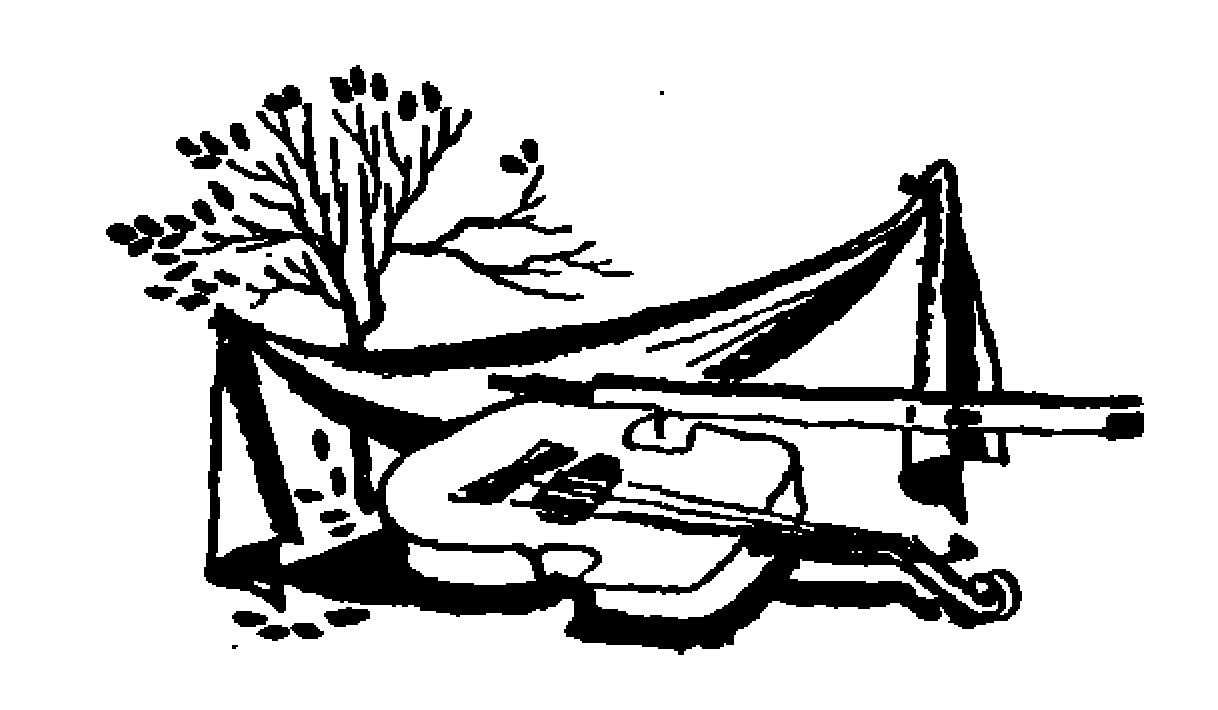
مارجريت : هذه مشكلة وعلى أن أجد لها حلا ..

(تستدير لتواجه باب البهو) .

إنهم قادمون . .

(تخفت الأضواء) .

ينزل الستار



الفصل الثانى

(ليس هناك فاصل زمنى — تظهر مارجريت ، وبريك فى نفس المكان الذى كانا به عند نهاية الفصل الأول) .

مارجريت : (بالباب) هاهم قد جاءوا !

(يظهر الأب أولا ، وهو رجل طويل القامة فى نظراته قلق وصرامة ، وهو يتحرك بحذر حتى لاينكشف ضعفه خصوصاً أمام نفسه) .

الأب : بريك .

بريك : أهلا أبى . . تهانينا !

الأب : ملل كلها الحياة . .

(يظهر بعض القوم يدخلون ردهة البيت وآخرون يعبرون الممر وتسمع أصوات من كلا الاتجاهين يظهر جوبر والقس توكر خارج أبواب الردهة وتصل أصواتهم بوضوح . ثم يتوقفون بالخارج . بينما يشعل جوبر سيجاراً) .

القس توكر : (بحماس) أوه ، ولكن فى كنيسة القديس بولص فى غرناطة ثلاث نوافذ تذكارية أحدثها من الزجاج الملون الفاخر الذى تكلف ألفين وخمسمائة من الدولارات وهى عبارة عن صورة للمسيح الراعى الصالح وبين ذراعيه حمل . .

جوبر : ومن الذى أهدى هذه النافذة يا حضرة الواعظ ؟

القس توكر : أرملة كليد فلتشر ، كما أنها أهدت كنيسة القديس بولص حوضا للتعميد .

جوبر : هل تعلم ما يجب أن يتبرع به أحد القوم لكنيستك؟ ، جهاز تكييف ؟

القس توكر : صدقت ياسيدى بوب ! . . . . وهل تعلم ماقدمت أسرة جس هما لكنيسة النهرين تخليداً لذكراه ؟ لقد قدمت بيتا جديداً كاملا من الحجر لراعى الكنيسة وأقامت بالبدرون ملعباً لكرة السلة..

الأب : (يضحك بصوت مرتفع صاخب ولكنه أبعد ما يكون عن المرح الصادق) . أيها القس . .ماكل هذا الحديث عن التذكارات ياقس . . أتظن أن أحداً هنا سيفارق الدنيا قريباً ؟ أهذا هو ؟

(القس توكر يفزعه هذا السؤال فيجد لزاما عليه

أن يضحك بكل ما يستطيع من قوة . كيف يمكنه
أن يجيب على هذا السؤال ؟ — هذا أمر لن
نعرفه — فقد أعفاه من هذا الحرج صوت مى
زوجة جوبر يرتفع عاليا وواضحاً عندما تظهر
مع الدكتور بوطبيب الأسرة . قادمين من باب
الصالة) .

مى : (بصوت يغلب عليه الورع) سوف نرى الآن ،
لقد أخذوا المصل المضاد للتيفود .. والمصل المضاد
للتيتانوس . . وأخذوا مصلا ضد الدفتريا وضد
التهابات الكبد . . وضد الشلل .. لقد أخذوا هذه
الأمصال طيلة الشهور من مايو إلى سبتمبر ولكن
جوبر ؟ يا جوبر . . ما الهدف من تعليم الأطفال
بهذه الأمصال ؟

مارجريت : (وقد تداخل بعض حديثها فى الحديث السابق)
أدر جهاز التليفزيون يا بريك ! علنا نستمع إلى
بعض الموسيقى نبدأ به هذا الحفل !

(يشترك الجميع فى الحديث حتى أن الحجرة تصبح
كقفص كبير ملىء بالطيور اختلطت أصواتها .
بريك هو الوحيد الذى لايشترك فى الحديث وهو

يبدو مستنداً على خزانة الخمر بابتسامته الشاردة وفى يده مكعب من الثلج ملفوف فى قطعة من الورق يمسح بها جبينه من وقت لآخر . . وهو لايستجيب لطلب مارجريت .. تقفز إلى الجهاز وتنحنى فوق لوحة الأزرار) .

جوبر : لقد أهديناهما هذا الجهاز فى مناسبة العيد الثالث لزواجهما . . وهو مزود بثلاثة مكبرات للصوت .

(يكتسح الحجرة صوت موسيقى أوبرا فاجنر أو سيمفونيه بيتهوفن على أشده) .

الأب : اقفلوا هذا الجهاز اللعين !

(سكون يسود فى الحال .. وفى الحال يقطعه صياح الأم وهى تقتحم الصالة وكأنها خرتيت مهاجم) .

الأم : أين ابنى بريك . ابنى الغالى !

الأب : آسف ! افتح الجهاز ثانية !

(الكل يضحكون بصوت مرتفع . فالأب معروف بنكاته الساخرة من الأم . ولا يضحك أحد لهذه النكات قدرما تضحك الأم نفسها ، ولو أن هذه النكات كثيراً ماتكون قاسية ، فتلجأ الأم إلى شغل نفسها بالحديث فى أى شىء لتدارى الإساءة

التى لاتستطيع الضحكات الصاخبة أن تغطى عليها .
وفى هذه المناسبة ، والمناسبة السعيدة ولأن المخاوف
قد بارحت قلبها بعد ذلك التقرير الزائف عن
صحة الأب ، تضحك فى بلاهة واستحياء وهى
تنظر إلى جهة الأب ثم تدير الدفة نحو بريك فى
نشاط وحيوية) .

الأم : هاهو ، هاهو طفلى العزيز ! ماهذا الذى فى يدك؟
دع هذا الشراب يا بنى . فقد خلقت يدك لتمسك
ماهو أفضل من ذلك !

جوبر : انظروا إلى بريك وهو يترك الكأس !
(أطاع بريك أمه بأن أفرغ الكأس فى جوفه وقدمه
لها فارغاً . . ومرة ثانية يضحك الجميع . البعض
بصوت مرتفع وآخرون بصوت منخفض) .

الأم : آه . . يالك من ولد متعب أنت ، أنت طفلى
المتعب .. قبلى أمك أيها الطفل المتعب ، انظر كيف
يشيح بوجهه عنى ، إنه دائماً يمقت أن يقبله أحد
أو يهتم به . . ربما لأنه قد حصل على كفايته من هذا !
يا بنى أقفل هذا الجهاز .

(كان بريك قد أدار جهاز التليفويون) .

انى لاأطيق التليفزيون . لقد كان المذياع سيئاً بمافيه الكفاية ، ولكن التليفزيون يفوقه . أقصد ... (تتهاوى جالسة فى مقعد) . . يفوقه سوءاً ، هاها ! والآن لماذا أنا جالسة هنا ، انى أريد أن أجلس بجوار حبيبى على الأريكة ، أفرك يدى فى يده وأداعبه قليلا !

(الأم ترتدى فستانا من الشيفون المشجر بالأبيض والأسود برسوم كبيرة غير متناسقةوكأنها آثار حيوان ضخم . وقد سيطرت على جو المكان منذ أن دخلت ببريق مجوهراتها الكبيرة ولآلئها الكثيرة والأحجار اللامعة فى إطار نظارتها الفضى ، وضحكتها الصاخبة وصوتها المدوى ، والأب ينظر إليها طوال الوقت نظرات ثابتة تنم عن ضيق مزمن) .

الأم : (بصوت أكثر ارتفاعا) أيها القس ، أيها القس ، يا أيها القس ! أعطنى يدك وساعدنى فى النهوض من هذا المقعد !

القس توكر : أرجو ألاتكون هذه واحدة من ألاعيبك ؟

الأم : أية ألاعيب ؟ أعطنى يدك حتى أستطيع أن أنهض..

(القس توكر يمد لها يده فتمسك بها وتشده اليها

فيقع فى حجرها بضحكة صاخبة تشق السكون) .
أرأيتم قسا فى حجر سيدة بدينة ؟ اسمعوا يا جماعة !
أرأيتم قساً فى حجر سيدة بدينة ؟
(الأم مشهورة فى كل الدلتا بهذا النوع من المزاح الثقيل . مارجريت تنظر بتسامح مرح وهى ترشف كأساً من الخمر الخالص وترقب بريك بينما مى وجوبر يتبادلان إشارات الاستنكار والضيق لهذه السخافات وذلك النوع من السلوك الذى ترى مى أنه ربما كان سبباً فى عدم استطاعتهم الاندماج فى الأسر الراقية فى ممفيس رغم كل الظروف المواتية . يبدو أحد الزنوج لاسى أوسوكى يختلس النظر مقهقهاً . فالخدم ينتظرون إشارة ليحضروا الفطيرة والشمبانيا . إلا أن الأب لايبدو سعيداً دون أن يدرى لذلك سبباً . فرغم الراحة النفسية الكبيرة التى شعر بها بعد التقرير الطبى الذى تلقاه عن صحته فإنه لازال يحس كأن أنياب ثعلب عجوز تقرض أحشاءه ويردد بينه وبين نفسه أن ذلك التشنج لابد وأن وراءه مالاتحمد عقباه . . ولكنه يزأر عاليا مناديا الأم) .

الأب : أيتها الأم ، هلا تركت المزاح ؟ فقد بلغت من العمر

ومن البدانة مالايسمح لك بمثل هذه السخافات الصبيانية بالإضافة إلى أنك تعانين من ضغط الدم المرتفع الذى ارتفع إلى ٢٠٠ فى الربيع الماضى ! انك تعرضين نفسك لضربة شللل مفاجىء . عندما تمادين فى هذا العبث . .

الأم : والآن يبدأ حفل عيد ميلاد الأب !

(يدخل عدد من الزنوج فى جاكتات بيضاء يحملون كعكة عيد ميلاد ضخمة تتوهج بشموعهاالمشتعلة.. ويحملون أيضاً دلاء فيها زجاجات الشمبانيا والشرائط الحريرية تلتف حول رقابها . تبدأ مى وجوبرفى الغناء فيشاركهم الجميع بمافيهم الزنوج والأطفال. ولايبقى بمعزل سوى بريك) .

الجميع : عيد سعيد عمر مديد .

عيد سعيد ، عمر مديد .

عيد سعيد . . لأبينا الكبير.

(البعض يغنى يا أبانا الحبيب) .

عيد سعيد ، عمرمديد .

(البعض يغنى : « ماعمرك » يا عزيز) .

(تقدمت مى وسط الحشد لتنظم أطفالها فى مجموعة

كالمنشدين . وهى تعطيهم إشارة لاتكاد تسمع :
واحد اثنين ثلاثة ! فينطلقون مغنيين اللحن الجديد)

الأطفال : سكينا مارينكا . . دينكا . . دينك .
سكينا مارينكا . . دو.
نحبك . . نحبك . هو .
سكينا مارينكا . . دينكا . . دينك .
سكينا مارينكا . . دو
(الجميع يستديرون لمواجهة الأب فى حركةواحدة)
جدنا يا هو .
(يستديرون مرة أخرى وكأنهم جماعة المنشدين فى
كوميديا غنائية) .
نحبك فى صباحنا .
ونحبك فى مسانا .
قريبا منا .
بعيداً عنا .
سكينا مارينكا . . دينكا . . دينك .
سكينا مارينكا . . دو .
(تتجه مى نحو الأم) .
وجدتنا كمان ياهو .
(تنهمر دموع الأم . ويغادر الزنوج المكان) . .

الأب : والآن يا ايدا ، لعنة الله . ماذا جرى لك ؟

مى : هذا من فرط سعادتها .

الأم : انى سعيدة كل السعادة . . أيها الأب . . ولايسعنى إلا أن أبكى أو أفعل أى شيء . . (فجأة بصوت مرتفع وسط السكون) . .

بريك ، هل عرفت الأنباء السارة التى جاءنا بها دكتور بو من المستشفى عن الوالد ؟ الوالد مائة فى المائة !

مارجريت : أليس هذا عظيماً ؟

الأم : هومائة فى المائة . . اجتاز الاختبار بتفوق .والآن وقد علمنا أنه ليس بالوالد من علة سوى تشنج القولون يمكننى أن أصارحكم أننى كنت قلقة بل كدت أفقد صوابى خشية أن يكون مصابا بشيء مثل . .

(تقاطع مارجريت هذا الحديث وتقفز وتصيح بصوت أجش) .

مارجريت : يا حبيبى بريك هلا قدمت للوالد هدية عيد ميلاده؟ (وبينما هى تعبر أمامه تخطف كأس الشراب منه وتحمل إليه لفافة فى ورق مزركش)..

تقبل هذا يا أبتاه من بريك !

الأم : إن هذا لأعظم عيد ميلاد حظى به الأب . . مئات الهدايا وزكائب من البرقيات من . . .

مى : (فى نفس الوقت) ماهذا يابريك ؟

جوبر : أراهن خمسمائة لخمسين أن بريك لايعلم مابداخله.

الأم : ان لذة الهدية فى أن تجهل مابداخلها إلى أن تفتحها. افتح هديتك يا بابا .

الأب : افتحيها أنت بنفسك . . أود أن أسأل بريك عن أمر ما . . تعال يابريك . .

مارجريت : بابا يناديك يا بريك .
(مارجريت تفتح الهدية) .

بريك : أبلغى الوالد أننى مقعد . .

الأب : انى أعلم أنك مقعد . أريد أن أعرف كيف أصابك هذا .

مارجريت : (فى محاولة لتغيير الحديث) آه انظروا . انظروا أنه روب من الكشمير .
(ترفع الروب حتى يراه الجميع) .

مى : تبدو عليك الدهشة ياماجى .

ماجى : لم أر مثله فى حياتى . .

مى : شىء مضحك . .ها .

مارجريت : (تستدير اليها بوحشية وابتسامة متألقة) وما المضحك فى ذلك ؟ كل ما عرفته أسرتى كان عاديا . لذا فإن الملابس الفاخرة كهذا الروب من الكشمير ماتزال تثير دهشتى !

الأب : (منذراً بالشر) سكون .

مى : (غير مكترثة بالأمر فى غضبها) لست أفهم كيف يمكن أن تدهشى وقد اشتريته بنفسك من محل لاوشيتن فى ممفيس يوم السبت الماضى . . أتعرفين كيف علمت بذلك ؟

الأب : قلت اسكتوا !

مى : لقد علمت لأن البائعة التى باعتك إياه هى التى تولت خدمتى بالمحل وقالت لى ، آه يامسز بوليت، ان سلفتك اشترت لتوها روبا من الكشمير لحميك!

مارجريت : أيتها السيدة الأخت ! خسارة أن تكونى زوجة أو أما . . كان يجب أن تعملى فى إدارة المباحث ..أو...

الأب : أسكتوا !

(تأتى استجابة القس توكر . أبطأ من الآخرين .. فيكمل جملته بعد صياح الأب) .

القس توكر : (إلى الدكتوربو) أبوقردان والحصاد يسيران جنباً إلى جنب (١)

(يشرع فى الضحك بمرح وعندما يرى السكون ونظرة الأب الصارمة يفتعل إخفاء ضحكته) .

الأب : أرجو ألا أرتطم بمزيد من الحديث عن النوافذالملونة التذكارية .

.. هو كذلك أيها القس ؟

(القس توكر يضحك ضحكة باهتة .. ثم يسعل وسط السكون المشوب بالإحراج)

ياقسيس ؟

الأم : والآن يا بابا ، لاداعى لأن تدير دفتك على القس !

الأب : (يرفع صوته) هل سمعت هذا المثل .. سعال بلا بصاق ؟ لقد ذكرنى بهذا المثل سعالك القصير الجاف .. سعال بلا بصاق ..

(سكون تام لايقطعه سوى ضحكة مضطربة من

---

(١) ابو قردان رمز الحياة والحصاد رمز الموت .

مارجريت وهى الوحيدة التى أصغت إلى النكتة وأحست بوقعها) .

مى : (ترفع ذراعيها فتجلجل الأساور فيهما) ترى هل سيكون البعوض نشيطاً هذه الليلة ؟

الأب : ماهذا أيتها الأم الشابة هل قلت شيئاً ؟

مى : نعم .. قلت إنى لست أدرى إن كان البعوض سيأكلنا أحياء إن خرجنا بعض الوقت فى الشرفة ..

الأب : أجل .. لوحدث ذلك فعلا .. فسآمر بسحق عظامكم لاستخدامها سمادا للأرض !

الأم : (مسرعة) لقد قامت طائرة برش المكان فى الأسبوع الماضى ، وأعتقد أن ذلك كان مجديا إلى حد ما ، إذ أننى على الأقل لم أصب..

الأب : (مقاطعا إياها) بريك ، هل صحيح مايقولونه من أنك كنت تمارس القفز فى الليلة الماضية فى ملاعب المدرسة الثانوية ؟

الأم : بريك ، الوالد يتحدث إليك يابنى .

بريك : (يبتسم ابتسامة باهتة بينما لايزال ممسكاً بالكأس).. ماذا تقول يا أبى ؟

الأب : يقولون أنك قمت ببعض ألعاب القفز فى الليلة

الماضية فى ملاعب المدرسة الثانوية .

بريك : هذا مارووه لى أيضاً . .

الأب : هل كان قفزاً أم عربدة ذلك الذى قمت به هناك فى الليلة الماضية ؟ وماذا كنت تفعل هناك فى الثالثة صباحا ، أكنت تواقع امرأة على جرة السباق ؟

الأم : الآن وبعد أن خرجت من عداد المرضى لن أسمح لك ياعزيزى بأن تتكلم بهذه الصورة..

الأب : اسكتى !

الأم : البذيئة أمام القس و. .

الأب : اسكتى ! انى أسألك يابريك هل كنت تطارد امرأة بين الأشجار فتعثرت ووقعت . أهوكذلك ؟

(جوبر يضحك بصوت مرتفع ضحكات هستيرية جوفاء . . ويتبعه الآخرون .. والأم تدق الأرض بقدميها وتلوى شفتيها وهى تتجه عبر الحجرة إلى مى وتهمس اليها بشىء ما . . بينما يقابل بريك نظرات أبيه الحادة الصارمة بابتسامة باهتة بطيئة كما هى عادته فى مواجهة مثل هذه المواقف من وراء كأس الشراب) .

بريك : كلا اسيدى لا أظن ذلك . . .

مى : (فى نفس الوقت وبعذوبه) تعال معى أيها القس توكر لنتمشى .

(تخرج مى والقس توكر إلى الشرفة بينما الأب يقول)

الأب : إذن بالله عليك ماذا كنت تفعل هناك فى الساعة الثالثة صباحا ؟

بريك : كنت أقفز الحواجز يا أبى . . أجرى وأقفز الحواجز . ولكن هذه الحواجز المرتفعة قد أصبحت تفوق مقدرتى الآ ن . .

الأب : لأنك كنت مخموراً ؟

بريك : (وقد بدأت ابتسامته الغامضة الباهتة تختفى) لوأننى كنت فى وعيي لماحاولت قفز الحواجز حتّى المنخفضة . .

الأم : (بسرعة) أطفىء الشموع أيها الأب فى كعكة عيد ميلادك !

مارجريت : (فى نفس الوقت) أقترح أن نشرب نخب الأب فى عيد ميلاده الخامس والستين بوصفه أكبر مزارع للأقطان فى . .

الأب : (يزأر غاضبا ومشمئزاً)

قلت لكم كفوّا عن هذا . والآن كفوا عن هذا .
اتركوا هذا . .

الأم : (وقد وقفت أمام الأب تحمل الكعكة) لن أسمح لك يا عزيزى أن تتكلم بهذه اللهجة حتى فى عيد ميلادك . . انى . .

الأب : سوف أتكلم كما يحلولى فى عيد ميلادى يا إيدا أو فى أى يوم من أيام السنة ومن منكم هنا لايعجبه كلامى فالباب مفتوح !

الأم : انك لاتقصد هذا !

الأب : ما الذى يدعوك إلى الاعتقاد بأنى لاأقصد ذلك ؟
(فى هذه الأثناء تبودلت بحذر بين الحاضرين إشارات مختلفة للانصراف . كما خرج جوبر أيضاً إلى الشرفة)

الأم : انى أعرف جيداً أنك لاتقصد هذا .

الأم : انك لاتعرفين شيئاً ولم تعرفى فى حياتك شيئاً . .

الأم : يا عزيزى . انك لاتقصد ذلك :

الأب : بل أعنى ما أقول . . بل أعنى ما أقول . . لقد تحملت كثيراً من السخافات هنا لأننى كنت أظن أننى على وشك الموت . وقد اعتقدت أننى فى طريق إلى الموت وبدأت تستولين على كل شىء . والآن

يحسن أن تتوقفى عن هذا يا إيدا لأننى لن أموت..
عليك أن تكفى عن هذا الاستيلاء الآن ، لأنك
لن تستولى عليه لأننى لن أموت . . لقد اجتزت
التحاليل الطبية وعملية الفحص وليس بى من علة
سوى تشنج القولون . . ولن أموت بالسرطان كما
ظننت . . أليس كذلك ؟ ألم تعتقدى أننى سوف
أموت بالسرطان يا إيدا ؟

(خرج الجميع تقريباً إلى الشرفة فيما عدا الأب
والأم يتفرس كل منهما فى الآخر وبينهما الكعكة
بشموعها المتوهجة .

صدر الأم يهبط ويعلو وهى تضع قبضة يدها الممتلئة
على فمها .

الأب يتابع حديثه بصوت أجش) .
أليس كذلك يا إيدا ؟ ألم تعتقدى أنه كان مقدراً لى
أن أموت بالسرطان وأن بوسعك أن تستولى على
هذا المكان وكل ماعليه . لقد شعرت بهذا . .أو
يبدو أننى شعرت بهذا . . بعد أن سمعت صوتك
يجلجل فى كل مكان وأنت تندفعين بجسدك الضخم
هنا وهناك . .

الأم : كف . فالقس يسمعك !

الأب : لعنة الله على القسيس !

(الأم تشهق بصوت مرتفع وتجلس على الأريكة التى لاتكاد تتسع لها) .

هل سمعت ماقلت . . قلت لعن الله ذلك القس !

(يغلق أحدهم أبواب الطرقة من الخارج بينماتنطلق فى الفضاء مجموعة من الصواريخ ومعها صيحات الأطفال الصاخبة) .

الأم : لم أرك تتصرف كهذا قبل الآن ولست أدرى ما الذى حل بك . .

الأب : لقد تحملت الفحص والتحاليل الطبية بل والعملية.. كل هذا حتى أحدد من منا سيد هذا المكان . . والآن قد تبين إنى أنا السيد لاأنت . . وهذه هدية عيد ميلادى . . كعكتى وزجاجة خمرى . ولأنك طوال الثلاث السنوات الأخيرة وأنت تحاولين الاستيلاء على المكان وعلى السلطة فيه . . رحت تملئين المكان بكلامك وجسدك الضخم يتحرك هنا وهناك فى المكان الذى أقمته أنا .. أنا الذى صنعت هذا المكان بجهدى . . لقد كنت أعمل

ناظراً لهذه المزرعة .. عندما كانت ملكاً لسترو
وأكيللو . لقد تركت المدرسة فى سن العاشرة ورحت
أعمل كالرقيق فى الأرض .. حتى تدرجت ،
وأصبحت ناظراً على المزرعة بأكملها .. ثم مات
سترو العجوز وأصبحت شريكاً لأوكيللو فى المزرعة ..
ثم اتسعت المزرعة وزادت اتساعا واتساعا واتساعا
واتساعا .. لقد فعلت كل هذا بنفسى دون أدنى
مساعدة منك . وتظنين حضرتك الآن أنك على
وشك الاستيلاء على السلطة ؟.. طيب !! أنا الآن على
وشك أن أخبرك بأنك لست على وشك الاستيلاء
على السلطة .. لست على وشك الاستيلاء على أى
شىء منها . هل هذا واضح لك الآن ؟ مفهوم ؟
هل تفهمين هذا جيداً يا إيدا ؟ لقد اجتزت جميع
الفحوص الطبية والتحاليل من الألف إلى الياء كما
اجتزت عملية الفحص وليس بى من علة سوى تشنج
القولون .. ولم يجعله يتشنج على ما أظن إلا شعورى
بالاشمئزاز من أولئك الكاذبين والأكاذيب التى
تحملتها .. وكل ذلك النفاق الذى تحملته طوال
الأربعين عاما التى عشتها هنا .

هيا يا إيدا اطفئى الشموع فى هذه الكعكة ..

مطى شفتيك وخذى نفساً عميقاً واطفئ هذهالشموع اللعينة فى هذه الكعكة .

الأم : أوه يا أبتاه . . أوه . . أوه . . يا أبتاه !

الأب : ماذا جرى لك ؟

الأم : طوال هذه السنين . . ألم تصدق مرة أننى أحببتك ؟

الأب : هه . . ماذا تقولين ؟

الأم : أحببتك . . بل أحببتك بكل جوارحى . . نعم أحببتك حقاً ! بل اننى أحببت بغضبك وقسوتك يا أبتاه !

(الأم تنتحب وتسرع متعثرة نحو الطرقة) .

الأب : (مخاطبا نفسه) أليس عجيباً أن يكون هذا صحيحاً.
(سكون تتبعه ومضة من الضياء فى السماء من أثر الصواريخ) .
بريك ! الىّ يا بريك .
(الأب يقف بجوار الكعكة بشموعها المتوهجة .
وبعد مضى بضع دقائق . يظهر بريك وهو يقفز على عكازته ويحمل كأسه فى يده . . ثم تتبعه ما رجريت بابتسامة مشرقة متلهفة).

لم أنادك يا ماجى . . بل ناديت بريك .

مارجريت : قصدت فقط أن أسلمه اليك .

(تقبل بريك فى فمه . فيمسح شفتيه فى الحال بظهر يده . فتسرع بالفرار وكأنها طفلة صغيرة . فيبقى الأب وبريك بمفردهما) .

الأب : لماذا فعلت ذلك ؟

بريك : فعلت ماذا يا أبتاه ؟

الأب : مسحت قبلتها من شفتيك كما لو كانت قد بصقت عليك .

بريك : لست أدرى . . لقد حدث ذلك عفواً ! !

الأب : هذه المرأة زوجتك تتمتع بقوام أفضل من قوام امرأة جوبر الا أن لهما نفس النظرة . .

بريك : وما نوع تلك النظرة يا أبتاه ؟

الأب : لست أدرى كيف أصفها لك ولكنها نفس النظرة..

بريك : لايبدو على أى منهما الهدوء . . أليس كذلك ؟

الأب : بلى . . بكل تأكيد . . عليهما اللعنة . .

بريك : انهما تبدوان عصبيتين كالقطط ؟

الأب : تماما . . هما عصبيتان كالقطط .

بريك : متوترتان كقطتين فوق سطح من الصفيح الساخن.

الأب : تماما يا بنى . . تبدوان وكأنهما قطتان فوق سطح من الصفيح الساخن . . من العجيب أنه رغم الاختلاف بينكما أنت وجوبر فإنكما تقعان على نفس النوع من النساء . .

بريك : لقد تزوج كلانا من علية القوم يا أبتاه .

الأب : يا للقذارة . . لست أدرى ما الذى يضفى عليهما نفس النظرة .

بريك : لأنهما تقيمان وسط مزرعة فسيحة الأرجاء يا أبتاه . ثمانية وعشرون ألف فدان مساحة كبيرة من الأرض ولذا فانهما تتنازعان عليها وكل منهما عازمة أن تقتنص من هذه الأرض لنفسها مساحة أكبر من الأخرى حالما تتخلى أنت عنها .

الأب : عندى مفاجأة لهما . . لن أتخلى عن هذه الأرض قبل مدة طويلة اذا كان هذا هو مايؤملان فيه . .

بريك : أنت على حق يا أبتاه . . لاتكترث ودع كلا منهما تفقأ عين الأخرى .

الأب : ثق أنى لن أكترث وسأدع كلا منهما تنهش الأخرى كما تفعل الكلاب .

ها . . ها . . ولكن زوجة جوبر تمتاز بوفرة النسل
ولابد لك أن تعترف بأنها ولود ـ عليها اللعنة . .
لقد أجلستهم بجوارها على مائدة العشاء هذه الليلة
وكان لابد من ضم لوحين من الخشب الى المائدة
حتى تتسع لهم جميعا . . لديهم الآن خمسة من
الأبناء . . والسادس فى الطريق .

بريك : نعم السادس فى الطريق . .

الأب : هل تصدق يا بريك . . أقسم بالله أنى لا أعلم كيف
يحدث هذا ؟

بريك : كيف يحدث ماذا يا أبتاه ؟

الأب : تتحصل على قطعة من الأرض بالحلال أوبالحرام
وتبدأ الأشياء تنمو عليها . . وتتكاثر فوقها . .
ولا تستطيع السيطرة عليها ثم تصحو فجأة فتجد أن
الزمام قد أفلت من يدك .. أفلت من يدك..

بريك : نعم انهم يقولون ان الطبيعة تكره الفراغ ياأبتاه .

الأب : هذا ما يقولون ولكني كثيراً ما أعتقد أن الفراغ أفضل
بكثير من هذا الذى تقدمه لنا الطبيعة بدلا منه . .
هل ثمة أحد بالباب هناك ؟

بريك : نعم . .

الأب : ومن يكون ؟ (الأب وقد أخفض صوته) .

بريك : شخص يهمه مايدور بيننا من حديث .

الأب : أتقصد جوبر ؟ (ينادى)جوبر.

(بعد فترة صمت حكيمة تظهر مى فى باب الطرقة)

مى : هل كنت تنادى جوبر يا أبتاه ؟

الأب : آه . . اذن .. أنت التى كنت بالباب.

مى : هل تريد جوبر يا أبتاه ؟

الأب : كلا . . لاهو ولا أنت . . انى أريد شيئاً من الخلوة هنا أتبادل فيها حديثاً خاصاً مع ابنى بريك.. والجو حار هنا لايسمح بإغلاق هذه الأبواب ، ولكن اذا تحتم علينا اغلاقها حتى نتمكن من اتمام حديثنا الخاص فأرجو أن تخبرينى بذلك لأغلقها . لأننى أكره المتصنتين ولا أحب أى نوع من التلصص أو استراق السمع .

مى : لكن . . أنا يا أبتى . .

الأب : لأنك كنت تقفين فى مواجهة ضوء القمر فظهر ظللك .

مى : كنت فقط ...

الأب : كنت فقط تتجسسين علينا وأنت تعلمين ذلك !

مى : (تشهق وتبدأ فى البكاء) آه يا أبتاه .. لسبب لانعلمه نراك تقسو بشدة على الذين يحبونك حبا صادقا !

الأب : اخرسى .. اخرسى .. اخرسى .. سوف أبعدك أنت وجوبز عن الحجرة المجاورة لهذه ! ليس من شأنك مايجرى هنا فى الليل بين بريك وماجى .. أنتما تسترقان السمع بالليل كالجواسيس الملاعين ثم تذهبان لتقدما تقريراً للأم بما سمعتما فتأتى الىتقول إنهما يقولان كذا وكذا وكيت وكيت عماسمعاه يجرى بين بريك وماجى .. ووالله إن هذا ليثير اشمئزازى سوف أبعدكما عن هذه الحجرة .. لا أطيق التجسس انه يثير اشمئزازى ..

(مى تلقى برأسها إلى الخلف وتدور بعينها نحو السماء وتفرد ذراعيها وكأنها تطلب رحمة السماء إزاء هذا الاتهام الباطل . ثم تضع منديلها على أنفها وتنطلق خارجة من الغرفة فتحدث طيات ملابسها حفيفاً) .

بريك : (وهو واقف الآن بجوار خزانة الخمر) يتصنتون علينا .. أهذا مايفعلونه ؟!.

الأب : نعم .. هما يسترقان السمع ويعطيان تقريراً للأم عما يجرى بينك وبين ماجى .. انهما يقولان إن .. (يتوقف وكأنه لايدرى مايقول) .. إنك ترفض أن ترقد بجوارها .. وانك تنام على الأريكة .. هل هذا صحيح أم لا ؟ إذا كنت لاتحب ماجى.. فتخلص منها .. ماذا تفعل وأنا أتحدث إليك ؟

بريك : أكمل الكأس .

الأب : أتعلم يا بنى أنك حقاً تعانى من مشكلة الإدمان ؟

بريك : نعم يا سيدى أعلم ذلك ..

الأب : وهل تركت عملك كمذيع فى ركن الرياضة بسبب مشكلة الإدمان هذه ؟

بريك : نعم ياسيدى .. نعم ياسيدى .. أظن ذلك .. (يبتسم لأبيه ابتسامة غامضة ورقيقة من خلف كأس الشراب الممتلىء) .

الأب : ليس الأمر أمر ظن .. إنه أمر بالغ الأهمية ..

بريك : (بغموض) فعلا يا سيدى ..

الأب : أصغ إلى ولا تنظر إلى تلك النجفة اللعينة ..

(سكون .. صوت الأب فيه بحة) .. انها شيء

آخر من تلك الأشياء التى اشترىناها من ذلك المزاد الكبير فى أوربا . . (فترة سكون أخرى) .

الحياة مهمة . . وليس هناك غيرها تتعلق به . . والإنسان الذى يدمن الخمر يبدد حياته . . كف عن الشراب وتمسك بحياتك فليس هناك شىء آخر تتعلق به . .

اجلس هنا أمامى حتى لاتعلو أصواتنا . . فللجدران آذان فى هذا المكان . .

بريك : (يقفز على عكازته ليجلس على الأريكة بجوار أبيه) : وهو كذلك يا أبتاه .

الأب : تترك عملك !.. كيف حدث هذا ؟ ألأنك لم توفق؟

بريك : لست أدرى . . أتعرف أنت ؟

الأب : أنا أسألك . . مصيبة . . كيف أعلم أنا إذا كنت أنت لاتعلم ؟

بريك : لقد وصلت إلى هناك وانعقد لسانى . . فلم أتمكن من ملاحقه إذاعة ما يجرى بالملعب . . وعلى ذلك .

الأب : تركت العمل !

بريك : (بلطف) نعم تركت العمل .

الأب : أى بنى !.

بريك : نعم ؟

الأب : (يشد أنفاسا عميقة من سيجارة بصوت مرتفع . . ثم فجأة ينحنى للأمام قليلا وهو ينفث الدخان بصوت مسموع ويرفع يده ليضعها على جبهته (هوا . . هاها ! لقد أخذت أكثر من طاقتى من الدخان فأدار رأسى قليلا . . .

(تدق الساعة فوق المدفأة) .

يا للعنة . . لماذا يعجز الناس أحيانا عن الحديث؟

بريك : أجل . (تستمر الساعة فى دقاتها الموسيقية حتى تدق العاشرة) ساعة هادئة رقيقة . . أحب سماعها طوال الليل . .

(ينزلق إلى وضع منخفض مريح على الأريكة . . بينما يجلس الأب منتصبا معتدلا وبه قلق لايبوح به . وكل حركاته وإشاراته وهو يتكلم عصبية متوترة . وهو يلهث ويشهق ويئن فى عصبية أثناء الحديث وينظر إلى ابنه بين الحين والحين فى سرعة واستحياء) .

الأب : لقد اشترينا هذه الساعة عندما سافرت مع أمك

فى ذلك الصيف إلى أوروبا فى رحلة كوك السياحية.
أؤكد لك أنها كانت أتعس أيام حياتى يا بنى . .
المشرفون فى الفنادق هناك ، إنهم يسلبون حبات
عيون نزلاء فنادقهم الفخمة . . واشترت أمك
أشياء تزيدعن حمولة سيارتين للنقل . . لامبالغة.
أينما ذهبت أثناء تلك السياحة الخاطفة كانت تشترى
وتشترى وتشترى . . لم كل هذا ونصف الأشياء
التى اشترتها لايزال فى صناديقه فى البدرون وقد
غطته المياه فى الربيع الماضى . . (ثم يضحك)..
إن أوروبا تلك ليست سوى مزاد هائل . . وهذا
كل ما فيها . مجموعة من بلاد قديمة متآكلة . . إنها
مجرد مزاد كبير وقد أصابت أمك حمى الشراء
هناك ولم يكن بالإمكان كبح جماحها ولو بعنان
البغال . . فراحت تشترى وتشترى وتشترى وكان
من حسن حظها أننى رجل غنى نعم يا سيدى
ونصف تلك المشتريات يتعفن الآن بالبدرون..
من حسن الحظ أننى رجل غنى . بكل تأكيد هذا
من حسن الحظ .. أجل إننى فعلا رجل غنى يا بريك
رجل واسع الثراء . . (تشرق عيناه لحظة) .
هل تدرى بكم تقدر ثروتى ؟ خمن بكم تقدر

ثروتى ! (بريك يبتسم ابتسامة غامضة من خلف كأس شرابه) . ما يقرب من عشرة ملايين من الدولارات والسندات الحرة بالإضـــافة إلى ثمانية وعشرين ألف فدان من أجود الأراضى على هذا الجانب غربا من وادى النيل . .

(صوت فرقعة تضيء بقوة فى السماء بوهج أخضر . . تسمع صيحات الأطفال وضحكاتهم على الشرفة) . ولكن المرء لايسطتيع أن يشترى الحياة بهذا المال.. لايستطيع أن يسترد حياته ثانية بعد أن تولى . . وهذا هو الشيء الوحيد الذى لا يبيعونه فى المزاد الكبير فى أوروبا أوفى الأسواق الأمريكية أو غيرها من أسواق العالم . . لا يستطيع المرء أن يشتري الحياة بالمال أوأن يسترد الحياة ثانية بعد أن تولى . . وهذا الخاطر يوحى بالحكمة والاتزان.. والتعقل التام . . وقد تردد هذا الخاطر فى رأسى آلاف المرات ولازلت أتدبره حتى اليوم . .

وأنا الآن أكثر حكمة وأشد حزنا يا بريك بعد تلك التجربة التى خضتها وثمة شيء آخر أذكره عن أوروبا .

بريك : وما هذا الشيء يا أبتاه ؟

الأب : تلك التلال المحيطة ببرشلونة فى ريف أسبانيا والأطفال يجرون على التلال الجرداء لايغطى أجسادهم شيء ، يطلبون الإحسان وكأنهم كلاب قتلها الجوع تعوى وتصرخ .. والقساوسة بأجسامهم الممتلئة يسيرون فى شوارع برشلونة .. بأعداد وفيرة وكلهم ممتلئو الأجسام مرحون .. ها .. ها .. أتدرى أننى أستطيع أن أطعم كل سكان ذلك البلد؟ لدى من المال مايكفى لإطعام كل ذلك البلد اللعين ولكن الإنسان حيوان أنانى وأحسب أن المال الذى وزعته هناك على هؤلاء الأطفال المتسولين فى تلك التلال المحيطة ببرشلونة لايكفى لأكثر من تنجيد مقعد واحد فى هذه الغرفة .. أى لايكفى لأكثر من وضع غطاء جديد لأحد مقاعد هذه الغرفة .. يا للبؤس . لقد كنت أنثرلهم قطع النقود كما ينثر الحب للدجاج .. كنت ألقى اليهم بالنقود لأتخلص منهم .. حتى أستطيع أن أدخل سيارتى وابتعد عنهم ..

ثم فى مراكش ، حيث تبدأ الدعارة فى سن الرابعة أو الخامسة .. لست أبالغ فى هذا فانى

أذكر أنه ذات يوم . جلست على سور متهدم لأدخن سيجاراً فى تلك المدينة القديمة المسورة وكان اليوم قائظاً شديد الحرارة وأذكر تلك المرأة التى وقفت فى عرض الطريق تنظر الى حتى شعرت بالحرج وسمرت أقدامها فى ذلك الطريق المترب القائظ وهى تنظر الى حتى شعرت بالحرج ولكن أسمع بقية القصة . . كان معها طفل عار ، فتاة صغيرة عارية لاتكاد تستطيع المشى وبعد برهة وضعتها على الأرض ودفعتها نحوى وهمست لها ببضع كلمات . .

جاءت الطفلة الى تكاد لاتستطيع السير وانما تتعثر فى خطاها ثم . . يا الهى انى أشعر بالغثيان عندما أتذكر شيئاً مثل هذا ! لقد مدت الطفلة يدها لتفك أزرار . . !

ولم تكن تلك الفتاة تبلغ الخامسة ! هل تصدق هذا ؟ أم تظن أنه من نسج خيالى ؟ . . عدت الى الفندق وأمرت أملك أن تستعد للرحيل . وقلت دعينا نرحل عن هذا البلد . .

بريك : انك يا أبتاه تتحدث الليلة حديث السكير العربيد .

الأب : (متجاهلا ملاحظة بريك) نعم يا سيدى .. هذا

هو الحال . . الإنسان حيوان فان ولكن هذه الحقيقة لاتدفعه الى الشفقة بالآخرين . . لا ، يا سيدى.. هل قلت شيئاً ؟

بريك : نعم .

الأب : ماذا قلت ؟

بريك : ناولنى هذا العكازة حتى أستطيع أن أقوم . .

الأب : الى أين أنت ذاهب ؟

بريك : سأقوم برحلة صغيرة الى ينبوع الذكريات.

الأب : الى أين ؟

بريك : الى خزانة الشراب . .

الأب : أجل يا بنى . .

(يناول العكازة لبريك) .

الإنسان حيوان فان وعندما يتيسر له المال يشترى ويشترى ويشترى وأظن أن الدافع الخفى لكل هذا الشراء هو أمله المعتوه فى أن شيأً مما يشترى قد يكون فيه الخلود . . وهذا محال . . الإنسان حيوان.

بريك : (عند خزانة الشراب) انك بكل تأكيد تنفس عن نفسك الليلة . .

(فترة سكون وتسمع أصوات بالخارج) .

الأب : لقد كنت صامتاً فى الفترة الأخيرة . ولم أقل كلمة.. كنت فقط أجلس وأحملق فى الفضاء .. كنت أشعر بكابوس .. ولكنى تخففت من هذا العبء الليلة ولهذا أتكلم . . أن السماء تبدو الآن مختلفة لعينى . .

بريك : هل تعرف أفضل شىء أحب سماعه ؟

الأب : ماذا ؟

بريك : السكون المطبق . السكون التام الذى لايقطعه شىء.

الأب : لماذا ؟

بريك : لأنه أكثر هدوء وسكينة .

الأب : سوف تجد كثيراً من هذا فى القبر يا بنى .(يضحك مرحا) .

بريك : هل انتهيت من حديثك الىّ ؟

الأب : لماذا تتلهف على إسكاتى ؟

بريك : أجل يا سيدى كثيراً ماقلت لى بريك أريد أن أتحدث معك ولكنك عندما نتكلم لايتمخض الأمر عن شىء مطلقاً . . أننا لانقول شيئاً . . انك تجلس فى مقعد ويسيل لسانك بهذا وذاك وأبدوا أمامك وكأننى مصغ اليك . . اننى أحاول أن أبدو

كالمصغى ولكنى لا أصغى . . لا أصغى كثيراً . .
ان التفاهم والاتصال بين البشر أمر بالغ الصعوبة
وهو لأمرما بيني وبينك لا . . .

الأب : هل حدث أن شعرت يوما بالخوف ، أقصد هل
شعرت يوما بالرعب الشديد من شىء ما ؟
(يقوم الأب) .
لحظة واحدة . . سوف أغلق تلك الأبواب . . .
(يغلق أبواب الشرفة كما لو كان عازما أن يفضى
بسر خطير) .

بريك : ماذا ؟

الأب : بريك ؟

بريك : ماذا ؟

الأب : كنت أظن أننى مصاب به يا بنى !

بريك : ماذا ؟ مصاب بماذا يا أبتاه ؟

الأب : بالسرطان !

بريك : أوه . .

الأب : ظننت أن شبح الموت وضع يده الباردة الثقيلة على
كتفى !

بريك : ولكنك كتمت هذا الأمر كتمانا تاما يا ابتى .

الأب : ان الخنازير تئن وتتوجع ولكن الإنسان يكتم ألمه . ورغم أنه انسان فليست له ميزة الخنازير . .

بريك : وآية ميزة تلك ؟

الأب : الجهل . . بالموت . . راحة . . والإنسان لاينعم بهذه الراحة فهو الكائن الوحيد الذى يسطتيع أن يتصور الموت وأن يعرف ماهيته . . أما المخلوقات الأخرى فإنها تموت دون أن تدرى . هكذا يجب أن يموت كل شئ حى . . . يموت . . دون أن يدرى. دون أى علم بالموت ومع ذلك فإن الخنازير تصرخ ولكن الإنسان يسطتيع أحيانا أن يكظم آلامه . . نعم أحيانا :

(هناك قسوة دفينة فى الرجل المسن) .

سطتيع أن يكظم آلامه . . يا ترى . .

بريك : ياترى ماذا يا أبتاه ؟

الأب : هل كأس مترعة من الويسكى تضر هذا القولون المتشنج ؟

بريك : كلا يا سيدى بل ربما تفيد :

الأب : (يضحك فجأة بدهاء) . يا إلهى . . لا أستطيع أن

أصف لك ما أرى ! أن أبواب السماء مفتوحة أمامى قسما بالله أراها تفتح مرة أخرى . . مفتوحة ، يا لله ، مفتوحة .

(بريك يطرق ناظراً إلى الخمر فى كأسه) .

بريك : هل تشعر بالتحسن يا أبتاه ؟

الأب : تحسن ؟ يا للشيطان ! أستطيع أن أتنفس ! لقد كنت طوال حياتى كقبضة يد مضمومة فى عنف.

(يملأ كأسه بالشراب) .

تضرب وتحطم وتسوق . . والآن سوف أرخى العنان قليلا لهذى الأيدى المضمومة وحتى ألمس بها الأشياء برفق . .

(يبسط يديه وكأنه يداعب الهواء) .

هل تعرف ما يجول بخاطرى ؟

بريك : (بغموض) كلا ياسيدى ماذا يجول بخاطرك ؟

الأب : هاها ! المتعة . . المتعة مع النساء !

(تخبو ابتسامة بريك قليلا ولكنها لاتختفى) .

يا بنى . . هذا الخمر يلهب أحشائى !

أجل يا بنى سأخبرك بأمر ربما لاتصدقه . . لازالت لدى الرغبة فى النساء وهذا عيد ميلادى ، الخامس والستين. .

بريك : أظن هذا شيئاً ملفتا حتما ، يا أبتاه . .

الأب : ملفتا ؟

بريك : لنقل جديراً بالإعجاب . .

الأب : انك محق تماما فى هذا . . فإنه أمر ملفت وجدير بالإعجاب فى نفس الوقت . . أدرك الآن أننى لم أستمتع بشبابى كما يجب . . ولقد أضعت فرصاً كثيرة بسبب تمسكى بالأخلاق والتقاليد . .قذارة. ! ان كل هذا التزمت وهذه التقاليد ليست سوى وساخة ، روث ، بعر ! وماكنت لأدرك تلك الحقيقة لولا شبح الموت . . والآن وبعد أن زال هذا الشبح . . سوف أنطلق وأتخذ لنفسى مايسمونه عشيقة . .

بريك : عشيقة ؟

الأب : أجل . . عشيقة . . عشيقة . . يا للعنة . . أتدرى أنى عاشرت أمك . . حتى خمس سنوات خلت.. الى أن بلغت الستين وكانت هى فى الثامنة والخمسين.. ولم أحبها . . لم أحبها على الإطلاق . . .
(جرس التليفون ظل يدق فى نهاية البهو . .تدخل الأم صائحة) .

الأم : ألا تسمعون جرس التليفون أيها الرجال . . لقد سمعته وأنا على بعد . . فى الشرفة . .

الأب : هناك خمس حجرات تطل على هذه الشرفة كان بوسعك أن تدخلى من أى منها . . لماذا أتيت من هذه الغرفة بالذات ؟

(الأم تظهر المرح وهى تخرج مهرولة من باب البهو) .

يالله . . لست أدرى لماذا عندما تخرج أمك من احدى الحجرات تختفى صورتها من ذهنى . . ولكن بمجرد عودتها أراها على حقيقتها . .

وأتمنى لولم أرها !

(ينحنى وهو يضحك لهذه النكتة حتى يشعربوجع فى أحشائه فيعتدل فى جلسته . ثم تفتر الضحكة الى ابتسامة وهو يضع كأس الشراب على المائدة بشىء قليل من الشك . . وقف بريك وراح يحجل نحو باب الشرفة) .

هاى الى أين أنت ذاهب ؟

بريك : الى الخارج لأتنسم الهواء . .

الأب : لم يحن الوقت بعد لتخرج . . ابق هنا حتى ينتهى هذا الحديث يا بنى . .

بريك : ظننت أنه قد انتهى يا أبتاه . .

الأب : بل أنه لم يبدأ بعد .

بريك : آسف لهذا الخطأ من جانبي . . أردت فقط أن أنعم بنسيم النهر . .

الأب : أدر مروحة السقف وعد الى ذاك المقعد . .

(يرتفع صوت الأم مدويا يهز ردهة البيت) .

الأم : أنت مشكلة يا آنسة سالى . . انت مزعجة يا آنسة سالى . . لماذا لم تعطيني الفرصة لأفسر لك الأمر؟

الأب : أنها تتحدث الى أختى العانس مرة أخرى..

الأم : الى اللقاء يا آنسة سالى . . لابد أن تأتى قريبا .. أخوك فى غاية الشوق لرؤياك . . الى اللقاء يامس سالى ه ه

(تضع السماعة وتصرخ فى مرح . . يتأفف الأب وهو يضع يديه على أذنيه عند قدومها . . تقتحم الغرفة) .

انها مس سالى . كانت تتحدث الى من ممفيس مرة أخرى . . هل تدرى ماذا فعلت ؟ لقد استدعت طبيبها فى ممفيس لتستفسر منه عن مسألة تشنج القولون . . ها . . ها . . ثم طلبتنى مرة أخرى

لتخبرنى كم هى الآن مطمئنة . هاى دعنى أدخل!
(كان الأب لايزال ممسكا بالباب وهو نصف مغلق فى وجهها) .

الأب : لن أسمح لك بالدخول.. سبق أن أخبرتك ألاتدخلى وتخرجى من هذه الغرفة . . ارجعى واخرجى من احدى تلك الغرف الخمسة الأخرى .

الأم : يا عزيزى . . أنت لم تعن الأشياء التى قلتها لى .. أليس كذلك ؟
(يغلق الباب بشدة فى وجهها ولكنها لازالت تنادى)
حبيبى ؟ حبيبى ؟ انك لم تقصد ذلك الكلام الفظيع الذى قلته لى . . أعرف أنك لم تكن جاداً فى ذلك.. أعرف أنك لم تقل ذلك من قلبك . .
(يتلاشى صوتها المستعطف فى شهقات وتتراجع بخطوات متثاقلة الى البهو . . وقف بريك مرة أخرى على عكازته واتجه ثانية الى الشرفة) .

الأب : كل ما أرجوه من تلك المرأة أن تتركنى وشأنى . ولكنها لا تريد أن تعترف بانى أشمئز منها . وهذا من معاشرتى لها سنوات طويلة . . كان يجب عليها أن تبتعد عنى من فترة طويلة ولكنها لاتشبع أبداً . .

مع أنني كنت أقوم معها بالواجب . . وكان لايجب أبدد طاقتي فى إرضائها . . فهم يقولون ان طاقة الإنسان محدودة وأن كل جهد يبذله محسوب عليه .. لكنني لازلت أتمتع بشيء من القوة .. بقية من الحيوية بقية وسوف أنتقى لنفسى أنثى جميلة لأبذل هذا القليل معها . . سوف أختار لنفسى سيدة فائقة الجمال ولايهم كم يكلفني هذا . وسوف أغرقها بالفراء الثمين . . هاها . . سوف أجردها من ثيابها لأكسوها بالفراء الثمين وأثقلها بالماس هاها .. سوف أجردها من كل ثيابها وأكسوها بالفراء الثمين واختلى بها من الغروب الى الصباح . هاها . . .

مى : (بمرح خارج باب الحجرة) من الذى يضحك هناك؟

جوبر : هل هو أبى ؟

الأب : عليهما اللعنة هما الاثنين .

(يتجه الى بريك ويضع يده على كتفه) .

أجل أنني سعيد يا بريك . . انني سعيد يا بنى .. سعيد . .

(يختنق قليلا ويعض على شفته السفلى وهو يضع رأسه على رأس ابنه فى سرعة واستحياء . . ثم يسعل فى ارتباك . . ثم يعود مضطرباً الى المائدة

حيث ترك كأسه ويشرب مابه ثم يبدو على وجهه الامتعاض عندما يلهب الشراب أحشاءه . يتنهد بريك ثم ينهض بصعوبة) .

ما الذى يقلقك ؟ هل هناك نمل فى سراويلك ؟

بريك : نعم يا سيدى .

الأب : كيف ذلك ؟ .

بريك : شىء لم يحدث بعد .

الأب : نعم ؟ وماهو ذلك الشىء ؟

بريك : (بحزن) الغمزة . .

الأب : هل قلت الغمزة ؟

بريك : نعم الغمزة . .

الأب : أية غمزة ؟

بريك : انها اشارة تحدث فى رأسى وتجعلنى أشعر بالراحة.

الأب : أقسم لك أنى لا أفهم ماتقول ولكنه أمر يزعجنى . .

بريك : تلك الإشارة ليست سوى احساسا تلقائيا . .

الأب : وماهذه الإشارة التلقائية ؟

بريك : انها اشارة تحدث فى رأسى فتجعلنى أحس بالراحة؛ وسأواصل الشراب حتى تأتى . . ليست سوى

احساسا تلقائيا . . يشبة الـ .

الأب : يشبه الـ .

بريك : الزر الكهربى فى رأسى يدور فيتحول النهار القائظ الى ليل بارد .

(ينظر الى أعلى وهو يبتسم فى أسى) .

وفجأة . . أحس بالسكينة . .

الأب : (يدندن نغمة طويلة ناعمة فى دهشة . . يعود الى بريك ويمسك به من كتفيه) . يا الهى ! لم أكن أعرف أن حالك قد ساء الى هذا الحد.. لقدأصبحت مدمنا يا بنى !

بريك : هذه هى الحقيقة يا أبتاه . . أنا مدمن . .

الأب : هذه نتيجة إهمالى وعدم اكتراثى .

بريك : لابد لى أن أحس بهذه الغمزه فى رأسى . . تلك الغمزة التى تجلب الهدوء . . وعادة أشعربها فى وقت مبكر . . أحيانا عند الظهيرة . . ولكنها . .

تأخرت اليوم . .

وهذا يعنى أن دمى لم يتشبع بالكحول بعد .

(هذه الجملة الأخيرة تقال بقوة وهو يكمل كأسه) .

الأب : آه هو . . ان شبح الموت قد أعمانى . . فلم أدرك أن لى أبنا يتحول الى سكير تحت سمعى وبصرى..

بريك : (بلطف) والآن وقد عرفت يا أبتاه . . ونفذ السهم .

الأب : آه هوه . . أجل لقد نفذ السهم . .

بريك : واذن عن إذنك . .

الأب : كلا ، لن أسمح لك . .

بريك : من الأفضل أن أجلس بمفردى حتى تحدث تلك الغمزة فى رأسى . . انه احساس آلى فحسب ولكنها لاتأتى الا اذا كنت وحيداً أو حين لاأكلم أحداً...

الأب : أمامك متسع هائل من الوقت لترقد ساكنا يا بنى ولاتحدث أحداً . . أما الآن فانك تتحدث معى.. أو على الأقل أنا أتحدث اليك وعليك أن تبقى مكانك مصغياً حتى أخبرك أن الحديث قد انتهى !

بريك : ولكن هذا الحديث كغيره من الأحاديث التى تبادلناها فى حياتنا . . أنه لاينتهى بناإلى شىء .. لاشىء ، انه . . انه مؤلم يا أبتاه . .

الأب : أجل . . فليكن اذن مؤلما . . ولكن لاتغادر مكانك!

سوف ألقى بهذه العكازة بعيداً (يمساك بالعكازة يقذف بها عبر الحجرة) .

بريك : بوسعى أن أقفز على قدم واحدة فاذا وقعت أستطيع أن أحبو !

الأب : اذا لم تكترث بما أقوله لك . . فسوف تجد نفسك مطروداً من هذه المزرعة وعندئذ يتحتم عليك أن تستجدى الشراب فى الأزقة والحارات . .

بريك : سوف يأتى ذلك اليوم يا أبتاه . .

الأب : لا . لن يأت فأنت ابنى وسوف أهتم بتقويمك وانقاذك . . والآن بعد أن أفلت من شبح الموت.. سوف أهتم بتقويمك !

بريك : ماذا تقول ؟

الأب : اليوم وصل تقرير من معمل أوكشنر . . هل تعلم ما جاء به . .

(وجهه يشع ويزهو بفرحة النصر) .

كل ما استطاعوا أن يتبينوه بكل ما لديهم من آلات وأجهزة علمية فى هذا المستشفى الكبير هو تشنج

بسيط فى القولون ! ودأصاب مزقها كل ذلك القلق بسببه .

(تندفع الى الحجرة طفله وقد قبضت فى كل يد من يديها على قطعة من الزجاج المشع المتعددالألوان. وهى تقفز وتصرخ وكأنها قرد صغير استبد به الجنون وتندفع خارجة من الحجرة عندما يهم الأب بضربها . صمت . . يحملق كل من الرجلين فى وجه الآخر . وتسمع سيدة تضحك فى مرح خارج الحجرة) .

أود أن تعلم يا بريك أننى تنفست الصعداء فعلا !

بريك : لم تكن على استعداد للرحيل ؟

الأب : الرحيل أين ؟ — زفت .

عندما ترحل من الدنيا ، يا هوه ، ترحل الى غير رجعة والى غير مكان ! الإنسان فى تكوينهلا يختلف عن الحيوانات أو الأسماك أو الطيور أو الزواحف أو الحشرات ! غاية الأمر أنه أكثر منها تعقيداً وبالتالى يحتاج قدراً أكبر من الجهد لصيانته . . نعم كنت أظن أننى مصاب به . . فاهتزت الأرض من تحت أقدامى وأطبقت السماء على كما يطبق الغطاء الأسود على القدر . . وانكتمت أنفاسى . .

اليوم ! اليوم فقط قد رفع الغطاء وتنفست الصعداء للمرة الأولى فى – كم سنة ؟ – يالله – ثلاث ...
(ضحك فى الخارج . وأقدام تجرى وأصوات ضعيفة متقطعة وأضواء من أثر انفجار الصواريخ. يحملق بريك فيه بهدوء فترة طويلة ثم يحدث صوتا مضطربا فى أنفه وينهض على قدم واحدة ويحجل عبر الحجرة ليأخذ عكازته وهو يستند على قطع الأثاث . يأخذ عكازته وينطلق هاربا كالمذعور نحو الشرفة . . يمسك به أبوه من أكمام بيجامته الحريرية البيضاء) .
ابق هنا يا ابن الكلبة ! . . حتى آذن لك بالانصراف !

بريك : لا أستطيع .

الأب : سوف تبقى رغم أنفك . . عليك اللعنة . .

بريك : كلا . . لاأستطيع . . اننا نتكلم . . بل أنت تتكلم فى دوائر مفرغة ! ولانصل الى شيء . . لانصل الى شيء . . لاشيء ! . كما هو الحال دائماً . .
تقول انك تود التحدث معى وليس لديك ماتقوله لى !

الأب : أتقول ليس لدى ما أقوله لك وأنا أخبرك أن الحياة قد كتبت لى بعد أن كنت على شفا الموت ؟ !

بريك : أوه هذا !. أهذا ماتود أن تقوله لى ؟

الأب : نعم يا ابن الكلبة .. أليس هذا .. أليس هذا . شيئاً هاما ؟ !

بريك : حسن لقد قلته. . فرغت من قوله والآن أريدأن...

الأب : والآن عد الى مقعدك .

بريك : انك مخمور تماما . .

الأب : لست مخموراً . .

بريك : بلى انك مخمور . . تماما . .

الأب : لاتقل هذا أيها الخنزير السكير ! سوف أقطع أكمام جاكتك ما لم تجلس !

بريك : أبى . .

الأب : أفعل ما آمرك به فأنا السيد هنا ! أحب أن تعرف أننى قد عدت الآن الى مركز المسير لهذا المكان . (تدخل الأم مندفعة ويدها قابضة على صدرها الضخم) .
والآن ما الذى يأتى بك الى هنا يا جدة !

الأم : أوه .. لماذا تصرخ هكذا ياجد ؟ انى لاأستطيع أن أحتمل هذا .. انى .

الأب : (يرفع ظهر يده فوق رأسه) أخرجى من هنا !

(تندفع خارجة وهى تنتحب) .

بريك : (برقة وأسى) يا الهى !

الأب : (بوحشية) نعم ! . . يا الهى ! . . فعلا...
(يفلت بريك من قبضة أبيه ويقفز نحو الشرفة .. الأب يزيح العكازة من تحت أبط بريك فيتكىء بريك على رسغه المصاب .. وتصدر عنه صيحة ألم طويلة ويمسك بأحد الكراسى ويجره فيقع على الأرض والكرسى فوقه) يا ابن العاهرة . .

بريك : ناولنى العكازة يا أبى . .
(الأب يلقى بالعكازة بعيداً) .
أعطنى العكازة يا أبى .

الأب : لماذا تشرب الخمر ؟

بريك : لست أدرى . . ناولنى عكازتى !

الأب : مادمت لاتعرف السبب . . فلم لاتقلع عنه !

بريك : أرجوك أن تاولنى العكازة حتى أستطيع أنأنهض من على هذه الأرض .

الأب : أجب أولا على سؤالى . . لماذا تدمن الشراب ؟لماذا تبدد حياتك يا بنى هباء وكأنها شىء كريه مزر عثرت عليه فى الطريق ؟

بريك : (منتصبا على ركبتيه) انني أعانى من الألم يا أبتاه فقد دست على قدمى المصابة . .

الأب : حسنا . . يسعدنى أن أحساسك لم يتبلد تماما بفعل الخمر . . ولازلت تشعر بالألم !

بريك : لقد . . لقد سكبت الخمر التى كانت بكأسى . .

الأب : سأبرم اتفاقا معك . . أخبرنى لماذا تدمن الخمر وسوف أنا ولك كأسا أخرى بدلا منها . . سأصب لك الكأس بنفسى وأناوله لك .

بريك : لماذا أدمن الخمر ؟

الأب : أى نعم ! لماذا ؟

بريك : ناولنى كأسا وسوف أخبرك .

الأب : أخبرنى أولا !

بريك : سأجيبك بكلمة واحدة .

الأب : وماهى ؟

بريك : الاشمئزاز !

(الساعة تدق برفق وعذوبة ويرمقها الأب بنظرة غاضبة).

والآن هلا ناولتنى الكأس الذى وعدتنى به ؟

الأب : وممّ تشمئز ؟ عليك أن تخبرنى بهذا أولا . والافلن يكون لاشمئزازك معنى !

بريك : ناولنى العكازة .

الأب : لقد سمعت سؤالى وعليك أن تجيب عليه أولا.

بريك : لقد قلت لك أننى أشرب الخمر لأقتل هذا الشعور بالاشمئزاز .

الأب : الاشمئزاز من أى شىء !

بريك : انك تتقاضى ثمنا فادحاً .

الأب : قل لى مم تشمئز ؟ وسأناولك الكأس .

بريك : بوسعى أن أحجل على قدم واحدة واذا وقعت أستطيع أن أحبو .

الأب : هل بلغت بك الحاجة الى الشراب الى هذا الحد ؟

بريك : (يحاول أن يقف مستنداً الى السرير) — نعم ، أننى فى مسيس الحاجه اليه .

الأب : هل تخبرنى يابريك مم تشمئز لوناولتك كأس الشراب ؟

بريك : نعم يا سيدى . سأحاول ذلك .

(يملأ الأب كأسا لبريك ويناوله له فى وقار . ويسود الهدوء بينما يشرب بريك) .

هل سمعت يوما عن كلمة المين ؟ .

الأب : بكل تأكيد . أنها احدى الكلمات الرخيصة التى يتراشق بها السياسيون فى اتهام بعضهم البعض .

بريك : وهل تعرف معناها ؟

الأب : ألا تعنى الكذب والكذابين ؟

بريك : نعم ياسيدى ، الكذب والكذابين .

الأب : وهل هناك من يكذب عليك ؟

(الأطفال يغنون جماعة خلف الكواليس) .

جدنا نريده !

جدنا نريده !

(يظهر جوبر بباب الشرفة) .

جوبر : الأطفال هناك يصيحون فى طلبك يا أبى .

الأب : (بعنف) ابتعد ياجوبر !

جوبر : آسف !

(الأب يغلق الباب بشدة خلف جوبر) .

الأب : من الذى كذب عليك ، هل تكذب عليك مارجريت ، هل تخدعك مارجريت فى أمرما ؟

بريك : ليست مرجريت . ولو كانت لما اكترثت بذلك. فهذا لايهم .

الأب : إذن من الذى كذب عليك ، وفى أى شىء ؟

بريك : انه ليس شخصاً واحداً .. ليست أكذوبة واحدة.

الأب : إذن ماذا . . ماذا بحق السماء ؟

بريك : الكل . . الكل . . كل شىء . .

الأب : لماذا تفرك جبينك . . هل تشكو من الصداع ؟
بريك : كلا ولكنى أحاول أن . . .
الأب : أن تركز ولكنك لاتستطيع لأن خلايا مخك مشبعة
بالخمر . . أهذا مايضايقك ؟ مخ ملبد !
(يخطف الكأس من يد بريك) .
وماذا تعرف أنت عما سميته المين ؟ يا للجحيم .
أستطيع أن أكتب كتابا عنه ! ألا تعرف ذلك ؟
أستطيع أن أكتب كتابا عنه دون أن أوفى
الموضوع حقه ؟ حقاً أستطيع – أستطيع أن أضع
كتابا عنه دون أن ألم بكل جوانبه ولو إلى حد ما ؛
تصور كل الأكاذيب التى أنا مضطر للتغاضى عنها .
النفاق ! أليس هذا مينا ؟ أليس كذبا أن تتظاهر
بأشياء لاتؤمن بها ولاتحسها ولا تدرى عنها شيئاً
فافعل مثلا كما أفعل مع أمك ! منذ أربعين سنة
وإلى الآن وأنا لايمكننى أن أطيق منظر هذه المرأة
أو صوتها أو رائحتها ! حتى عندما كنت أباشرها !
حركة منتظمة كالآلة .

وتظاهرت بحب ذلك الوغد جوبر وزوجته مى
وأبناءهم الخمسة الذين يتصايحون هنالك وكأنهم
ببغاوات فى الغابة ؟ يا إلهى انى لا أطيق رؤيتهم !

أوخذ الكنيسة مثلا . . انها تزهق روح ايمانى بالله.
ومع ذلك أذهب !أذهب إليها وأجلس لاستمع إلى
الواعظ الغبي ! .
والأندية . . الماسونية . . والروتارى . . كلها . .
سخف . .
(تنتابه نوبة من الألم فيضم يديه على بطنه . يغوص
فى مقعد ويبدو صوته خافتا مبحوحا) .
أما أنت فلأمر ما أحبك — شعرت دائما نحوك
شعوراً صادقاً بالحب والاحترام . . نعم دائماً . .
الشيئان الوحيدان اللذان أعتز بهما فى حياتى هما
أنت ونجاحى كمزارع . . وهذه هى الحقيقة . .
لست أدرى لماذا . ولكنها الحقيقة !
أنا عشت مع المين . . لم لا تقدر أنت أن تعيش معه ؟
يا للجحيم . . لابد أن ترضى به فى حياتك ، وهل
فى الحياة سوى الكذب والمين لنعيش معه ؟

بريك : نعم ياسيدى . . نعم ياسيدى . . فى الحياة شىء
آخر تستطيع أن تعيش معه !

الأب : ماهو ؟

بريك : (يرفع كأسه) هذا ! الشراب !

الأب : ليست هذه حياة . . إنها هروب من الحياة .

بريك : أريد أن أهرب من الحياة . .

الأب : إذن لماذا لاتنتحر يا رجل ؟

بريك : لأنى أحب أن أشرب . .

الأب : يا إلهى ، لا أستطيع أن أتحدث معك .

بريك : أنا آسف يا أبتاه . .

الأب : أنا أشد منك أسفا . . سأفضى لك بشىء . . منذ فترة وجيزة عندما ظننت أن ساعتى قد حانت (هذا الحديث يجب أن يلقى فى سرعة كبيرة ولهجة غاضبة) .
قبل أن أكتشف أن الأمر ليس سوى تشنج فى القولون هذا . فكرت فى أمرك . هل يحسن بى أولا يحسن أن أوصى لك بهذا المكان إذا حلت الساعة حيث أننى أكره جوبر ومى وأعرف أنهما يكرهاننى وحيث أن أحفادى القرود الخمسة هم أبناء جوبر ومى . . ثم قلت فى نفسى كلا ! ثم عدت وقلت نعم ! لم أستطع أن أتخذ قراراً . . اننى أكره جوبر وقروده الخمسة وتلك الكلبة مى ! كيف أسلم ثمانية وعشرين ألف فدان من أجود الأراضى فى هذا الجانب غربا من الوادى لأناس ليسوا على شاكلتى . . ولكن من جهة أخرى يا بريك كيف

أعين بأموالى غبياً ينفقها فى الخمر ؟ سواء كنت أميل أو لا أميل اليه ، حتى ولو كنت أحبه ! لماذا أفعل ذلك ؟ أشجع بأموالى الفساد والانحلال ؟

بريك : (مبتسما) انى أفهم ماتقول . .

الأب : أجل . . ان كنت تفهمه فأنت أنبه منى ، اللعنة ، لأنى لا أستطيع أن أفهم . . وأقول لك هذا بكل صراحة . أنا لم أصل إلى قرار فى هذا الأمر بعد ولم أكتب وصيتى إلى يومنا هذا ! — أجل ولست بحاجة إلى ذلك الآن . الضرورة الملحة زالت ، وبوسعى أن أنتظر حتى أرى إن كنت تستطيع أن تتماسك وتنهض من سقطتك أم لا .

بريك : انك على صواب يا أبتاه .

الأب : يبدو أنك تظن أنى لست جادا . .

بريك : لا يا سيدى . أعرف انك جاد . .

الأب : ولكنك لاتكترث . . ؟

بريك : (يحجل متجهاً نحو باب الشرفة) نعم ياسيدى لا أكترث . .

والآن ما رأيك فى أن نخرج لنلقى نظرة على الصواريخ التى تطلق احتفالا بعيد ميلادك وننعم ببعض الهواء العليل ؟

(يقف بمدخل الشرفة بينما تضىء السماء بألوان قرمزية وخضراء وصفراء . . على التوالى) .

الأب : انتظر ! يابريك . .

(ينخفض صوته . وفجأة يبدو فى حركاته التى يحاول أن يسيطر عليها الخجل والرقة) .

دعنا نتم هذا الحديث ولانتركه عند هذا الحد . كغيره من الأحاديث التى سبق أن تبادلناها . . لقد تطرقنا إلى مواضيع كثيرة بدافع أوبآخر . . وكنت أشعر دائماً أن هناك شيئاً لم نقله . شيئاً نتجنبه لأن كلا منا لم يكن صريحاً مع الآخر . .

بريك : لم أكذب عليك أبداً يا أبتاه .

الأب : وهل حدث أن كذبت أنا عليك ؟

بريك : كلا ياسيدى . .

الأب : إذن فهناك على الأقل اثنان لم يكذب أحدهما على الآخر . . .

بريك : ولكن لم يفهم أحدنا الآخر . .

الأب : نستطيع ذلك الآن . .

بريك : لايبدو أن هناك شيئاً هاما نقوله .

الأب : تقول إنك تشرب الخمر لتقتل اشمئزازك من الكذب .

بريك : طلبت منى أن أعطيك سبباً .

الأب : وهل الخمر هي الشيء الوحيد الذى يقتل هذا الاشمئزاز ؟

بريك : فى الوقت الحاضر .. نعم .

الأب : ولكن لم يكن الحال هكذا فيما مضى .. أليس كذلك؟

بريك : لم يكن كذلك عندما كنت شابا ومؤمنا .. فإن السكير إنسان يريد أن ينسى أنه لم يعد شابا ، ولامؤمنا ..

الأب : مؤمن بماذا ؟

بريك : مؤمن ..

الأب : مؤمن بماذا ؟

بريك : (محاولا التخلص فى عناد) مؤمن ..

الأب : لست أدرى ماتقصد بكلمة مؤمن ولست أظن أنك تعرف ماتقصد بها .. ولكن إذا كانت لاتزال بدمك بقايا من الروح الرياضية فعد إلى عملك مذيعاً فى ركن الرياضة و..

بريك : وأجلس فى تابوت زجاجى أراقب المباريات التى لا أستطيع أن أمارسها ؟ وأصف للمشاهدين مالا أستطيع أن أفعل بينما يؤديه اللاعبون وأعرق لافى المباريات التى لم أعد أصلح لها ولكن من الاشمئزاز

والاضطراب؟ وأشرب كوكا كولا وبوربون لكى أطيق حالتى .. لم أعد أصلح بعدالآن .. وليست بيدى حيلة .. لقد سبقنى الزمن .. سبقنى الزمن يا أبتاه.

الأب : أعتقد أنك تحاول التخلص من المسئولية ..

بريك : هل تعرف كثيرين من مدمنى الخمر ؟

الأب : (بابتسامة بسيطة ساحرة) لقد عرفت عدداًلابأس به من هذا النوع من الرجال . .

بريك : وهل استطاع أحدهم أن يعطيك سبباً لإدمانه الخمر ؟

الأب : نعم . . انك تلقى المسئولية بعيداً عن نفسك . . على الزمن أوالاشمئزاز من الكذب وغير ذلك من السخافات . . وإذا كنت مصراً على هذا المنطق فى مناقشاتك فهذا هراء لا أقبله . .

بريك : كان بد لى أن أعطيك سبباً لتعطينى كأساً !

الأب : لقد بدأت تشرب الخمر عندما مات صديقك سكيبر .

(سكون لفترة خمس ثوان . . ثم يحاول بريك بحركة مفزوعة أن يأخذ عكازته) .

بريك : ما الذى تلمح به ؟

الأب : أنا لاألمح بشىء ؟

(بريك يحدث ضجة وانزعاجا فى حجلاته محاولا التخلص من نظرات أبيه الحادة الثابتة) .
ولكن جوبر ومى لحا أن هناك شيئاً معيباً . . فى...

بريك : (يقف بالقرب من حافة المسرح وكأن هناك حائطاً يستند عليه) : شيئاً معيباً ؟

الأب : أجل شىء ليس معتاداً فى صداقتك مع . .

بريك : هما لحا بهذا أيضاً ؟ كنت أظن أن هذا التلميح من ماجى وحدها .

(أخيراً تنفذ الحدية والاهتمام إلى بريك بدلا من عدم الاكتراث . . وتسرع ضربات قلبه .. وتتبلور قطرات العرق على جبينه . . وتتلاحق أنفاسه فى سرعة ويزداد صوته بحة . فذلك الأمر الذى يناقشه الأب فى خجل وأسى ، ويجادل فيه بريك بعصبية وتهور هو ذلك السر فى علاقته بسكيبر الذى مات حتى لاينكشف أمره .وكون هذا الأمر اذا صح لابد من انكاره محافظة على الكرامة فى العالم الذى يعيشون فيه – ربمـــا كان هو لب « المين والزيف » الذى قال بريك انه يشرب ليغرق اشمئزازه منه . وربما كان السبب الرئيسى فى انهياره . أوربماكان ثمة مظهراً واحداً من مظاهره . . وليس أهم هذه

المظاهر . والغرض الذى أرمى اليه من هذه المسرحية ليس مجرد حل لقضية فرد واحد . بل انى أحاول أن أصور التجربة البشرية فى جماعة من الناس تصويراً صادقاً . . تلك التجربة الغامضة المتغيرة المشحونة بالمشاعر الملتهبة . . وتفاعل الأحياء من البشر فى خضم أزمة مشتركة .. ولابد من ترك بعض الغموض فى تصوير وكشف الشخصيات فى المسرحية . . تماما كما يتبقى دائما جانب من الغموض فى كشف شخصيات الحياة العادية . . حتى فى ادراك الإنسان لنفسه . وهذا لايعفى الكاتب من مسئوليته فى الملاحظة والتعمق بقدرمايتيسر له من العمق والوضوح . ولكنه خليق بأن يتجنب الاستنتاجات المنمقة والتعاريف السهلة والتى تجعل من مسرحيته مجرد مسرحية وليست محاولة لاصطياد الحقيقة فى التجربة البشرية . .

يجب أن يؤدى المشهد التالى بتركيز كبير . على أن يكون الجانب الأكبر من قوة الأداء مكبوتاً يمكن ادراكه دون الإفصاح عنه) .

ومن من الآخرين يلمح هذا التلميح؟ أنت أيضاً ؟ كم واحداً كانوا يعتقدون أن بينى وبين سكيبر...

الأب : (بلطف) والآن تمهل .. لحظة يا بنى .. فقد طفت ودرت وخبرت كثيراً فى زمانى ..

بريك : وما علاقة ذلك بـ..

الأب : قلت لك مهلا .. لقد جبت أرجاء هذه البلاد كالمتسول حتى ..

بريك : تلميح من ، من غير هؤلاء لمح بذلك ؟

الأب : ونمت فى الأدغال مع المتسولين وعلى أرصفة السكة الحديد وبيوت الدعارة فى جميع المدن قبل أن ..

بريك : وأنت أيضاً تشاركهم هذا الرأى ، تسمينى ابنك وتتهمنى بالشذوذ .. آه وربما لهذا السبب وضعتنى مع ماجى فى هذه الغرفة التى كانت من قبل لجاك ستروويبتر أوكللو .. والتى فيها كانت تنام هاتان العانستان فى فراش واحد حيث ماتتا !

الأب : والآن يحسن بك ألا تلقى بحجارة على ..

(فجأة يظهر القس توكر أمام أبواب الشرفة وقد ارتسمت على محياه ابتسامة صغيرة كاذبة من تلك الابتسامات الكهنوتية التى تشبه أنغام صفارة صائد الطيور عندما يدعو الطيور لتهرع اليه فى الغابة . وهذه الابتسامة هى فى الواقع تجسيد حى لأكذوبة

التقوى التقليدية . .

(يتنهد الأب قليلا عند ظهور القس فى هذه اللحظة بالذات . . لأن ذلك لايناسب الموقف) .

عم تبحث أيها القس ؟

القس توكر : عن دورة مياه للرجال ، هاها . . هى . . هى..

الأب : (بأدب متكلف) — عد الى الخارج وسر الى نهاية الطرف الآخر من الشرفة وهناك ستجد دورة المياه الملحقة بغرفة تومى . واذا لم نستطع الوصول اليها . . اسألهم ليدلوك عليها . .

القس توكر : آه . شكراً . .

(يخرج بابتسامة تنطوى على الاحتقار) .

الأب : من الصعب أن يتحدث المرء فى هذا البيت . .

بريك : يا ابن الـ . . !

الأب : (وقد بدا أنه يحتجز كثيراً من الكلام فى صدره).. لقد رأيت جميع الأشياء وفهمت كثيراً منها حتى سنة ١٩١٠ . . يا إلهى ! تلك السنة التى بلى فيها حذائى . . ورهنت . . وألقت بى عربة نقل صغراء على بعد نصف ميل من الطريق حيث قضيت الليل فى عربة محملة بالأقطان خارج أحد محالج القطن وهناك أخذنى جاك ستروبيتر أوكيللو إلى بيتهما..

واستخدماني لأدير لهما هذا المكان الذى ازدهر كما ترى الآن . . وعندما توفى جاك سترو . عزف بيتر أوكيللو عن الطعام كما يفعل الكلب عند موت سيده . . ومات هو الآخر .

بريك : يا لله !

الأب : أريد فقط أن أقول لك أنني أدرك تلك . .

بريك : (بعنف) لقد مات سكيبر . . ولم أمتنع عن الطعام !

الأب : ولكنك بدأت تشرب الخمر . .

(بريك يستدير على عكازته ويقذف بالكأس على الأرض وهو يصيح) .

بريك : وأنت أيضاً تعتقد هذا ؟

الأب : اش ! اش ! . . ص ص . .

(وقع أقدام تجرى فى الشرفة . . ونداءات بعض النساء . . يذهب الأب إلى الباب) .

اذهبو بعيداً . . لم يحدث شيء سوى أن كوبا كسر . .

(بريك يتغير تماما وكأن جبلا هادئا ثار فجأة وانقلب إلى بركان ثائر) .

بريك : وأنت أيضاً تعتقد هذا ؟ أنت أيضاً تعتقد هذا . . تعتقد أنني وسكيبر كنا نمارس . نمارس . . اللواط . . معاً ؟

الأب : مهلا !

بريك : هذا ما . .

الأب : لحظة !

بريك : تعتقد أننا كنا نأتى فيما بيننا أفعالا قذرة و . .

الأب : لماذا تصرخ هكذا ؟ . . لماذا . .

بريك : يا إلهى . . أهذا هو رأيك فى سكيبر . . أهذا . .

الأب : أنت ثائر إلى هذه الدرجة ؟ . است أعتقد شيئاً . . ولست أعلم شيئاً . . أخبرتك فقط بما . .

بريك : أنت تعتقد أننى وسكيبر كنا زوجا على علاقة شاذة قذرة .

الأب : والآن هذا . .

بريك : مثل ستّرو ؟ وأوكيللو زوج من الـ...

الأب : هلا . .

بريك : المخنثين ؟ الشاذين ؟ أهذا ما تـ . .

الأب : ص . شش .

بريك : تعتقده ؟

(يفقد توازنه فيسقط على ركبتيه دون أن يتنبه للألم . فيمسك بالفراش ويجر رجليه محاولاً الوقوف)

الأب : يا إلهى ! هو . . امسك بيدى !

بريك : لا أريد يدك .

الأب : ولكنى أريد يدك . . قم . .

(يرفعه من الأرض ويحيطه بذراعه مبديا قلقه وعطفه عليه) .

انك تتصبب عرقاً ! وتلهث كما لو كنت قدجريت سباقا مع . .

بريك : (مخلصاً نفسه من قبضة أبيه) لقد صدمتنى ياأبتاه.. أنت ، أنت صدمتنى . . بكلامك ..

(يشيح بوجهه عن أبيه) .

بكل بساطة . . عن شيء كهذا . .

ألا تعرف شعور الناس عند سماع مثل هذه الأشياء؟ ومدى اشمئزازهم من مثل هذه الأمور ؟ حدث عندما كنا بالجامعة وعرفت رابطة الأخوة التى كانت تربط بينى وبين سكيبر أن حاول أحد الزملاء أن يفعل شيئاً شاذا مع ...

نبذناه بعيداً عنا وكأنه طاعون ! بل وأجبرناه على مغادرة الجامعة . . فانصاع للأمر ورحل! رحل بعيداً إلى . .

(يتوقف ليلتقط أنفاسه) .

الأب : إلى أين ؟

بريك : شمال أفريقيا . . آخر مرة سمعت عنه !

الأب : ليكن . . لقد عدت من رحلة أبعد من تلك . .
لقد عدت لتوى من العالم الآخر . . عالم الموتى يابنى
وليس من السهل بأن أصدم بأى شىء هنا . .
(يقترب من حافة المسرح ويواجه الجمهور) .
لقد عشت طوال حياتى فى الخلاء بمعزل عن الناس
فلم يتسمم عقلى بأفكارهم .
ان هناك شيئاً آخر أهم من القطن يمكن أن تزرعه
فى مزرعة كبيرة كهذه . . إنه التسامح . . ولقد
زرعته . .
(يعود إلى بريك) .

بريك : لماذا لايمكن للناس أن يحترموا صداقة نادرة متينة
عميقة كل العمق صادقة كل الصدق على أنها شىء
نظيف مهذب بين رجلين دون أن تؤول على أنها...

الأب : هذا ممكن . . ممكن جدا بحق السماء .

بريك : شذوذ . .
(فى نطق بريك لهذه الكلمة ندرك مدى وعمق تأثره
بالعادات والتقاليد التى اكتسبها من نفس المجتمع
الذى سبق أن توج رأسه بأكليل الغار) .

الأب : لقد أخبرت مى وجوبر .

بريك : لعن الله جوبر ومى ولعن كل الأكاذيب القذرة

والكاذبين . لقد كانت بينى وبين سكيبر علاقة خالصة نظيفة . . كانت صداقة نظيفة . . استغرقت حياتنا كلها تقريباً . . إلى أن دخل فى رأس ماجى ذلك الذى تتحدث عنه..هل كانت علاقتنا عادية ؟ كلا . . كانت أندر من أن تكون عادية . . أى علاقة صادقة بين اثنين أمر أندر من أن يكون عاديا . . من آن لآخر ربما وضع يده على كتفى مرة أووضعت يدى على كتفه . .أوربما حدث بينما كنا نجوب القارة مع فريق الكرة أن نمنا فى غرفة واحدة وكان كل منا يمد ذراعه من فراشه ليصافح الآخر ويرجو له نوما هانئا . . نعم مرة أومرتين حاولنا . .

الأب : ليس هناك من يعتقد أن هذا غير طبيعى !

بريك : حسنا ! إنهم أيضاً مخطئون فى هذا . . لقد كانت شيئاً غير عادى ! كانت علاقة نقية صادقة وهذا ليس مألوفاً . .

(يحملق كل منهما فى الآخر لحظة طويلة . . ثم تخف حدة الموقف ويبتعد كل منهما عن الآخر بنظره كما لو كان متعباً) .

الأب : نعم . . انه . . لمن الصعب . . الحديث . .

بريك : حسناً ! وإذن دعنا — ننصرف . .

الأب : لماذا انهار سكيبر ؟ ولماذا انهرت أنت ؟

(بريك ينظر إلى أبيه مرة أخرى . لقد صمم دون أن يعي ماصمم عليه . . أن يفضي إليه أنه سوف يموت بالسرطان . وبهذا فقط تتعادل الكفتان بينهما . فقد استباح لنفسه أمراً محظوراً كما استباح الأب لنفسه الخوص فى ذلك السر بينه وبين سكيبر)

بريك : (منذراً بالشر) حسنا . انك تضطرنى لهذا يا أبتاه.. أخيراً حان الوقت لأن نتحدث ذلك الحديث الصادق الذى تطلبه . . ولم يعد هناك مفر منه الآ ن . ولابد لنا من متابعته حتى نستوفيه .

(يحجل عائداً إلى خزانة الخمر) .

أوه .

(يفتح جردل الثلج ويلتقط ماسك الثلج ويعجب فى بطء بشدة لمعانه وبرودته) .

تقول ماجى اننى وسكيبر انضممنا إلى نوادى الكرة بعد أن تركنا الجامعة لأننا كنا نخشى أن نكبر . .

(يتحرك نحو حافة المسرح محدثا ضوضاء وجلبة بعكازته .

وكما فعلت ماجى عندما سار حديثها بمجرد « تسميع »
ينظر إلى بعيد نحو الجمهور محاولا جذب الانتباه
بنظرته المباشرة المركزة عليهم . . ويبدو هنا إنسانا
محطماً يثير الحزن والأسى برقته وهو يعطى من
الحقيقة بمقدار ما يعلم) .

أردنا أن — نواصل — تلك الرميات البعيدة ،
البعيدة جداً ! العالية ، العالية جداً ! — رميات
لم يكن لشىء أن يعترضها إلا الزمن ، وتلك
الانقضاضة من أعلى التى أكسبتنا الشهرة !ونجحنا ،
نجحنا ، واحتفظنا بها موسما كاملا ، بتلك الانقضاضة
الجوية استبقيناها عالية ! — نعم ، لكن ...
فى ذلك الصيف سنت ماجى شريعتها وقالت إما أن
أتزوجها فى ذلك الوقت وإما أن أتركها للأبد ...
فتزوجتها . .

الأب : وهل كانت تسعدك فى الفراش ؟

بريك : (بحياء) عظيمة . . أعظم ما يمكن .

(الأب يومىء برأسه مؤيداً وكأنه يعتقد ذلك أيضاً)
لقد ذهبت فى ركاب فريق الديكس ستار فى ذلك
الخريف . وكانت تفخر أمام الجميع بأنها أعظم
رياضية فى العالم . . وكانت تضع على رأسها قبعة

عالية من جلد الدب ! يسمونها شاكو . . وتتدثر
فى معطف من فراء السنور المصبوغ باللون الأحمر !
وطرازه شاذ ! وكانت تستأجر صالات الفنادق
لتقيم فيها احتفالات النصر . . وكانت ترفض إلغاء
تلك الاحتفالات حتى بعد أن تتبين أنها — أنها —
هزيمة . .

يا لنا . . ماجى تلك القطة . . ها . . ها . .

(الأب يومىء برأسه) .

ولكن سكيبر كان مصابا بحمى وكانت تلك الحمى
تعاوده . . ولم يستطع الأطباء تفسيرها وأصبت
أنا بتلك الإصابة التى ظهر من صورة الأشعة أنها
مجرد ظل خفيف والتهاب بسيط فى المفاصل ...

ورقدت فى فراشى بالمستشفى أرقب المباريات على
شاشة التليفزيون ورأيت ماجى تجلس على المقعد
بجوار سكيبر عندما أخرجوه من المباراة لتعثره
وسقوطه أثناء اللعب ! لقد احترقت أعصابى
للطريقة التى كانت تستند بها على ذراعه ! هل تصدق
أنى أعتقد أن ماجى كانت دائماً تشعر بأنها مهملة
لأننى فى علاقتى بها لم أقترب منها سوى اقتراب
شخصين فى الفراش وهى علاقة لاتزيد عن علاقة

قط يمتطى قطة فوق سور أحد المنـــازل . . ولذلك
انتهزت هذه الفرصة لتنصب شباكها حول ذلك
الساذج سكيبر . . الذى كان طالبا أقل من المتوسط
فى الكاية . . كما تعلم . . وراحت تملأ ذهنه
بتلك الفكرة الدنيئة الكاذبة وهى أننا . . أنا وهو
كنا نمثل حالة من حالات الكبت . . كحالة تلك
الأختين العانستين (١) اللتان كانتا تعيشان فى هذه
الغرفة من قبل .. جاك ستروويبتر أوكيللو ! فانساق
المسكين سكيبر لرغباتها وحاول أن يباشرها ليثبت
لها خطأ اعتقادها ولما لم يوفق معها توهم أن ظنها كان
صادقا ! وكانت النتيجة أن تحطم سكيبر وكأنه
عود برسيم . . لم أر انسانا ينهار بمثل هذه السرعة..
أو يموت من صدمة كهذه بمثل هذه السرعة ...
والآن هل اقتنعت ؟

(لقد استمع الأب إلى تلك القصة وهو يحاول أن
يفرق بين الغث والثمين والآن ينظر الى ابنه) .

الأب : وهل أنت مقتنع ؟

بربك : بماذا ؟

الأب : بتلك القصة الساذجة !

---

(١) يقصد الاخوين .

بريك : وما وجه السذاجة فيها ؟

الأب : ليست هذه هى القصة كاملة . . ماذا أخفيت عنى منها ؟

(بدأ جرس التليفون يدق فى البهو . . وكما لوكان يذكره بشىء ما . . ينظر بريك فجأة نحو مصدر الصوت ثم يقول .

بريك : أجل فاتنى أن أذكر لك مكالمة تليفونية بعيدة أجراها سكيبر وفيها اعترف لى وهو مخمور بما حدث بينه وبين ماجى فقفلت التليفون فى وجهه ! وكان هذا آخر حديث دار بيننا . .

(يتوقف جرس التليفون عندما يرد أحدهم على المتكلم بصوت ناعم غير واضح فى البهو) .

الأب : قفلت التليفون فى وجهه ؟

بريك : قفلت التليفون . ياالله ! طبعا . .

الأب : على أى حال لقد وصلنا فى النهاية الى الأكذوبة التى تشمئز منها والتى تشرب الخمر لتقتل اشمئزازك منها يا بريك . . لقد كنت تحاول القاء المسئولية بعيداً عنك . . ان اشمئزازك من الكذب والمين هو اشمئزازك من نفسك . .

أنت ! - الذى حفرت القبر لصديقك وركلته بقدمك إلى أعماقه بدلا من أن تقف إلى جواره تواجهان الحقيقة . .

بريك : حقيقة أمره لاحقيقتى أنا !

الأب : لتكن حقيقته هو ! ولكنك لم تقف إلى جواره لتواجهاها معا !

بريك : ومن الذى يستطيع أن يواجه الحقيقة ؟ أتستطيع أنت ؟

الأب : والآن لاتعد إلى التهرب من المسئولية يا بنى !

بريك : والآن ما بال تلك التهانى بعيد ميلادك . . وتلك التمنيات بأعوام مديدة عديدة . . بينما الكل فيماعداك يعلم أنه لن تكون هناك أعياد أخرى !

(الشخص الذى يرد على التليفون فى الردهة يطلق ضحكة عالية صاخبة . ويسمع صوته وهو يقول.. كلا كلا . . إن معلوماتك خاطئة تماما . . بل هى عكس الحقيقة . . هل أنت مجنون ؟

(بريك يتوقف فجأة عن الكلام عندما يدرك أنه قد كشف عن سر رهيب . يحجل بضع خطوات ثم يتجمد فى مكانه . ودون أن ينظر إلى وجه أبيه

الذى بدا عليه الرعب يقول) : .

هيا بنا . . لنخرج الآن . . ثم

(فجـأة يتحرك الأب إلى الأمام ويمسك بعكازة ابنه كما لو كانت هذه العكازة سلاحا يقتتلان من أجل الاستيلاء عليه) .

الأب : أوه . . كلا . . كلا . . كلا ! لن يخرج أى منا ! ماذا كنت تقول ؟

بريك : لست أذكر .

الأب : يتمنون أعياداً كثيرة وعمرا مديداً وهم يعلمون أنه لن تكون هناك أعياد ؟

بريك : آه . . ياالجحيم . . دعك من هذا يا أبتاه .. تعال نخرج إلى الشرفة لنلقى نظرة على الصواريخ التى يطلقونها احتفالا بعيد ميلادك . .

الأب : أكمل أولا الحديث الذى بدأته وقطعته فجأة . . أعياداً كثيرة وعمراً مديداً وهم يعلمون أنه لن تكون هناك أعياد ؟ أليس هذا ما قلته لتوك ؟

بريك : بوسعى أن أتحرك بدون هذه العكازة لو اضطررت إلى ذلك الأمر ولكن يكون أسلم كثيراً للأثاثات وللأدوات الزجاجية إذا لم أضطر إلى التأرجح مثل طرزان .. فى . .

الأب : أكمل الحديث الذى بدأته !

(يرتفع فى السماء خلف ظهره وهج أخضر) .

بريك : (يرتشف الثلج فى كأسه . . ويبدو الحديث ثقيلا) اترك هذه المزرعة لجوبر ومى وأبنائهم القرود الخمسة . . كل ماأريده هو . .

الأب : أترك هذه الضيعة . . أقلت ذلك ؟

بريك : (فى غموض) كل هذه الثمانية والعشرين ألف فدان من أجود الأراضى على هذا الجانب من وادى النيل .

الأب : ومن قال أننى سأترك الضيعة لجوبر أولغيره ؟ هذا هو عيد ميلادى الخامس والستين . . وأمامى خمسة عشر أوعشرون عاما سوف أعيش بعدكم. وسوف أدفنك وأدفع ثمن تابوتك !

بريك : بكل تأكيد . . أطال الله حياتك . . والآن لنخرج لنتفرج على الصواريخ .. تعال . . فلنخرج..

الأب : يكذبون . . هل كانوا يخدعوننى ؟ بشأن ذلك التقرير الذى جاء من المستشفى . . هل وجد الأطباء شيئاً؟ السرطان مثلا ؟

بريك : ان الكذب والمين هو النظام الذى نعيش فى ظله..

والخمر إحدى طرق الهروب منه . . والموت طريق آخر . .

(يأخذ العكاز من قبضة أبيه المتراخية ويخرج مسرعاً إلى الشرفة تاركا الأبواب مفتوحة . . تسمع أغنية « اجمع بالة من القطن ») .

مى : (تظهر بالباب) أوه يا أبتاه عمال المزرعة يغنون من أجلك !

الأب : (يصيح فى خشونه) بريك ! بريك !

مى : انه بالخارج يحتسى الخمر يا أبتاه .

الأب : بريك !

(تتراجع مى خائفة من أثر صوت الأب المختنق.. الأطفال ينادون بريك مقلدين طريقة الأب فى سخرية . . يبدو على وجهه سمات الانهيار وكأن تجاعيده قطعاً من البياض توشك أن تسقط إلى الأرض) .

(هناك وهج فى السماء . . يعود بريك من الباب وهو يحجل على مهل وفى حزن وهدوء تام) .

بريك : انى آسف يا أبتاه . . انى لم أعد أدرك شيئاً ومن الصعب على أن أدرك كيف يمكن لأى انسان أن

يهتم بالحياة أوالموت أوبقرب المنية أويهتم بأى شيء.
كل مايهمنى أن أعرف إن كان هناك من الخمر
ما يكفى أولاوعلى هذا قلت ماقلت دون تفكير
أووعى . . فى بعض الأمور لا أفضل الغير
وفى بعض الأمور قد تجدنى أسوأ منهم لأننى أقل
وعيا بالحياة . . ربما كان وعيهم بالحياة هو
الذى يدفعهم إلى الكذب . ولكن لأننى أكاد
أكون فى حكم العدم تجدنى أحيانا صادقا .لست
أعرف بالضبط ولكن على أى حال . . لقد كنا
أصدقاء ومعنى الصداقة أن يكون كل منا صادقاً مع
الآخر .. (فترة صمت) .
لقد واجهتنى بالحقيقة ! فواجهتك بالحقيقة أيضاً !
(يندفع طفل إلى داخل الحجرة ثم يملأ قبضة يده
بالصواريخ ويجرى خارجا) .

الطفل : (صارخا) طخ . . طخ . . طخ....

الأب : (ببطء وإحساس عميق) يا الهى . . لعنة الله على
الكذابين أولاد الكلاب الكذابين كلهم .
(يقف فى النهاية ويسير إلى الباب الداخلى وعند
الباب يستدير وينظر خلفه كما لو كان لديه سؤال
محير عجز عن صياغته فى كلمات . ثم يومىء

برأسه مفكراً ويقول في صوت أجش) .

نعم . . الجميع كذابون . . كلهم كذابون . .كلهم كاذبون . . هالكون . . كذابون .

(تقال هذه الكلمات ببطء وبامتعاض شديد . . ثم يتجه خارجا) .

كاذبون . . هالكون ! كذابون !

(يخبو صوته . . يسمع صياح طفل يضرب . . ويندفع وهو يصرخ صرخات فظيعة إلى الحجرة ثم خارجاً من باب البهو . ويبقى بريك ساكنا بينما الأضواء تطفأ والستارة تنزل) . . .



الفصل الثالث

(يبدأ بعد الفصل السابق مباشرة — تدخل مى مع القس توكر)

مى : أين الوالد ! الوالد ؟

الأم : (تدخل) ان الرائحة الشديدة للصواريخ المحترقة تسبب لى بعض الألم فى معدتى — أين الوالد ؟

مى : هذا ما أود معرفته . . أين ذهب الوالد ؟

الأم : لابد أنه دخل للنوم . . أعتقد أنه آوى لفراشه .

(يدخل جوبر) .

جوبر : اين الوالد ؟

مى : لانعرف مكانه .

الأم : أظن أنه أوى لفراشه .

جوبر : حسن . . إذن نستطيع أن نتحدث الآن .

الأم : ماهو هذا الحديث ؟ أى حديث ؟

(تظهر مارجريت فى الشرفة — تتحدث مع الدكتوربو) .

مارجريت : (ترنم) أسرتنا حررت ماكان لديها من عبيد قبل تحريم الرق بعشر سنوات .. وجدى منح عبيده حريتهم قبل بدء الحرب الأهلية بخمس سنوات.

مى : آه .. يا إلهى .. لقد عاودت ماجى التباهى بشجرة الأسرة .

مارجريت : (فى رقة) ماذا قلت يامى ؟ آه — أين الوالد ؟ (يجب أن تكون السرعة شديدة فيها حيوية أهل الجنوب) .

الأم : (توجه حديثها للجميع) أعتقد أن الوالد كان منهكاً .. أنه يحب أسرته ويجب أن يجلس وهم من حوله .. واو أن هذا يجهد أعصابه .. لم يكن طبيعياً هذه الليلة .. لم يكن الوالد طبيعياً.. لاحظت أنه كان مجهداً تماما ..

القس توكر : أظن أنه رائع .

الأم : هو فعلا كما تقول : رائع .. هل لاحظتم جميعاً ما أكل من طعام على تلك المائدة ؟ هل لاحظتم جميعاً العشاء الذى أتى عليه .. أنه كان يأكل كالحصان ..

جوبر : أرجو ألا يندم على دلك .

الأم : لقد أكل قطعة ضخمة من خبز الذرة بالعسل وتناول طبقين من المربى .

مارجريت : الوالد يحبه . . لقد كان عشاء ريفياً تماما .

الأم : (يتداخل حديثها فى حديث مارجريت) حقاً أنه يعبد هذا النوع من الطعام والمربى . . لقد التهم الرجل طعاما يكفى لإتخام فلاح زنجى . .

جوبر : (بلذة كثيبة) أرجو ألا يضطر ندفع الثمن غاليا فيما بعد . .

الأم : (فى عنف) ماهذا يا جوبر ؟

مى : ان جوبر يقول إنه يأمل ألا يتعب الوالد هذه الليلة .

الأم : آه . . كفى . . جوبر يقول . . جوبر يقول . . كيف يتعب الوالد لمجرد أشباع شهية طبيعية ؟ . ليس ثمة علة بالرجل سوى توتر فى أعصابه . . صحته كالذهب الرنان . . وهو يعرف ذلك الآن . . وهذا ماجعله يتناول مثل هذا العشاء . . لقد تحرر من كابوس ثقيل كان يشغل تفكيره إذ عرف أنه لن يموت بما كان يظن أنه مقدر له الموت به . .

مارجريت : (فى حزن ورقة) بارك الله روحه الجميلة . .

الأم : (فى شرود) نعم . . بارك الله قلبه . . أين بريك ؟

مى : فى الخارج . .

جوبر : يحتسي الخمر . .

الأم : أعرف أنه يحتسي الخمر . . ليس هناك مايدعوأن تكرروا عليّ دائماً أن بريك يشرب . . أليس فى وسعى أن أرى ذلك دون أن تخبرونى دائماً أنه يحتسي الخمر . .

مارجريت : (تصفق) أحسنت يا أماه . .

الأم : هناك أناس غيره يشربون وشربوا وسوف يشربون طالما كان الخمر يصنع ويعبأ فى زجاجات . .

مارجريت : هذا حق . . ولم أثق أبداً فى رجل لايشرب . .

مى : ان جوبر لايذوق الخمر . . ألا تثقين فيه ؟

مارجريت : ألا تحتسي الخمر ياجوبر ؟ لوعرفت أنك لاتشرب لما أبديت تلك الملاحظة . .

الأم : بريك !

مارجريت : على الأقل فى حضورك (تضحك برقة) .

الأم : بريك !

مارجريت : أنه لايزال فى الشرفة . . سآتى به . . لنتحدث . .

الأم : (بانزعاج) لاأعرف لم تعقدون للأسرة هذا المؤتمر الغريب ؟

(صمت مزعج . . تنظر الأم إلى وجه تلو الآخر ثم تتمتم قائلة : « عفواً » وتفتح مروحة صغيرة

معلقة حول رقبتها والمروحة من الحرير الأسود
لتناسب رداءها الحريرى الأسود وقد بدأت
تستعملها على صدرها المترهل .. وتتنفس فى
عصبية وتنظر من وجه لآخر وسط الصمت الرهيب
بينما تنادى مارجريت على بريك .. وبريك يغنى
للقمر فى الشرفة) ..
لا أدرى ما الذى حدث هنا .. وجوهكم جميعاً
تبدو حزينة .. افتح باب البهو ياجوبر من فضلك
ليتجدد الهواء ..

مى : من الأفضل ترك الباب مغلقاً حتى ينتهى حديثنا يا أماه ..

الأم : ياقس توكر .. هل تسمح أن تفتح أنت الباب؟

القس توكر : سمعاً وطاعة .

مى : قصدت فقط أنه يجب أن نحذر تماما ألا يتطرق أى شيء من حديثنا إلى سمع الوالد ..

الأم : أقسم أنه ما من شيء يقال فى هذا المنزل ولايستطيع الوالد أن يعرفه إذا ماأراد .

جوبر : حسن يا أماه .. أنه ..

(مى تلكزه بسرعة وعنف لتسكته .. يحملق فيها
بشدة بينما تدور أمامه كراقصة الباليه .. وترفع

ذراعيها العاريتين النحيلتين وتحدث رنينا بأساورها وتنادى . .

مى : نسمة هواء . . نسمة هواء . .

توكر : أظن أن الجو فى هذا البيت ألطف منه فى أى مكان آخر فى الدلتا . . هل علمتم أن أرملة هالس بانكس قد وضعت أجهزة تكييف الهواء فى الكنيسة.
وفى بيت القسيس فى فرايرزبوينت تخليداً لذكرى زوجها ؟
(يستأنف الحديث بشكل شامل . . ويتكلم كل فرد حتى يبدو المسرح كقفص كبير ملىء بالطيور).

جوبر : من المؤسف أن أحدا لم يقدم مثل هذه الأجهزة لكنيستك . . انى واثق أنك تتصبب عرقاً فى المنبر ياقس توكر فى أيام الآحاد الحارة .

توكر : نعم . . ان ملابسى تبتل تماما . .

مى : (فى نفس الوقت للدكتور بو) هل تعتقد يا دكتوربو أن حقن فيتامين ب ١٢ فعلا عظيمة كما يقال عنها ؟

الدكتوربو : إذا كنت تريدين أى شىء لكى يغرز فيك فلابأس بها فى الغرز .

الأم : (فى مدخل الشرفة) ماجى . . ماجى . . ألست آتية مع بريك ؟

مى : (فجأة وبصوت مرتفع فيسكت الجميع) ينتابنى شعور غريب . . ينتابنى شعور غريب .

الأم : (عائدة من الشرفة) أى شعور ؟

مى : أن بريك قال لأبيه شيئاً كان لا يجب أن يقال ..

الأم : أى شىء يستطيع بريك أن يقوله للوالد مما لا يجب أن يقال ؟

جوبر : هناك شىء . . يا أماه . .

مى : تريث . .

(تندفع فجأة الأم وتضمها وتقبلها بسرعة . تدفعها الأم بعصبية بينما يرتفع صوت القس توكر بوقار فى لحظة صمت) .

القس توكر : كنت أتصبب عرقاً يوم الأحد الماضى حتى أن الذهبى فى الحبة بهت على القرمزى فى ال . . .

جوبر : لابد أنك كنت تتحدث عن نار الجحيم فى خطبتك يا قس توكر يوم الأحد الماضى . .

(القسيس يقهقه على هذه النكتة ولكنه لم يطرب فعلا لها . . وفى نفس الوقت تعبر الوالدة تجاه الدكتور بو وتقول له) .

الأم : (يرتفع صوتها المختنق بنبرات عالية فوق بقية الأصوات) فى أيامنا كان هناك مايسمى بوصفة

كيلى لمدمنى الخمر . . وأعتقد أنهم يتناولون الآن
نوعا من الأقراص يسمونها أقراص « آنى بسط ».
ولكن بريك لايحتاج لشىء منها . .
(يظهر بريك فى مدخل الشرفة ومارجريت من
خلفه . الأم لاتدرك وجوده خلفها) .
ابنى قد حطمه موت سكيبر . . أتعرفون كيف
مات المسكين سكيبر ؟ لقد أعطوه جرعة كبيرة
جداً من محلول الصوديوم فى منزله ثم طلبوا له
الإسعاف فأعطوه جرعة كبيرة أخرى فى المستشفى . .
هذا بالإضافة إلى كل الكحول المتراكم فى دمه
شهوراً وشهوراً فلم يحتملها قلبه . . الحقن تخيفنى . .
الحقنة ترعبنى أكثر من السكين . . وأظن أن الذين
أودت بحياتهم الحقن أكثر من . .
(تقطع حديثها وتدور فى المكان) .
آه . . ها هو بريك . . ابنى العزيز . .
(تتجه لبريك فاتحة ذراعيها القصيرتين السمينتين . .
وتصدر عنها فى نفس الوقت شهقة مضحكة ،
ومؤثرة . . .
بريك يبتسم وينحنى قليلا ويقوم بحركة فيها أدب
مفتعل مشيراً لماجى لتتقدمه إلى الغرفة . . ثم يحجل

على عكازته مباشرة إلى خزانة الخمر . . ويحل صمت مطبق . . وينظر كل واحد إلى بريك كما اعتاد أن ينظر اليه كلما تحرك أوتكلم أوظهر . . ويسقط قطع الثلج فى كأسه الواحدة تلو الأخرى وفجأة . . ولكن بهدوء ينظر خلفه بابتسامة ساحرة فيها امتعاض ويقول :

بريك : آسف . . هل يريد أحدكم كأسا ؟

الأم : (فى حزن) لايا بنى . . أود لو تكف . .

بريك : ليتنى لم أدفع لذلك يا أماه . . ولكنى لازلت أنتظر الغمزة فى داخل رأسى . .تلك الغمزة التى تجعل كل شىء هادئاً خارجه !

الأم : آه يا بريك . . انك تمزق قلبى .

مارجريت : (فى نفس الوقت) بريك . . اذهب وأجلس مع الوالدة . . ..

الأم : انى لا أستطيع أن أحتمل ذلك بتاتا — إن . . (تنهنه) .

مى : الآن وقد اجتمعنا كلنا . .

جوبر : نستطيع أن نتكلم . .

الأم : ذلك يمزق قلبى . .

مارجريت : اجلس مع الوالدة يا بريك امسك يدها .

(تشهق الوالدة بشدة ثلاث مرات وكأنها دقات طبول فى فترة سكون) .

بريك : قومى أنت بذلك يا ماجي . . انى قعيد مضطرب.. ولابد أن أبقى على عكازتى . .

(بريك يعرج إلى باب الشرفة . . يتكىء هناك وكأنه ينتظر . . تجلس مى إلى جوار الأم بينما يتحرك جوبر إلى الأمام ويجلس على طرف الأريكة فى مواجهة مى . . يتحرك القس توكر فى الفراغ بينهما فى عصبية . . فى الجانب الآخر يقف الدكتور بوولاينظر إلى شىء محدد ويشعل سيجاراً . . (مارجريت تتجه بعيداً) .

الأم : لم تلتفون حولى بهذه الطريقة ؟ لم تحدقون فى هكذا وتتبادلون الإشارات ؟

(يخطو القس توكر إلى الخلف منزعجاً) .

مى : هدئى من روعك يا أماه .

الأم : أهدئى . . أهدئى . . كيف أهدأ وكل واحد منكم يحملق فى وكأن قطرات كبيرة من الدم قد طفرت على وجهى ؟ ماسبب هذا كله ؟ ما معناه ؟

(جوبر يسعل ويأخذ مكانه فى الوسط) .

جوبر : والآن يا دكتور بو . .

مى : دكتوربو . .

بريك : (فجأة) اش . . اش (صمتا) .
(ثم يبتسم ويضحك ويهز رأسه فى) أسى .
لا . . هذه لم تكن الغمزة .

جوبر : بريك . . أما أن تسكت أو تأخذ كأسك وتبقى فى الشرفة . . فلدينا أمر خطير لابد من مناقشته الآن . . فالوالدة تريد أن تعرف الحقيقة كاملة بالنسبة للتقرير الذى جئنا به اليوم من مستشفى أوكزنر . .

مى : (فى لهفة (بخصوص صحة الوالد !

جوبر : نعم . . بخصوص صحة الوالد . . علينا أن نواجه الحقيقة .

الدكتور : احم . .

الأم : (تقف وقد تملكها الخوف) هل هناك . . شىء . . شىء . . لا أعرفه ؟
(فى هذه الكلمات القليلة الوجلة تستعرض الوالدة تاريخ الخمس والأربعين عاما التى عاشتها مع الوالد بما فيها من ولاء صادق يكاد يصل إلى حد السذاجة . . ولابد أن الوالد كان يتمتع بما يتمتع به بريك مما جعله محبوبا بمهارته فى التحفظ فى إظهار حبه إلى الحد الذى يتفق مع تجرده . . كما أنه

تمتع أيضاً بجمال الرجولة . تبدو الأم وقورة فى هذه اللحظة . وتكاد سمنتها لاتلاحظ) .

الدكتوربو : (بعد برهة وبقلق) نعم ؟ — احم —

الأم : أنا !!! — أريد — أن أعرف ....

(وفى الحال تضغط بقبضتها على فمها وكأنهاتنكر ما قالت . . ولسبب غريب تنتزع السوتيان المفرغ من صدرها وتقذف به على الأرض وتدوس عليه بقدميها القصيرتين المكتنزتين) .

لابد أن أحداً يكذب . . أريد أن أعرف . .

مى : اجلسى يا أماه . . اجلسى على الأربكة . .

مارجريت : (بسرعة) بريك . . اجلس مع أمك .

الأم : ما الأمر ؟ ما الأمر ؟

الدكتور بو : لم أرفى حياتى فحصاً دقيقاً كالذى أجرى للوالد بمستشفى أوكزنر . .

جوبر : إنها من أحسن المستشفيات فى البلاد .

مى : انها أحسن مستشفى فى البلاد . . دون استثناء . . (لسبب ما تلكز بريك لكزة قوية وهى تمر أمامه.. يضرب يدها دون أن يرفع عينيه عن وجه الوالدة) .

الدكتوربو : بالطبع كانوا متأكدين ٩٩٪ وتسعة دائرة حتى قبل أن يبدأوا . .

الأم : متأكدون من ماذا ؟ متأكدون . . من ماذا ؟ ماذا ؟

(تلتقط أنفاسها بشهقة فزعة . . مى تقبلها بسرعة..
تدفع مى بعنف بعيداً عنها – وتحملق فى الطبيب).

مى : أماه . . كونى شجاعة .

بريك : (فى المدخل – برقة) نورك ، نورك يا قمر ، يا قمر . .

جوبر : يا بريك ! – اسكت .

بريك : آسف . .
(يتجول فى الشرفة) .

الدكتوربو : ولكنهم الآن انتزعوا قطعة من الورم كعينة من الأنسجة . . و . .

الأم : ورم ؟ أنت أخبرت الوالد –

الدكتوربو : مهلا . .

الأم : (فى عنف) لقد قلت لى كما قلت للوالد أن لاشىء به سوى . .

مى : أماه . . أنهم دائماً –

جوبر : اتركى الدكتور بو يتكلم . . من فضلك ؟

الأم : تقلص بسيط فى . .
(تضيع بقية الكلمات فى الانتحاب) .

الدكتوربو : نعم – هذا ما قلناه للوالد . . ولكن أدخلنا هذه القطعة من الأنسجة فى المعمل ويؤسفنى أن أقول

أن نتيجة الفحص جاءت ايجابية . . إنه — احم —
ورم خبيث .
(صمت) .

الأم : سرطان ؟ ! سرطان ؟ !

(دكتور بو يومىء فى حزن . . وتطلق الأم صرخة منتحبة) .

مى وجوبر : الآن . . الآن وجب يا أماه أن تعرفى . .

الأم : لم لم يستأصلوا الورم منه ؟ لماذا ؟

الدكتور : لقد استشرى المرض وأصاب عدة أعضاء فى جسمه .

مى : أماه . . لقد تأثر الكبد وتأثرت كلا الكليتين . . لقد جاوز الأمر ما يسمونه . .

جوبر : المجازفة بإجراء جراحة . .

مى : أوه — هوه .
(تتنفس الأم وكأنها شهقة الموت) .

القس توكر : تش . . تش . . كفاكم .

الدكتور بو : أجل . . لم يعد مشرط الجراح يجدى . .

مى : ولهذا أصبح شاحبا يا أماه . .

الأم : ابتعدى عنى . . ابتعدى عنى يا مى . .
(تنهض فجأة) .

أريد بريك . . أين بريك ؟ ابني الوحيد ؟

مى : أماه . . هل قلت ابني الوحيد ؟

جوبر : ماذا أكون أنا إذن ؟

مى : رجل رزين مسئول وأب لخمسة أطفال أعزاء ! ستة . .

الأم : أريد بريك ليخبرني . . بريك . . بريك . .

مارجريت : (تفيق من تأملاتها فى الركن) لقد تضايق بريك فعاد إلى الشرفة . .

الأم : بريك !

مارجريت : أماه . . دعيني أخبرك .

الأم : لا . . لا . . اتركيني . . فلست من دمى .

جوبر : أماه . . أنا ابنك — استمعى لى . .

مى : أماه . . ان جوبر ابنك . . وهو ابنك البكر .

الأم : جوبر لم يحب والده أبداً . .

جوبر : (وكأنه صدم صدمة عنيفة) هذا غير صحيح . (سكون — القس يسعل وينهض) .

القس توكر : (لمى) أظن أنه من الأفضل أن أنسحب الآن..

مى : (برقة وحزن) نعم يادكتور توكر .. يحسن أن تذهب .

القس توكر : (بلباقة) تصبحون على خير جميعا . . وليبارك

الرب كل من بهذا البيت ..

(ينسحب فى هدوء) .

الدكتوربو : ان هذا الرجل طيب .. ولكن تنقصه اللباقة .. يتحدث عن أناس وهبوا نوافذ تذكاريةللسكنية وكلما أشار لواحدة منها سرد أمثلة عديدة .. ثم يقول أنه لشيء خطير أن يموت المرء قبل أن يعد وصيته مما يؤدى إلى مشاكل قضائية وما شاكل ذلك . .

(مى تسعل وتشير إلى الوالدة) .

الدكتوربو : وإذن يا أماه .

(يتنهد) .

الأم : الأمر كله خطأ . . ماهذا إلا حلم مفزع .

الدكتوربو : سوف نعمل على راحة الوالد بقدر الإمكان...

الأم : نعم . . الأمر مجرد حلم مزعج . . هذا كل مافى الأمر . . ماهو الا حلم مريع ..

جوبر : فى اعتقادى أن الوالد يشعر بألم ولكنه لايفصح عن ذلك . .

الأم : مجرد حلم . . حلم مزعج . .

الدكتوربو : هذا حال أكثر المرضى إذ يظنون أنهم بكتمانآلامهم يهربون من حقيقته . .

جوبر : (مغتبطاً) أنهم يخدعون أنفسهم . . فعلا يمكرون..

مى : جوبر ! وأنا نرى . .

جوبر : اسكتى يا مى . . يجب أن يبدأ الوالد استعمال المورفين . .

الأم : لن يعطى أحدكم مورفين للوالد . .

الدكتوربو : عندما يشتد الألم يا أماه . . سوف يشتد بعنف وسوف يحتاج الوالد للحقن لتحمله . .

الأم : أقول لكم . . لن يعطيه أحدكم مورفين . .

مى : أماه . . انك لاتودين رؤية الوالد وهو يقاسى .. تعرفين أنك . .

(جوبر الواقف إلى جانبها يلكمها بعنف) .

دكتوربو : (يضع لفافة على المنضدة) سأترك هذه الحقن هنا حتى إذا حدثت أزمة مفاجئة لايضطر أحدكم للبحث عنها . .

مى : انى أجيد إعطاء الحقن .

جوبر : مى درست التمريض اثناء الحرب . .

مارجريت : لدى إحساس بأن الوالد لن يحب مى أن تعطيه حقنة .

مى : وتظنين أنه يريدك أنت أن تعطيها له ؟

(يقوم الدكتوربو) .

جوبر : الدكتور بو منصرف .

دكتوربو : نعم . . لابد أن أنصرف . . تشجعى ياسيدتى الوالدة.

جوبر : (مداعبا) بل عليها أن تتشجع وتشجع الوالدأيضاً..
ألیس كذلك يا أماه ؟

مى : تعالى واجلسى إلى جوارى يا أماه . .

جوبر : (عند الباب مع الدكتوربو) نحن مقدرون تماماكل
ما قمت به يا دكتور . .
أقول لك أننا ممتنون لك جميعاً لما ــ
(يخرج الدكتور بودون أن يعيره التفاتا) .

جوبر : أظن أن الدكتور كان مشغول الذهن . . ولكن
لم يكن يضيره شىء لوكان أكثر رحمة . .
(تنتحب الأم) .
كونى شجاعة يا أماه .

الأم : ان هذا ليس صحيحاً . . أنه ليس صحيحاً بالمرة .

جوبر : أماه هذه الفحوص لاتقبل الشك .

الأم : لماذا أنت تواق جداً لترى نهاية أبيك ؟

مى : أماه !

مارجريت : (بهدوء) أعرف ماتعنيه الوالدة . .

مى : (بشراسة) آه . . أتعرفين ؟

مارجريت : (بهدوء وحزن شديد) أجل . . أظن أنى أعرف.

مى : رغم حداثتك فى الانضمام لهذه الأسرة يبدو وكأنك تعرفين الكثير وتقدرين .

مارجريت : حسن التقدير أمر لازم فى هذا البيت ...

مى : أظن أنك قد احتجت — ولابد لكثير من مثل هذا الفهم والتقدير فى بيت أهلك حيث كنت تواجهين مشكلة إدمان أبيكِ للخمر . ولديك الآن بريك بنفس المشكلة . .

مارجريت : بريك لايعانى من مشكلة الإدمان إطلاقاً .. بريك متيم بالوالد . . والخطر الذى يهدد أباه الآن يشغل باله كثيراً . .

الأم : ان بريك قرة عين أبيه . . ولكنه يحتسى كثيراً من الخمر وذلك يقلقنى كما يقلق الوالد . . وعليك يا مارجريت أن تتعاونى مع الوالد ومعى لتقويم بريك . . ان قلب الوالد سيتحطم إذا لم يتماسك بريك ويمسك بزمام الأمور . .

مى : أية أمورٍ يمسك بزمامها يا أماه ؟

الأم : هذا المكان . .

(نظرة سريعة حادة يتبادلها مى وجوبر) .

جوبر : أماه . . لقد تعرضت لصدمة .

مى : أجل . . اننا جميعاً تعرضنا لصدمة . . ولكن . .

جوبر : لنكن واقعيين . .

مى : لن يكون الوالد من السذاجة بحيث . .

جوبر : بحيث يضع هذا المكان فى أيد مستهترة . .

الأم : لن يترك الوالد هذا المكان فى يد أحد .. لن يموت الوالد . . أود أن تدركوا ذلك كلكم !

مى : أماه . . أماه . . اننا متفائلون وعندنا من الأمل قدر ماعندك . . وكلنا أمل أن تستجيب السماء لدعائنا ولكن هناك من الأمور ما تجب مناقشته والبت فيه وإلا ...

جوبر : لابد أن ندرس ما ستئول إليه الأمور وقد حان الوقت المناسب . . أرجوك يامى أن تحضرى لى حافظة أوراقى من حجرتنا .

مى : سمعا يا عزيزى .

(تقف وتخرج من باب البهو) .

جوبر : (يقف أمام الأم) أماه .. ان ماقلته الآن لم يكن صحيحا المرة وانت تعرفين ذلك .. فقد كنت دائماً محبا للوالد بطريقتى دون ضجة .. لم أحاول أبداً أن أعلن عن ذلك . . وأعرف أيضاً أن الوالد كان دائماً مولعا بى بنفس الطريقة ولم يحاول هو أيضاً أن يعلن عن ذلك .

(تعود مى بحافظة أوراق جوبر) .

مى : هذه حافظة أوراقك يا حبيبى . .

جوبر : (يعيد اليها الحافظة) شكراً لك . . بالطبع تختلف علاقتى بالوالد عن علاقة بريك به .

مى : انك تكبر بريك بعشر سنوات وكان لزاما عليك أن تحمل قدراً من المسئولية يفوق ما كان يحمله بريك . . الذى لم يحمل فى حياته شيئاً سوى الكرة والكأس .

جوبر : مى . . من فضلك دعينى أتكلم .

مى : أجل يا حبيبى . .

جوبر : ان مزرعة مساحتها ثمان وعشرين ألف فدان لشىء ضخم تصعب ادارته . .

مى : وتكاد تكون وحدك بلا معين . .

(خرجت مارجريت إلى الشرفة ويسمع صوتها وهى تنادى بريك بصوت خفيض) .

الأم : لم تكلف يوما بادارة هذا المكان . . ماهذا الهراء الذى تقوله ؟ وكأن الوالد قد مات ودفن . .كلفت أن تديره ؟ انك لم تفعل أكثر من أن ساعدته فى بعض المسائل الثانوية وكنت تزاول مهنتك المحاماة فى نفس الوقت بممفيس .

مى : آه . . يا أماه . . فلنكن عادلين يا أماه . . ان جوبر وهب نفسه جسداً وروحا للمحافظة على هذا المكان طوال الخمس سنوات الماضية منذ بدأت صحة الوالد تتدهور . . ان جوبر لم يعلن عن ذلك ولم يعتبر ذلك عبئاً عليه وإنما قام بهذا العمل راضياً . . وما الذى فعله بريك ؟ لقد ظل يعيش فى مجده القديم بالجامعة . . لاعب كرة فى السابعة والعشرين.

مارجريت : (تعود بمفردها) عمن تتحدثين الآن ؟ عن بريك ؟ لاعب كرة ؟ انه ليس بلاعب كرة وأنت تعرفين ذلك .. بريك معلق رياضى بالتليفزيون ومن أشهرهم فى هذا البلد . .

مى : انى أتحدث عن ماضيه .

مارجريت : أود لو تكفى عن الحديث عن زوجى .

جوبر : من حقى التحدث عن أخى مع بقية أفراد أسرتنا التى ولست واحدة منها . . لم لاتخرجين وتشاركين بريك الشراب ؟

مارجريت : لم أر فى حياتى مثل هذا الحقد من أخ تجاه أخيه .

جوبر : وما رأيك فى حقده على . . انه لايطيق أن يكون معى فى حجرة واحدة .

مارجريت : هذه حملة مدبرة للتشهير بدافع من أحط الأسباب

وأحقرها . . أنا أعرف هذا السبب . . أنه الطمع . .
الطمع . . الجشع . . الجشع . .

الأم : آه . . سوف أصرخ . . سأصرخ فوراً مالم تكفوا
عن هذا .

(جوبر أسرع إلى مارجريت وقد أحكم قبضته
بجانبه وكأنه سيضربها . . مى تقف خلف مارجريت
وتلوى وجهها وقد بدت عليه علامات الامتعاض
والبغض) .

مارجريت : لاشيء يبقينا فى هذا المكان إلا من أجل الوالدة
والوالد وإذا ماصح مايقال عن الوالد فسوف
نغادر المكان بمجرد حدوث ذلك . دون أدنى
ابطاء .

الأم : تنتحب) : مارجريت يا طفلتى . . تعالى هنا . .
اجلسى إلى جوارى . .

مارجريت : أمى الحبيبة . . آسفة . . انى آسفة . . انى . .
(تحنى رقبتها الطويلة الرشيقة لتضغط بجبهتها على
كتف الأم البارز تحت الشيفون الأسود) .

جوبر : يا له من عرض رائع مؤثر للحب والولاء !

مى : أتعرف لم لم تنجب أطفالا ؟ لم تنجب لأن زوجها
ذاك الرياضى الوسيم لن يقربها .

جوبر : انك لاتسمحين لى يا أماه أن أعبر لك عن حبى بطريقة لائقة . . حسن . ان لنا خمسة أطفال ، والسادس فى الطريق ولست أعبأ ان كان الوالد يحبنى أولايحبنى سواء فى الحاضر أو الماضى أو المستقبل . . ولكنى أحتكم فقط لمعنى الذوق والعدالة. سوف أقول لك الحقيقة . .كان يحز فى نفسى تحيز الوالد لبريك منذ ولادته والطريقة التى عاملنى بها وكأنى لم أصلح إلا ليبصق على بل وأحيانا لم أكن أصلح حتى لذلك . . ويوشك الوالد أن يموت بالسرطان بعد أن انتشر المرض فى كل جسمه، وهاجم أعضاءه الحيوية كلها بما فى ذلك الكليتين.. والآن يتعرض للتسمم البولى . . وكلكم تعرفون التسمم البولى . . انه تسمم الجهاز كله بسبب عجز الجسم عن طرد السموم .

مارجريت : (تحدث نفسها على حافة المسرح وتهمس) سموم. سموم . . أفكار وكلمات مسمومة . . فى العقول والقلوب . . تلك هى السموم .

جوبر : (متداخلا فى حديثها) انى أطالب بالعدالة وأنتظر أن أنالها . . وان لم يتحقق ذلك ولوكانت هناك مؤامرات تحاك أمامى أو خلف ظهرى فسأعرف

كيف أفيد من عملى كمحام . . أنا أعرف كيف
أحمى مصالحى . آه . . لقد جاء أخيراً . .
(بريك يدخل من الشرفة بابتسامة هادئة باهتة
ويحمل كأساً فارغاً فى يده) .

مى : هاهو البطل الفاتح قد قدم . .

جوبر : بريك بوليت المغوار أتذكرونه ؟ من يستطيع أن
ينساه ؟

مى : يبدو وكأنه أصيب أثناء اللعب !

جوبر : أخشى أنك لن تستطيع اللعب هذا العام يا بريك..
فى المباراة على كأس السكر .
(مى تضحك ضحكة عالية) .
أو هل كانت هى المباراة على كأس الوردة تلك
التى صال فيها وجال .

مى : بل وكأس الخمر يا حبيبى . لم يعد يهمه سوى كأس
الخمر يا حبيبى .

جوبر : هذا صحيح . . لقد أصبحت أخلط بين مختلف
الكؤوس .

مارجريت : لم لاتكفون عن اظهار حقدكم وحسدكم نحو شاب
مريض ؟

الأم : الآن اسكتا . . كلاكما . . انى أعنى ما أقول . .

اسكتوا جميعا . . اسكتوا . .

جوبر : حسنا يا أماه . . الأزمة العائلية تظهر أحسن وأردأ ما فى كل فرد من العائلة .

مى : هذه هى الحقيقة .

مارجريت : فعلا . .

الأم : قلت كفى . . لن أسمح بعد ذلك بأى مناوشات فى بيتى .

(مى تلفت نظر جوبر لحافظة أوراقه .

(ابتسامة بريك تزداد اشراقاً وغموضا . . وبينما يعد لنفسه كأساً يغنى برقة) .

بريك : دلونى على الطريق إلى البيت . .
انى متعب وأود أن آوى لفراشى .
تناولت قليلا من الشراب من ساعة .

جوبر : (فى نفس الوقت) أماه لابد لى أن أعود إلى ممفيس فى الصباح لأمثل دائرة باركر فى قضية . .

(تجلس مى على السرير وترتب الأوراق التى أخرجتها من الحافظة) .

بريك : (مستمراً فى أغنيته) .
حيثما تجولت
براً ، بحراً ، أو فوق الزبد .

الأم : أيتحتم أن تعود إلى ممفيس ياجوبر ؟

مى : أجل .

جوبر : وهذا ما يضطرنى إلى مناقشة مسألة . .

مى : مسألة بالغة الأهمية ولاتحتمل التأجيل .

جوبر : لو كان بريك فى وعيه لوجب أن يشارك فى هذه المناقشة .

مارجريت : بريك موجود . . ونحن معكم .

جوبر : أجل . . سأعطيك الآن مسودة موجز لمشروع وصاية أعددته بالاشتراك مع توم بوليت .

مارجريت : آه . . هذا بيت القصيد . . ستكون أنت الوصى تتعطف بالعطايا . أليس كذلك ؟

جوبر : لقد أعددنا هذا المشروع حالما وصلنا التقرير عن الوالد من مستشفى أوكزنر . . لقد أعددنا هذا المشروع بمشورة س. س. بيلوز رئيس مجلس إدارة بنك الائتمان ومزارعى الجنوب فى ممفيس.. وهو رجل يشرف على دوائر كل العائلات الكبيرة فى غرب تنيسى والدلتا . .

الأم : جوبر ؟

جوبر : (منحنيا أمام أمه) هذا المشروع ليس فى صورته النهائية أوما يقرب من ذلك . . ماهو إلا مشروع

تمهيدى . . ولكنه يصلح أساساً لخطة ممكنةوعملية . .

مارجريت : نعم . . بكل تأكيد . .

مى : أنها خطة لحماية أكبر مزرعة فى الدلتا من الاستهتار و . .

الوالدة : والآن انصتوا جميعاً إلى انصتوا . لن أسمح بمناوشات فى بيتى بعد الآن . . وأنت ياجوبر اطو مشروعك هذا وانصرف قبل أن أنتزعه منك وأمزقه ! . لا أعرف ما به . . ولا أريد أن أعرف. وانى أتكلم الآن بلسان الوالد . . فانى زوجته ولست أرملته . . لازلت زوجته . . وأتكلم بلسانه و . .

جوبر : أماه ان ما معى هنا مجرد . .

مى : لقد أوضح لك جوبر أنه مجرد مشروع . .

الأم : لايهمنى ما به . . أعده إلى حيث أتيت به ولاتظهره أمامى مرة أخرى ولاحتى مجرد الغلاف الخارجى . . أفهمت ؟ أساس مشروع تمهيد ! ! خطة ! ما شاء الله — ماذا يقول الوالد عندما يشمئز من شيء ما ؟

بريك : (من البار) يقول الوالد : « قذارة » عندما يشمئز من شيء .

الوالدة : (تقوم) هذا صحيح . . « قذارة » . . وأنا أقول لك أيضاً قذارة كما يقول أبوك . .

مى : البذاءة لامبرر لها فى هذا . .

جوبر : ان حديثك بهذه الطريقة يستفزنى بشدة .

الأم : لن يأخذ أحد أى شىء . . إلى أن يمضى الوالد . وربما لن يأخذ أحد شيئاً حتى لوحدث ذلك . . حتى لو مضى . .

بريك : تستطيعون سماعى دائماً أردد هذه الأغنية . دلونى على الطريق للدار ، دلونى .

الوالدة : بريك يبدو الليلة كما كان صبياً . . تماما كان وهو يلعب لعبه العنيف وكان من عادته أن يعود إلى البيت غارقاً فى عرقه متورد الوجنتين يغالبه النعاس . . بخصل شعره الأحمر تلمع . .
(تذهب اليه وتغرس يدها السميكة فى شعره . . ينتحى جانبا كعادته دائماً كلما لمسه أحد ويواصل غناءه فى همس ويفتح أناء الثلج ويسقط مكعبات الثلج واحدة تلوالأخرى وكأنه يصنع مركبا كيميائيا هاما) .

الأم : (تستمر) الوقت يمر بسرعة . . لا شىء يسبق

الزمن . . ويحل الموت مبكراً قبل أن ندرك حقائق الحياة ادراكاً كاملا . .

آه . . تعرفون أنه يتحتم أن نحب بعضنا بعضاً ونبقى متكاتفين ما أمكن وخصوصاً بعد أن جاءت السحابة القاتمة وحلت بهذا البيت دون دعوة . .

(تحتضن بريك فى اضطراب وتضغط برأسها على كتفه . جوبر يعطى بعض الأوراق لمى فتردها بدورها لحافظة الأوراق ويبدو وكأن صبرها يجتاز امتحانا قاسيا) .

جوبر : أماه ؟ أماه ؟

(يقف خلفها وقد ملأه حقد مكتوم .)

الأم : (متناسية جوبر) بريك . . أتسمعنى ؟

مارجريت : أنه يسمعك يا أماه ويعى كل ماتقولين .

الأم : آه . . يا بريك . . يا ابن أبيك . . كم يحبك أبوك ! أتعرف أجمل حلم يتمناه أن تحقق ؟ أنه يتمنى قبل أن يموت إذا كان سيموت أن تنجب حفيداً يشبه أباه كما تشبه أنت أباك ! .

مى : (تغلق سوستة الحافظة ـ صوت نشاز) من المؤسف أن ماجى وبريك لايستطيعان تحقيق حلم الوالد !

مارجريت : (فجأة وفى هدوء .. لكن فى قوة) انصتوا جميعاً .

(تعبر إلى وسط الغرفة . . تتشابك يداها فى قوة) .

مى : إلام ننصت يا ماجى ؟

مارجريت : سوف أذيع خبراً .

جوبر : خبراً رياضياً يا ماجى ؟

مارجريت : بريك وأنا سننجب طفلا !

(تلتقط الوالدة أنفاسها فى شهقة عالية — سكون .. تقف الوالدة) .

الأم : ماجى . . بريك . . الخبر أروع من أن يصدق .

مى : هذا صحيح . . رائع بحيث يصعب تصديقه .

الأم : مرحى . . مرحى ! . لقد تحقق حلم الوالد . . سأذهب الآن لأخبره فوراً قبل أن . .

مارجريت : سنخبره فى الصباح . . لاتقلق راحته الآن .

الأم : أود أن أخبره قبل أن ينام . . سأخبره أن حلمه قد تحقق الآن . . وأنت يا بريك أن الطفل سيجعلك تتماسك وتهجر الخمر !

(تمسك بالكأس من يده) .

أن مسئوليات الأب سوف . .

(تتقلص عضلات وجهها وتبدو عليها علامات

الاضطراب .. تنتحب وتندفع إلى الخارج وهى تصيح) .

سأذهب لأخبر الوالد فوراً ..

(يخفت صوتها وهى تبتعد فى البهو .

(بريك يهز كتفيه قليلا ويسقط قطعة من الثلج فى كأس آخر .. تعبر مارجريت بسرعة إلى جواره وتقول له شيئاً فى صوت مكتوم وتصب له الخمر وتحملق فى وجهه بشىء من العنف) .

بريك : (فى برود) شكراً يا ماجى .. أنها كمية طيبة من الخمر .

(مى انضمت لجوبر وتلكزه بشدة وفى صوتها صفير وعلى وجهها علامات الغضب) .

جوبر : (يدفعها جانبا) أتسمح لى يا بريك بكأس صغير من هذا الخمر ؟

بريك : صب لنفسك كأسا يا عزيزى .

جوبر : سأفعل ..

مى : (فى جفاف) طبعا نعرف جميعا أن هذا الخبر ..

جوبر : اسكتى يا مى .

مى : لن أسكت .. انى أعرف أنها اختلقت تلك القصة ..

جوبر : يا للعنة .. قلت اسكتى !

مارجريت : يا الهى لم أكن أعرف أن هذا الخبر البسيط يثير مثل هذه العاصفة .

مى : هذه المرأة ليست حاملا ..

جوبر : ومن قال أنها حامل ؟

مى : انها تقول ذلك ..

جوبر : ولكن الطبيب لم يقل ذلك .. لم يقل ذلك دكتور بو

مارجريت : لم أذهب لدكتور بو

جوبر : اذن لمن تذهبين يا ماجى ؟

مارجريت : لواحد من أحسن اخصائى أمراض النساء فى الجنوب .

جوبر : أوهو .. أوهو .. فهمت ..

(يخرج قلما ومفكرة)

هل لنا أن نعرف اسم هذا الطبيب ؟

مارجريت : لا .. لن تعرفه يا سعادة المدعى العام !

مى : ليس له اسم .. وليس له وجود !

مارجريت : انه موجود فعلا .. وكذلك طفلى .. ابن بريك !

مى : كيف تحملين من رجل لا يقربك الا اذا كنت تظنين أنك ..

(بريك أدار الفونوغراف . يقطع حديث مى أغنية مرحة)

جوبر : اسكت هذا الجهاز !

مى : اننا نعرف أنها أكذوبة لأننا نسمع ما يجرى هنا .. انه لا يقربك .. اننا نسمعكم .. فلا تتخيلى أن خداعك ينطلى علينا أو أن تضللى رجلا يحتضر بـ ..
(تملأ البيت صرخة طويلة فيها ثورة وألم .. تخفض مارجريت الفونوغراف فلا تسمع الأغنية الا همسا .. تتكرر الصرخة)

مى : (منزعجة) أسمعت ذلك يا جوبر ؟ أسمعت ؟

جوبر : يبدو أن الألم قد داهمه .

مى : اذهب لترى ما الأمر يا جوبر !

جوبر : هيا بنا واتركى طائرى الحب معا فى عشهما !
(يخرج أولا وتتبعه مى وتدور عند الباب وتلوى وجهها وتصفر لمارجريت)

مى : كاذبة !
(تغلق الباب بعنف .. مارجريت تتنفس الصعداء وتتحرك بقليل من عدم الاتزان لتمسك بذراع بريك) .

مارجريت : شكرا لك لأنك لم تتكلم ...

بريك : حسنا يا ماجى ..

مارجريت : كنت شهما فلم تورطنى .

بريك : لم تحدث بعد .

مارجريت : ما هذا الذى لم يحدث ؟

بريك : الغمزة ...

مارجريت : الغمزة فى رأسك التى تشعر بها فتستريح يا حبيبى ؟

بريك : أجل .. لم تحدث بعد .. على أن أواصل الشراب حتى تأتى فأستطيع النوم .

مارجريت : انى .. أعرف ما تعنى .

بريك : ناولينى الوسادة على المقعد الكبير يا ماجى .

مارجريت : سأضعها لك فى الفراش .

بريك : لا .. ضعيها على الأريكة حيث أنام .

مارجريت : لن تنام الليلة على الأريكة يا بريك .

بريك : اريدها على الأريكة حيث أنام .

(يحجل الى خزانة الخمر .. حيث يصب ثلاث جرعات فى تتابع سريع ويقف منتظرا فى صمت . فجأة يستدير مبتسما ويقول)

ها هى !

مارجريت : ماذا ؟

بريك : الغمزة ...

(سعادته تبدو بلا حدود وهو يحجل بكأسه خارج الشرفة . يسمع عكازته وهو يهرول بعيدا عن

الأنظار .. ثم يبدأ من بعيد يترنم بأغنية هادئة .
مارجريت تمسك بالوسادة فى اكتئاب وكأنها
رفيقها الوحيد .. تمسك بها لحظات قليلة ثم ترمى
بها فى الفراش .. تندفع الى خزانة الخمر وتجمع
كل الزجاجات بين ذراعيها وتلتفت فى تردد ثم
تخرج بها من الغرفة وتترك الباب مواربا على البهو
الأصفر المعتم .. يسمع بريك يحجل عائدا فى
الشرفة وهو يغنى أغنيته الهادئة .. يعود الى داخل
الغرفة ويرى الوسادة فى الفراش فيضحك برقة
وحزن ويتناولها من الفراش .. يضعها تحت إبطه
بينما تعود مارجريت الى الغرفة .. تقفل مارجريت
الباب فى هدوء وتستند عليه وتبتسم لبريك فى
رقة)

مارجريت : اعتدت أن اعتقد يا بريك أنك أقوى منى ولم أشأ
أن تسيطر على .. أما الآن وقد أدمنت الخمر ..
أتعرف رأيي ؟ .. انه لن يعجبك .. انى الآن أقوى
منك وفى وسعي أن أحبك واكون فى حبي أكثر
اخلاصا .. لا تحرك هذه الوسادة .. سأعيدها فورا
لو فعلت !
بريك ؟

(تطفىء كل المصابيح ما عدا مصباح مغطى

بحرير وردى بجوار الفراش(لقد زرت طبيبا بالفعل وأعرف ما يجب عمله .. بريك ؟ ان هذا انسب وقت للحمل بالنسبة لى !

بريك : أجل .. فهمت يا ماجى .. ولكن كيف تحملين من رجل يهيم بشرابه ؟

مارجريت : بأن أمنع عنه الخمر وأجبره على ارضاء رغبتى قبل أن أسمح له به ..

بريك : أهذا ما فعلت يا ماجى ؟

مارجريت : انظر .. ها هى الخزانة خاوية تماما بعد أن كانت مليئة ..

بريك : سوف أكون ابن ..

(يحاول الوصول الى عكازته ولكنها تسبقه إليها وتندفع لى خارج الشرفة وترمى بالعكازة من فوق السور وتعود وهى تلهث . يسمع وقع أقدام شخص يجرى .. تندفع الأم إلى الحجرة .. تلهث وتتعلثم وعلى وجهها تجهم)

الأم : آه .. يا الهى .. آه .. يا الهى .. يا الهى .. أين هى ؟

مارجريت : أهذا ما تبحثين عنه يا أماه ؟

(تناولها اللفافة التى تركها الطبيب)

الأم : انى لا أحتمل .. آه .. يا الهى .. آه .. بريك ياحبيبى !

(تندفع اليه .. يشيح بوجهه من قبلاتها وهى تنتحب .. مارجريت ترقب بابتسامة مشدودة)
ابنى .. يا بن أبيك ! . أيها الأب الصغير !
(صرخة الألم تسمع مرة ثانية .. تجرى خارجة وهى تنتحب)

مارجريت : هكذا الليلة سوف نحيل الأكذوبة إلى حقيقة .. وبعد ذلك سوف أحضر لك الخمر هنا ثانية وسنشرب معاً حتى تسكر هنا هذه الليلة فى البيت حل فيه الموت ..
ما قولك ؟

بريك : ليس لدى ما أقوله .. وأظن أنه ليس هناك ما يقال .

مارجريت : آه .. أيها الضعاف .. ما أجملكم ! — أنتم الذين تستسلمون إنكم تحتاجون إلى من ..
(تطفىء المصباح ذو الأباجورة الوردية)
يتولاكم .. فى رفق .. فى رفق وحنان و ..
(يبدأ الستار فى النزول ببطء)
أحبك يا بريك .. أنا أحبك !

بريك : (يبتسم فى حزن أخاذ) يا عجبا او تحقق هذا ؟

(ينزل الستار)

خاتمة

تنويـة ـ ايضاح

فى يوم ما عندما تسنح الظروف أرجو أن أكتب عن تأثير المخرج القوى ذى الخيال الواسع ـ وخطر هذا التأثير وقيمته ـ على تطور المسرحية قبل الإخراج وأثناءه . ولهذا التأثير أخطاره اذا كان الكاتب المسرحى شديد المرونة أو مستسلما أو كان المخرج من النوع الذى يصر على أفكاره وتفسيراته الخاصة . ولقد استمتعت أنا واليا كازان بمزايا هذه العلاقة المثيرة وتجنبنا أخطارها وذلك بسبب الإحترام العميق المتبادل بيننا للوظيفة الخلاقة لكل منا . ولقد عملنا سويا ثلاث مرات دون ما احتكاك بيننا . وكانت الثقة تزداد فى كل مرة عن سابقتها .

واذا لم تكن ترغب فى تأثير المخرج على مسرحيتك فهناك طريقتان لتجنب هذا التأثير وكلاهما ردئ : أولاهما أن تصل الى صورة نهائية محددة لمسرحيتك قبل أن يراها مخرجك ثم تعطيه اياها قائلا : هاك هى ، خذها أو اتركها . والطريقة الأخرى هى أن تختار مخرجاً يقنع بأن يخرج مسرحيتك على المسرح كما تفهمها أنت دون أن يدخل فيها أى فكرة من عنده . قلت أن كليهما ردئ وكنت أعنى ما أقول . فليس هناك كاتب مسرحى على ما أذكر لا يستفيد شيئا قيما عن مسرحيته من مخرج نافذ البصيرة

مثل اليا كازان . حدث مثلا فى حالة مسرحية « عربة اسمها الرغبة » أن أعطيت لكازان نصاً نهائيا لا يقبل التعديل . وفى حالة « قطة على نار » اطلع اليا كازان على النص الأول للمسرحية وأعجب به كثيراً ولكن كانت له بعض التحفظات المركزة على الفصل الثالث . وخلاصة تحفظاته يمكن أن نذكرها فى ثلاث نقط :

١ ـ كان يحس أن الأب شخصية حية هامة لا يمكن أن تختفى من المسرحية وتبقى فقط صيحة من خارج المسرح بعد ستار الفصل الثانى .

٢ ـ كان يشعر أن شخصية بريك يجب أن يطرأ عليها بعض التحول نتيجة للتشريح الذى أجرى عليه فى حديثه مع أبيه فى الفصل الثانى .

٣ ـ كان يعتقد أن شخصية مارجريت يجب أن تنال عطف المشاهدين بوضوح أكثر رغم أنه يعرف أنى أعطف عليها وأحبها.

وكان الإقتراح الثالث موضع اهتمامى من كل قلبى منذ البداية لأن ماجى القطة قد ازدادت سحراً فى نظرى كلما تقدمت فى رسم شخصيتها

لم اكن أحب أن يظهر الأب فى الفصل الثالث وكنت أشعر أن الكساح المعنوى الذى أصاب بريك شىء أساسى فى مأساته .

وان اظهار أى تقدم درامى سيؤدى الى غموض معنى المأساة فى نفسه ولأنى لا أعتقد أن أى حادثة مهما كانت (استكشافية) ستؤدى الى تغيير مباشر فى قلب أو حتى فى سلوك شخص وصل الى ما وصل اليه بريك من انهيار روحى . ومع ذلك عنيت بأن يخرج كازان المسرحية ورغم أن اقتراحاته لم تتخذ شكل انذار فكنت أخشى أن أفقد اهتمامه اذا لم أعدل النص من وجهة نظره هو ، ففعلت ذلك وسترى فى هذا النص الحديث الفصل الثالث الجديد الذى نتج عن تأثيره الخلاق على المسرحية وأن الحالة التى استقبل بها الجمهور النص الذى أخرج ليبرر فى نظرى التعديلات التى تمت بتوجيه المخرج وأن المسرحية الناجحة لتنتشر أكثر من المسرحية الفاشلة .

وربما نالت «قطة رقم ١» نفس النجاح الذى نالته «قطة رقم ٢» وهذا موضوع شيق على أى حال . وبنشر «الفصلين الثالثين» فى هذا الكتاب يستطيع القارئ أن يحدد موقفه من الإثنين .

تنيس وليامز

الفصل الثالث البديل

(كما اخرج على مسارح نيويورك)

يرى الاب وهو يغادر الحجرة فى نهاية الفصل الثانى

الاب (يصيح وهو فى طريقه الى الشرفة (كلهم كذابون ... كذابون ... كذابون ... كذابون

(تدخل مارجريت من الشرفة الى الحجرة بعد خروج الأب عبر باب عند مقدمة المسرح وتتجه الى بريك فى وسط الحجرة)

مارجريت : قل لى — بربك — ماذا كان يجرى فى هذه الحجرة ؟ (يندفع دكس وتركس عبر الحجرة من البهو الواقع جهة اليسار الى الشرفة . جهة اليمين . وهما يلوحان بمسدسى صوت يطلقانهما بلا توقف وهما يصيحان طاخ ... طاخ ... طاخ تظهر مى عند مدخل الشرفة وتطرد الأطفال ... فى نفس اللحظة يدخل جوبر والقس توكر والدكتور بو من البهو الواقع الى يسار الحجرة)

مى : هلا كففت عن ذلك يا دكس ! .. أرجو أن تتفضل ياجوبر بوضع الأطفال فى فراشهم حالا .

(يتجه جوبر والقس توكر الى صدر الشرفة — يتوقف الدكتور بو عند باب البهو بينما يتجه القس توكر الى مى التى تقف فى هذا الجزء من الشرفة الواقع خارج أبواب الحجرة مباشرة)

جوبر : (يحث الأطفال على الخروج) مى .. هل رأيت ماما ؟

مى : لا — ليس بعد

(يختفى ديكس وتركس فى البهو الواقع الى اليسار)

القس توكر : (مخاطبا مى) : ان هؤلاء الأطفال يفيضون حيوية ونشاطاً .. أعتقد أنى سأضطر الى العودة للمدينة ...

(موجريت تستدير وتنصت)

مى لم يحن الوقت بعد أيها القس... أنت تعرف أننا نعتبرك فرداً من أفراد هذه العائلة ... فرداً من أفرادها المقربين المحبوبين ... ولذا يجب أن تكون بجانبنا عندما يفضى الدكتور بو للوالدة بالحقيقة الكاملة عن هذا التقرير الوارد من المستشفى

(تنادى عبر الباب)

هل آوى الوالد الى فراشه يا بريك .. ؟

(كان جوبر قد خرج عندما بدأ هذا الحوار بين مى والقس توكر

مارجريت : (تجيب مى) : نعم لقد آوى الى فراشه
(مخاطبة بريك) لم يصيح الأب ... كذابون ؟

جوبر : (يصيح من مقدمة المسرح) مى .. (تخرج مى بينما يتجه القس توكر الى مؤخرة الشرفة)

بريك : لم أكذب على والدى ... لم أكذب على أحد ... لم أكذب على أحد سوى على نفسى ... نعم على نفسى فقط ... لقد حان الوقت لأن أوضع فى رينبو هل ... ضعينى فى رينبو هل يا ماجى ... يجب أن أذهب الى هناك .

مارجريت : لن أفعل ذلك الا على جثتى .. !
(يخرج بريك جهة اليمين فتمسك به)
أين تظن أنت ذاهب ؟
(مى تدخل من الشرفة وتتجه الى القس توكر الذى يتقدم لمقابلتها)

بريك : (متجها الى صدر الحجرة) : سأخرج لأستنشق بعض الهواء ... أريد أن أتنشق الهواء

جوبر : (يدخل الى الشرفة ويتجه الى مى) والآن أين تلك المرأة العجوز؟

مى : ألا تستطيع العثور عليها يا جوبر ؟
(يخرج القس توكر)

جوبر : (متجها الى الدكتور الواقف أمام باب البهو) :
أنها تتجنب هذا الحديث .

مى : أعتقد أنها تستشعر شيئا ما ....

جوبر : (ينادى من جهة اليسار) : سوكى ! اذهب وابحث عن الوالدة . قل لها أن الدكتور بو والقس توكر سيضطران الى الرحيل بعد قليل .

مى : لا تجعل شيئا مما تقول يتطرق الى سمع الوالد .
(تأتى بالدكتور بو الى الشرفة — جهة اليمين)

القس توكر : (ينادى) سيلتى

سوكى وديزى : (تهرولان يمنه ويسرة فى الحديقة وهما تناديان) مس ايدا ... مس ايدا
(تخرجان من جهة اليمين فى مؤخرة الحجرة)

جوبر : (ينادى من الشرفة) : لامى .. ابحث عن ماما فى الطابق السفلى .

مارجريت : بريك .. سيفصحون لوالدتك عن الحقيقة الكاملة الآن .. وهى فى حاجة ماسه الى وجودك بجانبها
(يظهر القس توكر فى الحديقة ثم يتجه الى صدر الحجرة)

الدكتور بو : (من الشرفة) سيكون هذا شيئا مؤلما

مى : هناك من الأمور المؤلمة مالا يمكن تجنبه

دكتوربو : أعرف ذلك يا سيدتى

القس توكر : (من الحديقة مشيراً ناحية اليمين) أستطيع أن أرى الوالدة

(يهرول ناحية اليسار ويظهر فى البهو بعد قليل)

جوبر : (وهو يهرول الى البهو) انها فى طريقها الى حجرة الوالد .. أماه

(بعيداً)

أماه .... تعالى هنا

مى : (تنادى) أسكت يا جوبر لا تهلل هكذا ... اذهب اليها .

(يظهر جوبر والقس توكر معا فى البهو — تندفع الأم من الشرفة الى داخل الحجرة وهى تحمل كوبا من اللبن ... تتجاوز الدكتور بو الى مى فى الشرفة القبلية ... الدكتور بو يستدير مبتعداً)

الوالدة : ها أنذا ... ماذا تريدون منى جميعا ؟

جوبر : (يتقدم نحو الوالدة) أماه .. لقد قلت لك أننا سنضطر إلى هذا الحديث يوما ما

الأم : عم تتحدث ؟ لقد رأيت النور مضيئا فى حجرة الوالد فحملت له كوب اللبن ... ولكنه أغلق خصاص النافذة فى وجهى

(تدخل الحجرة من الباب القبلى)

عندما يعاشر زوجان مثلى أنا والوالد كل منهما الآخر هذه المدة الطويلة فانه كثيراً ما يحتدا معاً بسبب شدة اخلاص كل منهما الآخر ... أليس كذلك ؟

(تتجه إلى مقعد من الخيزران)

مارجريت : (تذهب إلى الام وتحتضنها) نعم .. هو كذلك بالطبع

(بريك يندفع إلى البهو ولكنه يرى جوبر والقس توكر قادمين فيعرج عبر الحجرة إلى باب عند مقدمة المسرح ومنه إلى الشرفة)

الوالدة : أعتقد أن الأب كان منهكا ... فهو يحب أسرته ويجب أن يلتفوا حوله ... ولكن هذا يجهد أعصابه... لم يكن طبيعيا هذه الليلة ... بريك

(تتجه إلى صدر الحجرة حيث بريك الذى يتجاوزها فى طريقه إلى الخارج) لم يكن الوالد طبيعيا هذه الليلة ... لاحظت أنه كان منفعلا

القس توكر : (يتجه إلى وسط الحجزة) أعتقد أنه رائع

الوالدة : نعم ... هو كذلك ..

(تنظر الى مؤخرة المسرح ... تستدير ثم تتجه إلى خزانة الشراب حيث تضع كوب اللبن)

هل لاحظتم جميعا كمية الطعام التى التهمها
(تتجه قليلا الى اليمين)
انه كان يأكل كالحصان

جوبر : (من وسط مؤخرة الحجرة) أرجو ألا يندم على ذلك

الوالدة : (تستدير الى جوبر فى مؤخرة الحجرة) ماذا ... لقد أكل قطعة ضخمة من خبز الذرة بالعسل وتناول طبقين من المربى !

مارجريت : (تذهب الى الأم) ان الوالد يحب المربى ... لقد كان عشاء ريفيا تاما .

الوالدة : نعم انه يحب هذا النوع من الطعام والمربى حبا شديداً ابنى ...
(تتجه الى باب عند مقدمة المسرح ... تنظر الى بريك .... مارجريت تقف على يسار الام)
لقد التهم الرجل طعاما يكفى لحشو فلاح

جوبر : أرجو ألا يضطر الى دفع الثمن فيما بعد

الوالدة : (تستدير الى مؤخرة المسرح) ما هذا يا جوبر ؟

مى : جوبر يقول انه يأمل ألا يعانى الوالد شيئا هذه الليلة

الوالدة : (تستدير الى مارجريت فى مقدمة المسرح) آده ... اسكت ... جوبر يقول ... ! لم يقاسى الوالد لإشباع شهية عادية ؟ ليس بالرجل علة سوى أعصابه ...

وهو يعرف أنه ليس به ثمة شيء ... ولهذا التهم هذا العشاء الدسم لقد أزاح عن فكره كابوسا ثقيلا عند ما عرف أنه ليس مقدرا له ... ماذا ... أعتقد أنه مقدر له ...

(تتردد ... تطوق مارجريت الام بذراعيها)

جوبر : (وهو يحث مى على التقدم) : مى !

(مى تجرى الى مقعد الخيزران وتقف خلف الام بينما تقف مارجريت أمامها ... يجلسانها على المقعد ... تجلس الام وتجلس مارجريت أمامها بينما تقف مى خلفها)

مارجريت : فليبارك الله روحه الطيبة

الوالدة : نعم ... فليبارك الله قلبه

بريك : (من الشرفة الى الفضاء)

هالو .. أيها القمر انى أحسدك .. أحسدك يا ابن الكلبة البارد

الوالدة : أريد بريك

مارجريت : لقد خرج لتوه ليتنشق قليلا من الهواء العليل

الوالدة : حبيبتى .. أريد بريك

مى : أحضرى بريك هنا حتى نبدأ الحديث

(تنهض مارجريت وتتجه الى بريك فى الشرفة عبر

باب عند مقدمة المسرح)

بريك : (مخاطباً القمر) انى أحسدك .. آحسدك يا ابن الكلبة البارد .

مارجريت : بريك ماذا تفعل هنا فى الشرفة .. يا صغيرى ؟

بريك : أتأمل وأهنىء ذلك الرجل الذى يسكن القمر .

(مى تتجه الى الدكتور بو فى الشرفة .. القس توكر وجوبر يتحركان جهة اليمين أعلى صدر الحجرة ... وينظران الى الوالدة)

مارجريت : ادخل ياصغيرى ... انهم يستعدون للافضاء للوالدة بالحقيقة .

بريك : لا أستطيع أن أشهد ما يجرى هناك .

مى : دكتور بو .. هل تعتقد أن حقن الفيتامين ب ١٢ عظيمة فعلا كما يشاع عنها ؟

(تدخل الحجرة وتقف خلف المقعد الخيزران) .

دكتوربو : (يتجه الى المقعد الخيزران) حسناً ... أعتقد أنها لاتقل عما عداها مادمت تريدين أن تحققى بشىء ما .

(ينظر إلى الساعة ثم يتجه إلى صدر الحجرة جهة اليسار) .

مارجريت : (مخاطبة بريك) الوالدة فى حاجة إليك .

بريك : لا أستطيع أن أشهد ما يدور هنالك .

الوالدة : ما الذى يحدث هنا ؟ تبدون جميعاً واجمين ... تجلسون وكأنكم تنتظرون انفجار قنبلة .

جوبر : اننا ننتظر بريك وماجى لنبدأ الحديث.

مارجريت : (تذهب لتقف أمام بريك إلى اليمين منه قليلا) هناك .... هناك خطة خفية يدبرها الأخ جوبر وزوجته مى ... فإذا لم تدلف إلى الداخل لمساعدة الوالدة فهل تعرف ما سوف أفعله ؟

الوالدة : حديث ... همس !... همس !.
(تنظر للخارج عند مقدمة المسرح من جهة اليمين) .
... بريك

مارجريت : (تجيب الوالدة) انى قادمة يا أماه .
(مخاطبة بريك) سألقى بكل زجاجات الخمر من الرف إلى النهر .

الوالدة : لم أعتد هذا الجو هنا من قبل .

مى : (تجلس أمام الوالدة) قبل ماذا يا أماه ؟

الوالدة : قبل هذه المناسبة . ماذا يفعل بريك وماجى هناك ؟

جوبر : (يتجه إلى صدر المسرح وينظر إلى الخارج (يبدو أن هناك نقاشا حاداً بينهما .
(بريك يتجه إلى الدرج عند مقدمة المسرح ... ماجى تتحرك ناحية الباب مقدمة اليمين ... القس تو كر

يلحق بالدكتور بو ناحية اليسار) .

الوالدة : (تخرج حبة من صندوق الحبوب المشدود بسلسلة إلى رسغها)
أعطيني شيئا أبلع به هذا القرص ... ان رائحة الصواريخ المحترقة تجعلني أشعر بالغثيان .
(مى تهرع إلى خزانة الخمر لتصب كوباً من الماء... دكتور بو يلحق بها ... ويتجه جوبر إلى القس توكر الواقف فى منتصف الحجرة إلى اليسار) .

بريك : (مخاطبا ماجى) انك قطة متوحشة ... أليس كذلك؟

مارجريت : أنت بالطبع صادق فيما تقول .

الوالدة : افتح باب البهو من فضلك يا جوبر ليتجدد هواء هذه الحجرة الخانقة .
(يتجه جوبر إلى مؤخرة المسرح ولكن مى تعوق طريقه وهى تحمل كوب الماء متجهة إلى صدر الحجرة . جوبر يأخذ طريقه للرجال عند مقدمة المسرح) .

مى : (تحمل الماء إلى الوالدة .. تجلس أمامها) أماه ... أعتقد أنه يحسن أن نغلق هذا الباب حتى ننتهى من حديثنا .

الوالدة : أنا . .
(تشرب الماء ... تبتلع الحبة) .

مى : يجب أن نحرص على ألا يتطرق إلى سمع الوالد شيئاً من هذا النقاش .

الوالدة : (تناول مى الكوب) نقاش أى موضوع ؟ ماجى.. بريك .. لن يقال فى بيت الوالد مالايمكن أن يسمعه اذا أراد .

(تنهض مى ... تذهب إلى خزانة الخمر حيث تضع الكوب ... تلحق بجوبر والرجال إلى جهة اليسار).

بريك : إلى متى ستظلين واقفة ورائى يا ماجى؟

ماجى : إلى الأبد ... لو تطلب الأمر كذلك .

(يتجه بريك الى مؤخرة المسرح ثم إلى باب الشرفة) .

الوالدة : بريك .

(مى تنهض وتنظر إلى مقدمة المسرح ثم تجلس) .

جوبر : لقد تحطم هذا الولد ... لقد انهار.

دكتوربو : فى أيامنا كان لديهم شىء يسمى « وصفة كيلى » لعلاج ملنمنى الخمر .

الوالدة : اسكت ...

الدكتوربو : ولكنهم – على ما أظن – فى هذه الأيام يتعاطون أقراصاً تقتل رغبتهم فى هذا الشراب .

جوبر : (يستدير إلى الدكتور بو) انها تسمى أقراص « آنى بست » .

الوالدة : بريك ليس بحاجة إلى تعاطى أى شىء .. لقد تحطم الولد بسبب موت سكيبر المسكين ... أنتم تعرفون كيف مات سكيبر المسكين .. لقد أعطوه جرعة كبيرة من محلول الصوديوم فى منزله ثم طلبوا له الأسعاف فأعطوه جرعة كبيرة أخرى فى المستشفى هذا بالإضافة إلى كمية الكحول التى تراكمت فى جسمه الشهر تلو الشهر والتى لم يحتملها قلبه فتوقف عن الدق ... إن الحقن تخيفنى .. إن الحقنة ترعبنى أكثر من السكين..

(كان بريك قد دخل الحجرة ... وقف خلف المقعد الخيزران ... يضع يده على رأس الوالدة ... يتقدم جوبر إلى صدر الحجرة فى مواجهة الوالدة).

الوالدة : أوه ... هاهو بريك ... ابنى العزيز.

(يتجه الدكتور بو إلى خزانة الشراب ليدع كأسا فارغة ... يعبر بريك الحجرة خلف الوالدة إلى خزانة الخمر) .

بريك : خذها يا جوبر .

مى : (تنهض) ماذا ؟

بريك : جوبر يعرف ... خذها يا جوبر.

(تستدير مى إلى جوبر فى صدر الحجرة ... يتجه دكتور بو إلى القس توكر ... مارجريت التى كانت قد تبعت بريك إلى الشرفة تدخل الحجرة الآن وتقف خلف المقعد الخيزران) .

الوالدة : (مخاطبة بريك) ان هذا ليمزق قلبي .

بريك : (عند خزانة الخمر) آسف .. هل يريد أحدكم كأسا ؟

مارجريت : بريك .. اجلس إلى الوالدة وامسك بيدها بينما تتحدث

بريك : قومى أنت بذلك ياماجى...انى قعيد مضطرب ولابد أن أمشى على عكازتى .

(مى تجلس أمام الوالدة .. جوبر يتحرك للأمام ثم للخلف ثم يجلس على أريكة فى مواجهة الوالدة .. القس توكر يقف فى صدر الحجرة إلى جهة اليمين.. الدكتور بو يتقدم إلى حافة المسرح ينظر فى الفضاء وهو يدخن سيجارة...مارجريت تستدير إلى الباب على اليمين) .

الوالدة : لم تلتفون من حولى هكذا ؟ لم تحملقون فى وتتغامزون؟

(بريك يقفز خارج باب البهو ويتجه إلى الشرفة)

لا أريد أن يمسك بيدى أحد ... هل أصابتكم جنة ؟

منذ متى احتجت أنا والوالد لأى فرد ... ؟

(القس توكر يتحرك خلف المقعد الخيزران .

مى : اهدئى من روعك يا أماه .

الوالدة : اهدئى انت .. اهدئى انت ... كيف أهدأ وكلكم تحملقون فى وكأن قطرات من الدم قد تفصدت على وجهى ؟
ما سبب كل هذا ... ما السبب ؟

جوبر : دكتور بو .
(تنهض مى) .
اجلسى يا مى .
(تجلس مى) .
الوالدة تريد أن تعرف الحقيقة الكاملة عن هذا التقرير الذى حصلنا عليه من مستشفى ادكرتر اليوم .
(الدكتور بو يزرر معطفه ... ويواجه المجموعة فى صدر الحجرة) .

الوالدة : هل هناك شىء .... شىء لا أعرفه ؟

دكتور بو : نعم ... حسناً .

الوالدة : (تنهض) أريد أن أعرف كل شىء .
(تتجه إلى دكتور بو) .
لابد أن أحداً يكذب ... أريد أن أعرف .
(يلتف مى وجوبر والقس توكر حول الوالدة) .

مى : اجلسى يا أماه ... اجلسى على هذه الأريكة .

(بريك يتجاوز مارجريت إلى الشرفة) .

مارجريت : بريك .. بريك ..

الوالدة : ماذا ... ماذا هناك ؟

(تدفع الوالدة الدكتور بو قليلا إلى اليسار ... يبتعد الآخرون .. محيطين بالوالدة) .

الدكتوربو : لم أشهد فى حياتى فحصاً دقيقاً كذلك الفحص الذى أجرى للوالد بوليت فى مستشفى اوكزنر .

جوبر : إنها من أحسن المستشفيات فى البلاد .

مى : انها أحسن مستشفى فى البلاد ... بلا استثناء .

دكتوربو : بالطبع كانوا متأكدين كل التأكد حتى قبل أن يبدأوا ..

الوالدة : متأكدين من ماذا ؟ متأكدين من ماذا ؟ من ماذا ؟

مى : أماه كونى شجاعة .

بريك : (فى الشرفة .. يصم أذنيه ويغنى) فى ضوء ... فى ضوء القمر الفضى !

جوبر : (يقفز الى اليمين ويصيح ببريك) اخرس يا بريك .

(يرجع الى المجموعة فى وسط الحجرة) .

بريك : آسف .

(يستمر فى الغناء)

دكتوربو : لقد قطعوا قطعة من الورم يا سيلفى ... عينة من الأنسجة . ـــ وـــ

الوالدة : ورم ؟ هل أفضيتم بذلك للوالد ؟

دكتوربو : انتظرى ... مهلا .

الوالدة : لقد قلت لى والوالد ... أنه ليس ثمة شىء به . ولكن .

مى : أماه .. هم دائماً ...

جوير : اتركى الدكتور بو يتكلم ... هلا فعلت ذلك ؟

الوالدة : تقلص بسيط فى ... ...

القس توكر : (أثناء كل ذلك) ش .. ش .. ش .

(الوالدة تهرع إلى مؤخرة المسرح .. الكل يتبعها) .

الدكتوربو : نعم هذا هوما قلناه للوالد ... ولكننا أجرينا التحاليل على هذه العينة فى المعمل وانى لآسف أن أخبرك أن النتيجة جاءت ايجابية ... أنه مرض خبيث ..

(سكون) .

الوالدة : سرطان .. سرطان ..

مى : اهدئى ... اهدئى يا أماه .

جوير : (فى نفس الوقت) كان علينا أن نخبرك يا أماه

الوالدة : لم لم يستأصلوه ... ؟ لماذا ؟

دكتوربو : لقد استشرى المرض فى جميع أجزاء الجسم .

مى : أماه ... لقد تأثرت الكبد وكذلك الكليتين ... لقد جاوز الأمر .

جوبر : جراحة ..

(الوالدة تشهق) .

القس توكر : اس ... اش ...

دكتوربو : نعم لم يعد للجراحة أية جدوى الآن .

مى : وهذا هو سبب شحوب لونه .

(بريك يتوقف عن الغناء ... يتريض فى الشرفة (.

الوالدة : (تدفع مى إلى مقدمة المسرح) ابتعدى عنى ...ابتعدى عنى يا مى.

(تبتعد الوالدة إلى نهاية الحجرة) .

أريد بريك ... أين بريك ... أين ابنى الوحيد ؟

مى : (تخطو خطوة خلف الوالدة) أماه .. هل قالت » ابنى الوحيد « ؟

جوبر : (يتبع الوالدة) ماذا أكون اذن ؟

مى : (أمام جوبر) رجل رزين هادئ وأب لخمسة أولاد بل ستة .

الوالدة : أريد بريك .. بريك .. بريك ..

مارجريت : (تخطو خطوة تجاه الوالدة الجالسة على الأريكة) أماه دعينى أخبرك .

الوالدة : (تبعدها عنها (لا .. لا ... اتركيني فلست من دمي.
(تندفع الى الشرفة) .
جوبر : (يتجه إلى الوالدة فى الشرفة (أماه ., أنا ابنك ..
اسمعيني .
مى : جوبر ابنك ... يا أماه ... ابنك البكر.. .
الوالدة : جوبر لم يحب والده أبداً .
مى : ليس هذا صحيحاً ..
القس توكر : (من الجزء الارخمن صدر المسرح (أعتقد أنه يجب
على أن انسحب الآن ... طابت ليلتكم ... طابت
ليلتكم جميعا .. وليبارك الله أهل هذا المنزل جميعاً..
(ينسحب عبر اليهو) .
دكتوربو : (يتجه إلى مى من الباب عندمقدمة المسرح (حسنا...
يا سيدتى ..
الوالدة : (تستند إلى جوبر ... فى أسفل الشرفة (أنها غلطة
إنها حلم مزعج .
دكتوربو : سنعمل على أن نوفر للوالد كل راحة ممكنة .
الوالدة : نعم إنه حلم مزعج ... هذا كل ما هناك ... انه
حلم مخيف..
جوبر : أعتقد أن الوالد يقاسى بعض الآلام ولكنه يأبى أن
يصرح بذلك .

الوالدة : نعم مجرد حلم ... حلم مزعج .

دكتوربو : هذا ما يفعله معظم الناس... انهم يظنون أنهم يكتمانهم هذه الآلام يهربون من حقيقة وجودها ...
(بريك يعرج فى الشرفة ... بينما ترقبه مارجريت من الباب) .

جوبر : نعم انهم يخدعون أنفسهم ... أنهم يمكرون .

مى : (تتجه إلى يمين الدكتور بو) . أعتقد أنا وجوبر...

جوبر : اسكتى يا مى ... أماه ... أعتقد أنه حان وقت معالجة الوالد بالمورفين .

الوالدة : (تخلص نفسها من جوبر) لن يعطى أحدكم مورفينا للوالد .

دكتوبو : عندما تشتد وطأة المرض سيكون من الصعب على الوالد تحمله بدون حقنة المورفين .

الأم : (مخاطبة دكتور بو) لن يعطى أحدكم مورفينا للوالد.

مى : أماه .. انك لاتريدين مشاهدة الوالد وهو يقاسي أنت تعرفين ...

دكتوربو : (متجهاً لخزانة الخمر) حسناً سأترك هذه الأشياء هنا (يضع لفة المورفين على خزانة الشراب) حتى إذا ما حدثت أزمة مفاجئة لن يضطر أحدكم للخروج بحثاً عنها . —

(تسرع الوالدة متجهة إلى خزانة الخمر)

مى : (تتجه إلى صدر الحجرة خلف الدكتوربو) انى أجيد إعطاء الحقن .

الوالدة : لن يعطى أحدكم مورفيناً للوالد .

جوبر : (متجهاً إلى وسط الحجرة) لقد درست مى التمريض أثناء الحرب .

مارجريت : لا أظن الوالد يسمح لى باعطائه الحقن .

مى : (مخاطبة مارجريت) تظنين أنه يريدك أن تعطيه انت الحقن ؟

دكتوبو : حسناً .

جوبر : حسناً دكتور بو ... راحل .

دكتوربو : لابد أن أذهب الآ ن ... أرجو أن تتشجعي ياسيدتى .
(يخرج إلى البهو) .

جوبر : (بينما يتتبع هو ومى الدكتور بو إلى البهو) ستتشجع بالطبع ...أليس كذلك يا أماه ؟
(يخرجان من جهة اليسار) .
حسنا يا دكتور ... نحن مقدرون كل ماقمت به ... أود أن تعرف أننا شاكرون ...

الوالدة : مارجريت ...
(تخرج متجهة إلى صدر المسرح) .

مارجريت : (تتقابل مع الوالدة أمام المقعد الخيزران) ها أنذا يا أماه .

الوالدة : عليك أن تتعاونى يا مارجريت مع الوالد ومعى على تقويم بريك .

جوبر : (يعود هو ومى – بعيداً من جهة اليسار) أعتقد أن هناك ما يشغل فكر الدكتور ... ولكن لن يغيره شيئاً لو كان أكثر رحمة .

الوالدة : لأن قلب الوالد سينفطر حزناً إذا لم يستجمع قواه ويمسك بزمام الأمور هنا .

(بريك يتجه إلى يمين الشرفة) .

مى : (تسترق السمع فى مؤخرة صدر الحجرة) يمسك زمام أية أمور يا أماه ؟

الوالدة : (تجلس فى الكرسى الخيزران وتقف مارجريت امامها)

أمر هذا المكان ؟

جوبر : (من مؤخرة المسرح) أماه لقد صدمت .

مى : (تتجه مع جوبر ناحية الأم) نعم لقد صدمنا جميعاً ... ولكن ..

جوبر : دعونا نكون واقعيين ...

مى : لن يبلغ الغباء بالوالد ذلك الحد الذى يجعله ...

جوبر : يضيع هذا المكان أمانة بين أيد لاتكترث بالمسئولية...

الوالدة : الوالد لن يضع هذا المكان فى يد أحد منكم ... الوالد لن يموت ... وددت لو عرفتم هذا جميعا ...

(مى تجلس أمام الوالدة ... تستدير مارجريت إلى اليمين ناحية الباب ... يتحرك جوبر قليلا ناحية اليسار) .

مى : أماه ... أماه ... أماه ... اننا متفائلون ... ولدينا من الأمل قدر ما عندك ... وكلنا آمل فى أن تستجيب السماء لدعائنا ولكن هناك من الأمور ما تجب مناقشته وإلا ...

جوبر : مى ... أرجو أن تحضرى لى حافظة أوراقى من حجرتنا .

مى : سمعاً ... يا حبيبى ...

(تنهض وتخرج من باب البهو إلى اليسار) .

مارجريت : (تتجه إلى بريك فى الشرفة) هل تسمع ما يدور بالداخل ؟

(ثم تهرول عائدة إلى باب الشرفة إلى اليمين) .

جوبر : (يقف أمام الوالدة وينحنى فوقها) أماه ... إن ما قلته الآن لم يكن كل الحقيقة وأنت تعرفين ذلك... لقد أحببت والدى دائماً بطريقتى الخاصة ... لم

أستعرض حبي له ... وأعرف أيضاً أن والدى كان مغرما بى ... بطريقة هادئة ...

(مارجريت تربض فى الشرفة ... تعود مى وتتجه إلى اليسار حيث جوبر وتقدم له حافظة الأوراق).

مى : ها هى ذى حافظة أوراقك يا جوبر ... ياحبيبى... (تناوله الحافظة) .

جوبر : (يعيد الحافظة إلى مى) شكراً ... بالطبع علاقتى بالوالد تختلف عن علاقة بريك به .

مى : إنك تكبر بريك بعشر سنوات ولطالما كان لزاما عليك أن تحمل قدراً من المسئولية يفوق ماكان يحمله بريك ... الذى لم يحمل فى حياته شيئاً سوى الكرة والكأس .

جوبر : مى من فضلك دعينا نتكلم .

مى : سمعاً ... يا حبيبى ..

جوبر : ان مزرعة مساحتها ثمان وعشرون الف فدان لشىء ضخم تصعب إدارته .

مى : وتكاد تكون وحدك بلامعين .

الوالدة : لم تكلف يوما بإدارة هذا المكان ... ما هذا الهراء الذى تقوله ؟ . وكأن الوالد قد مات ودفن وكلفت بأن تديره ؟ أنك لم تفعل أكثر من أنك ساعدته فى

بعض المسائل الثانوية وكنت تزاول تدريبك لمهنة المحاماة فى نفس الوقت بممفيس

مى : آه يا أماه ... فلنكن عادلين ... إن جوبر وهب نفسه جسداً وروحاً للحفاظ على هذا المكان طوال خمس السنوات الماضية منذ بدأت صحة الوالد تتدهور ... ان جوبر لم يعلن عن ذلك ولم يعتبر ذلك عبئاً عليه وإنما قام بهذا العمل راضياً ... وما الذى فعله بريك ؟ لقد ظل يعيش فى مجده القديم بالجامعة ... ومازال يمارس لعب الكرة وهو فى سن السابعة والعشرين .

مارجريت : (تندفع من الباب الخارجى) عمن تتحدثين الآن ؟ عن بريك ؟لاعب الكرة ؟ أنه ليس بلاعب كرة وأنت تعرفين ذلك ...بريك معلق رياضى بالتليفزيون. ومن أشهرهم فى هذه البلاد .

مى : (تندفع الى داخل الحجرة) إننى أتحدث عن ماضيه .

مارجريت : (أمام باب الغرفة) أود لوتكفى عن الحديث عن زوجى.

جوبر : (يقف أمام مارجريت) ان من حق التحدث عن أخى مع بقية أفراد الأسرة ولست واحدة منها .
(يدفع بأصبعه اليها فتصفعه بعيدا) .
لم لاتخرجين ونشاركين بريك الشراب .

مارجريت : لم أر فى حياتى مثل هذا الحقد من أخ تجاه أخيه .

جوبر : وما رأيك فى حقده على ... أنه لايطيق البقاء معى فى حجرة واحدة .

بريك : (من الشرفة) إنها الحقيقة فعلا .

مارجريت : إنها حملة مدبرة للتشهير بدافع من أحط الأسباب وأحقرهاوانى أعرف هذا السبب ... أنه الشراهة... الشراهة ...الجشع ... الجشع ...

الوالدة : سأصرخ ... سأصرخ فوراً مالم تكفوا عن ذلك . مارجريت ياصغيرتى ... تعالى وإجلسى بجانب والدتك.

مارجريت : (تتجه للوالدة وتجلس أمامها) يا أمى الحبيبة .
(جوبر يذهب إلى خزانة الخمر) .

مى : يا له من عرض رائع مؤثر . للحب والإخلاص... هل تعرفين السبب فى عدم انجابها للآ ن ...؟ لم تنجب لأن زوجها الرياضى الوسيم يرفض أن يقربها ...
(تذهب إلى يسار الفراش وتنظر إلى جوبر) .

جوبر : انك لاتسمحين لى يا أماه أن أعبر لك عن حبى بطريقة لائقة ... حسناً ...
(يتجه إلى الكرسى الخيزران ويقف أمامها) :
لست أعبأ إن كان الوالد يحبنى أولا يحبنى سواء فى فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل ... ولكنى أحتكم

فقط لعدالتكم وحسن تقديركم للأمور ... سقأول لكم الحقيقة .
(يخرج من الباب الخلفى إلى بريك فى الشرفة) .
كان يحز فى نفسى تحيز الوالد لبريك منذ ولادته والطريقة التى عاملنى بها وكأنى لا أصلح إلا ليبصق على وأحيانا لم أكن أصلح حتى لذالك ..
(يتراجع فى الحجرة إلى أن يقف أمام الكرسى الخيزران) .
إن الوالد يوشك أن يموت بالسرطان بعد أن انتشر المرض فى كل جسمه وهاجم أعضاءه الرئيسية كلها بما فى ذلك الكليتين ... والآن يتعرض للتسمم البولى ولعلكم تعرفون التسمم البولى ... إنه تسمم الجهاز كله بسبب عجز الجسم عن طرد السموم .

مارجريت : سموم ... سموم ... أفكار وكلمات مسمومة فى العقول والقلوب تلك هى السموم .

جوبر : انى أطالب بالعدالة وانتظر أن أنالها ... إذا لم يتحقق ذلك وكانت هناك مؤامرات تحاك أمامى أو خلف ظهرى فسأعرف كيف أفيد من عملى كمحام ...
(يتجه إلى باب الشرفة فى ذروة الانفعال)
سأعرف كيف أحمى مصالحى .

(تسمع زمجرة رعد على بعد) .

بريك : (يدخل الحجرة من الباب القريب من مقدمة المسرح)
العاصفة على وشك أن تهب .

جوبر : ولكنها تهب متأخرة .

مى : (تتجه عبر الحجرة إلى خزانة الشراب على اليسار)
ها هو البطل الفاتح قد قدم أخيراً ...

جوبر : (يتجه إلى خزانة الشراب ماراً ببريك مقلداً إياه في عرجه).
بريك بوليت الشخصية الأسطورية ... أتذكرونه ؟
ولكن من يستطيع أن ينساه ؟

مى : يبدو وكأنه أصيب أثناء اللعب .

جوبر : أخشى انك لن تستطيع اللعب هذا العام يا بريك في مباراة الكأس ...
(زمجرة أخرى للرعد ... صوت رياح تتجمع) .

مى : (تتجه إلى يسار بريك الذى وقف أمام خزانة الشراب) .
لم يعد يهمه سوى كأس الخمر يا حبيبى .

جوبر : هذا صحيح ... لقد أصبحت أخلط بين مختلف الكئوس .
(يربت على كتف بريك) .

مارجريت : (تندفع إلى جوبر وتضربه) كفى ... أرجو أن تتوقف عن ذلك .

(زمجرة رعد ... مى تبتعد عن جوبر وتندفع نحو مارجريت لتضربها .. جوبر يبعد المرأتين .. لاسى تجرى فى الحديقة وهى ترتدى معطف مطر) .

ديزى وسوكى : (من الجزء الشمالى) عاصفة ! . عاصفة تهب ! عاصفة ! .. عاصفة ! ..

لاسى : (تجرى فى مؤخرة المسرح) بربتى اغلقوا النوافذ .

جوبر : (يتجه إلى الشرفة وينادى على لاسى) لاسى أرجو أن تنشرى غطاء عربتى الكاديلاك .

لاسى : (من اليمين) حسناً يا سيد بوليت .

جوبر : (يقف أمام الوالده) أماه : تعرفين إنه يتحتم على العودة إلى ممفيس لأمثل دائرة باركر فى قضية .

(تجلس مى على السرير وترتب الأوراق التى أخرجتها من الحافظة) .

الوالدة : هل هذا جوبر ؟

مى : نعم .

جوبر : هذا هو السبب فى أن أثير مشكلة ..

مى : مشكلة بلغت من الأهمية درجة لا يحتمل معها تأجيل ..

جوبر : لو أن بريك لم يكن ثملا ... لأشترك معنا فيها ..

أعتقد أنه يجب أن يحضر عرض المشكلة .

مارجريت : (فى حده) بريك موجود هنا ... كلنا موجودين .

جوبر : حسناً ... سأطلعكم الآن على موجز مشروع الوصاية الذى أعددته بالاشتراك مع توم بوليت ...

مارجريت : آه ... هذا بيت القصيد ... ستكون أنت الوصى وتمنح الهبات ... أليس كذلك ؟

جوبر : لقد أعددنا هذا المشروع حين وصل الينا التقرير عن الوالد من مستشفى ادكزنر .. لقد أعددنا هذا المشروع بمشورة س.س بيللوز رئيس مجلس إدارة بنك الائتمان ومزارعى الجنوب فى ممفيس ... وهو رجل يشرف على دوائر كل العائلات الكبيرة فى غرب تنيسى والدلتا ...

الوالدة : جوبر

جوبر : (يقف خلف الوالدة) هذا المشروع ليس فى صورته النهائية أو ما يقرب من ذلك ... ما هو إلا مشروع تمهيدى ولكنه يصلح أساسا لخطة محكمة وعمليه (يلوح بأوراق كانت مى قد دفعت بها اليه)

مارجريت : (تتجه إلى اليسار) نعم ... هى كذلك بكل تأكيد (هزيع رعد ... يخفت الضوء الداخلى)

مى إنها خطة لحماية اكبر مزرعة فى الدلتا من الاستهتار

والدة : والآن انصتوا جميعا إلى ... انصتوا ... لن أسمح بمناوشات فى بيتى بعد الآن ... وأنت يا جوبر خذ مشروعك هذا وانصرف قبل أن انتزعه منك وأمزقه لا أعرف ما به ... ولا أريد أن أعرف ... وإنى أتكلم الآن بلسان الولد ... فانى زوجته ولست أرملته ... مازلت زوجته ... وأتكلم بلسانه ...

جوبر : أماه إن مامى هنا ...

مى : لقد أوضح لك جوبر أنه مجرد مشروع

الوالدة : لا يهمنى مابه ... أعده إلى حيث أتيت به ولا تظهره أما مى مرة أخرى ولا حتى مجرد الغلاف الخارجى .. أفهمت ؟ أساس تمهيدى ... خطة ... إن رأيى فيه .. ماذا يقول الوالد عندما .. يشمئز من شىء ما ؟

(تتجمع سحب العاصفة فى السماء)

بريك : (من البار) يقول الوالد : «قذارة» عندما يشمئز من شىء ما

الوالدة : (تنهض) هذا صحيح .. «قذارة» وأنا أقول لك ايضا قذارة كما يقول والدك .

(هزيم الرعد يشتد)

مي : إن اللغة الجافة لا مبرر لها فى هذا ....

جوبر : إن حديثك بهذه الطريقة يستفزنى

الوالدة : لن يأخذ أحدكم أي شيء ... إلى أن يمضي الوالد وربما لن يأخذ أحدكم شيئا حتى لو حدث ذلك ... حتى لو مضى ...

(هزيع رعد يتهشم الزجاج على أثره جهة اليسار) فى الجهة اليمنى ينشبح الأطفال بالبكاء ... أصوات رياح عاصفة يمينا ويسارا ... ترتجف الماشية فى حظائرها .. يتساقط الورق .. يهتز خصاص النوافذ .. تجرى سوكى وديزى فى الحديقة من اليمين إلى اليسار ... ديزى تضرب وسادتين من الجلد إحداهما بالأخرى بلا سبب ظاهر ... وتصيحان العاصفة ... العاصفة ... سوكى تلوح بورقة لتغطية أثاث الحديقة .. تخرج مى إلى البهو ومنه إلى الحديقة ... هناك رجل يجرى فى الحديقة من اليمين إلى اليسار)

(هزيع الرعد يسمع بلا انقطاع)

مى : سوكى أسرعى بتغطية الأثاث ... أم انك تريدين أن يختفى الطلاء ؟

(تندفع إلى الشرفة يجرى جوبر من البهو إلى الشرفة)

جوبر : (يصيح فيه لاسى التى تظهر من جهة اليمين) لاسى خذى عربتى بعيدا عن المطر ...

لاسى : لا يمكننى هذا يا مستر يوليت .. فمعك المفاتيح
(يخرج)

جوبر : إنهم معك يا رجل
(يخرج من يمين مقدمة المسرح ويظهر الى يمين المؤخرة)
اين مفاتيح السيارة يا مى
(يتجه إلى صدر الحجرة)

مى : (من مقدمة الشرفة) إنهم فى جيبك
(تخرج من جهة اليمين)
(جوبر يخرج من مؤخرة المسرح ...
كلب يعوى ...
ديزى وسوكى ينشجان بالبكاء ... مى تهدىء الأطفال تهدأ العاصفة
أثناء ذلك تذهب مارجريت إلى الأريكة وتستلقى عليها ...تتجه الوالدة إلى صدر مقدمة المسرح)

الوالدة : بريك ! تعال هنا يا بريك أنا فى حاجة اليك
(يسمع هزيع الرعد عن بعد ... الأطفال ينشجون بالبكاء ... مى تهدىء من روعتهم ... بريك يتجه إلى يمين الوالدة)

الوالدة : بريك يبدو الليلة كما كان صبيا ... تماما كما كان

وهو يلعب لعبة العنيف ... كان من عادته أن يعود
إلى المنزل بعد أن يبح صوتى من كثرة النداء عليه
يعود غارقا فى عرقه متورد الوجنتين يغالبه النعاس ...
وخصلات شعره تلمع
(يسمع هزيع الرعد عن بعد ... الأطفال ينشجون
بالبكاء بينما تحاول مى تهدئتهم ... يسمع عواء
كلب عن بعد)
الوقت يمر بسرعة .. لا شيء يسبق الزمن تعرفون
انه يتحتم ان نحب بعضنا بعضا وان نبقى متكاتفين
ما امكن ... وخصوصا بعد ماجاء هذا الشيء القاتم
وحل بهذا البيت دون ما توقع ...
(يسمع عواء كلب من على بعد ...)
آه يا بريك .. يا ابن ابيك العزيز ... كم يحبك
ابوك! ... أتعرف اجمل حلم يتمنى لو تحقق ؟ ..
انه يتمنى قبل موته قبل موت الوالد ...
(عواء الكلب بعيدا .. بعيدا)
يتمنى لو تنجب له صغيرا يشبه أباه كما تشبه أنت
أباك ..

مارجريت : اعرف ان هذا حلم الوالد
الوالدة : نعم هذا هو حلمه ..

الوالد : (فى الشرفة من جهة اليمين) يبدو أن الرياح كانت تستبيح حرمات هذا البيت ..
(تظهر لاسى فى مؤخرة الحجرة إلى اليسار .. تتجه إلى صدر نهاية الحديقة بينما يظهر بريتى يهرول فى آخر الحجرة من اليمين ، يتجه الوالد إلى مؤخرة الشرفة)

لاسى : طاب مساؤك يا مستر بوليت

بريتى وسمول : طاب مساؤك يا كابتن ... هالو كابتن

مارجريت : (تتجه نحو الباب إلى اليمين) الوالد هناك فى الشرفة

الوالد : هل عبرت الرياح النهر يا لاسى

لاسى : عبرته فى طريقها إلى ولاية أركانسس يا كابتن
(كانت الوالدة قد اتجهت إلى باب البهو عند سماعها صوت الوالد فى الشرفة والآن تتجه إلى مقدمة المسرح ناحية اليمين ثم تتجه إلى الشرفة عبر الباب الموجود فى مقدمة المسرح)

الوالدة : لا أستطيع البقاء هنا .. سوف يرى الوالد شيئا فى عينى

الوالد : (فى الشرفة للأولاد) هل أتلفت العاصفة شيئا هنا ..؟

بريتى : أطاحت بسقف منزل العمة كرولى

الوالد : كان يجب على العمة كرولى أن تكون جالسة على ذلك السقف ... لقد حان الوقت لأن تقتلع الرياح هذه العانس
(يضحك الفلاحون ويخرجون .. يدخل الوالد الحجرة من باب البهو)
هل أستطيع الدخول ؟
(يضع سيجاره فى منفضة السجائر الموجودة على خزانة الشراب ، مى وكوبر يسرعان إلى مؤخرة الشرفة ويقفان خلف الوالد الواقف فى باب البهو)
مارجريت : هل أيقظتك العاصفة يا والدى ؟
الوالد : أى عاصفة ... أهى العاصفة التى كانت تهب فى الخارج أم هى تلك الضجة بالداخل ؟
(يدخل جوبر من الباب مزاحماً الوالد)
جوبر : (يتجه نحو السرير حيث تبعثرت المستندات القانونية)
اسمع لى يا سيدى .
(تحاول مى أن تزاحم لتدخل كما فعل جوبر من جانب الوالد ولكن الوالد يضع يده حولها ويمسكها بقوة)
الوالد : سمعت نقاشا حادا ... يبدو أن شيئا هاما كان مطروحا على بساط البحث ... علام كانت الضجة ؟

مى : (مضطربة) ماذا ... لا شىء يا والدى

الوالد : (يتجه إلى مقدمة الحجرة جهة اليسار مصطحبا معه مى)

ما هذا الظرف المنتفخ الذى تضعه فى حافظة أوراقك يا جوبر ؟

جوبر : (عند نهاية السرير يضبط متلبسا بحشو مظروفه بالأوراق) هذا ؟ لا شىء ... لا شىء على الإطلاق

الوالد : لا شىء ؟ يبدو أن الأمر كله تافها .

(يستدير ليواجه المجموعة الموجودة فى مؤخرة الحجرة)

تعرفون جميعا قصة الزوجين الشابين .

جوبر : نعم يا سيدى

الوالد : أهلا بريك .

بريك : أهلا يا والدى

(تتجمع المجموعة فى نصف دائرة أمام الوالد .. مارجريت تجلس فى أقصى اليمين تليها مى ثم جوبر ثم الوالدة وبريك تجاه اليسار)

الوالد : اصطحبا صغيرهما إلى حديقة الحيوان يوم أحد وجعلوا يتأملون كل مخلوقات الله داخل اقفاصها بعين الرضا

جوبر : رضا ..؟

الوالد : (يتصدر مؤخرة المسرح ووجهه للمتفرجين) ... كان ذلك وقت الأصيل وكان الربيع يشيع فى الجو دفئا ومرحا ... وكان ذلك الفيل العجوز القابع فى قفصه يفكر فى شىء آخر وهو ... حبات الفول السودانى ... هل تعرف هذه القصة يا بريك ؟

(جوبر يومىء برأسه)

بريك : لا يا سيدى ... لا أعرفها .

الوالد : ... وكان فى القفص المجاور أنثى فيل هائجة ..

الوالدة : (بجانبه) : آه أيها الوالد

الوالد : ماذا هناك ؟ ذهب القسيس ؛ أليس كذلك ؟ كانت هذه الأنثى تملأ الجو حولها برائحة نفاذة مثيرة هى رائحة خصوبتها ... أليست هذه طريقة مهذبة للتعبير عما أقصد . يا بريك ؟

بريك : نعم يا سيدى لا غبار عليها .

الوالد : بريك يقول لا غبار عليها

الوالدة : آوه ... أيها الوالد .

الوالد : (يتصدر مقدمة المسرح) .... كان الفيل العجوز ما يزال به رمق من شهوة الجنس .. فألقى بخرطومه إلى الوراء واستنشق رائحة الأنثى فى القفص المجاور ثم بدأ يهبش الأرض القذرة بخفيه ... ثم دفع برأسه

إلى الحاجز الذى كان يفصل كلا منهما عن الآخر ..
وأول شىء كما تعرفون هو أن وجهه اعتراه
تغيير واضح .. واضح جدا ... ألست أقص
القصة بلغة مهذبة يا بريك ؟

بريك : نعم يا سيدى ... مهذبة أكثر من اللازم .

الوالد : عندئذ أشار صغيرهما إلى أنثى الفيل وقال
« ما هذه » فأجابت الوالدة « لا شىء »
وأجابه الوالد « عديمة الحياء »

(يغنى عمال الزراعة من جهة اليمين ويسمع صوت
سوكى وهو يغنى « لا أستطيع البقاء هنا بمفردى » —
تستمر حتى المنظر التالى ، يتجه الوالد إلى بريك جهة
اليسار)

الوالد : لماذا لم تضحك لهذه القصة يا بريك ؟

(تتجه الوالدة إلى صدر الحجرة فى المقدمة .. تذهب
مارجريت اليها بينما تذهب مى وجوبر إلى نهاية الحجرة)

بريك : لا يا سيدى لم أضحك لهذه القصة .

(فى الشرفة السفلى ... تنتحب الوالدة .. ينظر
الوالد اليها)

الوالد : ماذا دهى هذه المرأة الطويلة النحيلة المحلاة بالماس ؟
هاى ... ما اسمك ... ماذا دهاك ؟

مارجريت : (تتجه إلى الوالد) لقد انتابتها نوبة دوار بسيطة يا والدى .

الوالد : (يتجه إلى اليسار) يجب أن تحذرى ذلك يا أماه ... فالنوبة شيء يصعب تحمله .

مارجريت : (تتجه إلى الوالد فى صدر الحجرة) آه يا بريك إن الوالد يرتدى هدية عيد ميلادك ... إنه يرتدى الرداء الكشمير الذى أهديته له ... إنه من أنعم قماش تحسسته أصابعى حتى الآن

الوالد : نعم هذا هو أرق أعياد ميلادى يا ماجى إنه ليس عيد ميلادى الذهبى ولا هو الفضى ... إنه عيد ميلادى الرقيق ... كل شيء يجب أن يكون رقيقا للوالد فى عيد ميلاده الرقيق

(ماجى تركع أمام الوالد فى صدر الحجرة بينما يتحدث جوبر ومى .... تتجه الوالدة إلى مؤخرة المسرح جهة اليمين وتسكتهم بإشارة من يديها)

جوبر : ماجى : إنى أكره أن التى بمثل هذه الملاحظة .. الا أن هناك شيئا غير خلقى فيما يتعلق ...

مى : مثل مناورة مباراة كرة القدم .

مارجريت : الوالد ينتعل الخف الذى أهديته إياه يا بريك .. بتاه .. لم أقدم لك هديتى الكبرى بعد .. ولكنى

سوف أفعل الآن .... حان وقت تبليغك الخبر ...
سوف أذيع خبرا

جوبر : خبرا رياضيا يا ماجى ؟

مارجريت : خبر مولد حياة جديدة ... سيولد لماجى القطة وزوجها بريك طفل ... إنى أحمل بين أحشائى طفل بريك ، هذه هى هديتى للوالد فى عيد ميلاده .
(الوالد ينظر إلى بريك الذى يعرج إلى مقدمة المسرح خلفه)

الوالد : انهضى يا بنيتى ... انهضى
(يساعد الوالد مارجريت على النهوض ... يقف أمامها إلى اليمين ... يقضم نهاية سيجار جديد أخرجه من جيب رداء الحمام .. بينما يتفحص مارجريت)
أوه ... هذه الفتاة ينبض جسدها بالحياة ... وليس فى هذا اى افتراء

الوالدة : لقد تحقق حلم الوالد

بريك : يا إلهى

الوالد : (خلف مقعد الخيزران) جوبر .. أريد محامىّ فى الصباح

بريك : إلى أين أنت ذاهب يا والدى ؟

الأب : يا بنى .. إنى ذاهب إلى حديقة السطح لألقى نظرة أخيرة على مملكتى قبل ان أعتزل حكمها ... ثمان وعشرين الف فدان من أجود الأراضى على هذا الجانب من وادى الميسيسبى ...

(يخرج من الباب جهة اليمين ويتجه إلى مقدمة الشرفة)

الوالدة : (وهى تتبعه) يا حبيبى ... يا حبيبى هل أتبعك ؟

(تخرج ... تقف مارجريت فى صدر الحجرة أمام المرآة)

جوبر : (يتجه لخزانه الخمر) بريك .. هل تسمح لى بكأس صغيرة من هذا الخمر ؟

بريك : (فى صدر الحجرة) صب لنفسك كأسا يا عزيزى

مى : (تتقدم نحوه) : بالطبع نحن نعرف أنها أكذوبة

جوبر : (يشرب) : اسكتى يامى

مى : (تتجه إلى جوبر عند خزانة الشراب) لن أسكت ! إنى أعرف أنها اختلقت هذه القصة

جوبر : يا للعنة ... قلت اسكتى ؟

مى : هذه المرأة ليست حاملا ...

جوبر : من قال إنها حامل ؟

مى : هى نفسها

جوبر : لكن الدكتور لم يقل ذلك ... لم يقل ذلك دكتور بو

مارجريت : (تتجه لليمين إلى الاريكه) لم أذهب للدكتور بو

جوبر : (يتجه إلى يسار مارجريت) إذن لمن ذهبت يا ماجى؟
(تنتهى الأغنية خلف الكواليس)

مارجريت : أحد كبار أخصائى أمراض النساء فى الجنوب

جوبر : أوه ...
(تضع قدمها على الأريكة ... تضبط مارجريت)
هل لنا أن نعرف اسم الطبيب ؟

مارجريت : لا ... لا تستطيع يا سيادة ... المدعى العام

مى : (تتجه إلى يمين مارجريت) ليس له اسم على الاطلاق
بل ليس له وجود ..

مى : كيف تحملين من رجل لا يقربك إلا اذا كنت ...
(تدفع بمارجريت إلى الاريكه ،تذهب إلى صدر الحجرة ... يذهب بريك إلى مى فى صدر الحجرة)
إنه يشرب طول الوقت ليتحمل البقاء معك ...
وينام على الاريكه ليتجنب الاتصال بك .

جوبر : (يقف أمام مارجريت التى تستلقى على وجهها على الأريكة) لا تحاولى خداعنا يا مارجريت

مى : (تذهب إلى الفراش ... تبعثر الوسائد) كيف تحملين

من رجل لا يقربك ؟ كيف تحملين ؟ كيف يمكنك ذلك ؟ كيف ؟

جوبر : (بحدة) : مى !

بريك : (يتجه إلى مى – ويمسك بها) مى .. أيتها الأخت كيف عرفت أنى لا أقرب ماجى ؟

مى : نحن نقطن الحجرة المجاورة والحائط لا يمنع تسرب الصوت ...

بريك : أوه ...

مى : كل ليلة نسمع توسلاتها كما أننا نسمع زجرك ونبذك لها ... لهذا لن تخدعانا ... انما تخدعان رجلا يحتضر..

بريك : مى ... ليس كل الناس يثيرون ضجة أثناء معاشرتهم الجنسية .... أعرف أن هناك أشخاصا يتصايحون ولكن هناك أيضا الصامتون

جوبر : (خلف المقعد إلى اليمين) لا جدوى من هذا الحديث بتاتا

بريك : كيف عرفت أننا لسنا عاشقين صامتين ... حتى لو أنك كنت ثقبت ثقبا فى الحائط ... فكيف عرفت أننا لن نتفق ولو مؤقتا أنا وماجى .. عندما يكون جوبر يزاول أعماله فى ممفيس وأنت تلعبين الراكيت مع صديقاتك ملكات القطن السابقات ...

كيف عرفت ذلك ؟

(يتجه إلى الاريكه ويقف أمامها)

مى : بريك .. لم أعرف أنك يمكن أن تنحدر إلى مستواها ... لم أحلم بذلك إطلاقا ...

جوبر : لا أعتقد أن بريك ينحدر إلى مستواها .

بريك : (يجلس إلى يمين مارجريت على الأريكة) ما مستواك؟ أخبريني ما مستواك حتى يمكن أن أرتفع أو أن أنحدر اليه .

(ينهض واقفا)

هل سمعتم ما قاله الوالد ... هذه المرأة ينبض جسدها بالحياة

مى : إنها فرية .

بريك : لا ... إن الحقيقة شيء رهيب وهى تملكها .. إنها فعلا شيء رهيب تلك الحقيقة ... ولكنها تملكها

(يتجه إلى خزانة لشراب)

وددت لو كففتم عن التمثيل كما لو أن بريك بوليت مات ودفن ... وذهبتما إلى ذلك الثقب فى الحائط إنى مخمور ... وأشعر بالنعاس ... أنا لا أنبض بالحياة مثل ملجى ... ولكنى أحيانا ...

(يصب الخمر ويشرب)

جوبر : (يلتقط حافظة أوراقه من على السرير) تعالى يا مى ..
دعينا نترك طائرى الحب فى عشهما
مى : نعم عش القمل والكذابين .
(يخرجان من البهو) .
جوبر : (أمام مارجريت إلى اليمين) سننتظر وستثبت لنا الأيام
(يتجه إلى خزانة الخمر)
نعم يا سيدى وأخى الصغير ... سننتظر لتثبت لنا
الايام كل شىء
(يخرج من البهو)
تدق الساعة الثانية عشر
تتبادل ماجى وبريك نظرة ... يحس برغبة جامحة...
ثم يضع كأسه على البار ... يتغير منظره تدريجيا ...
ثم يتنفس بعمق ... يردد المغنون ... تنفسه ....ثم
يبدءون فى الغناء
أعطنى كأسا من الماء البارد لأنى أموت
تستمر الاغنية حتى نهاية الفصل)
مارجريت : (وهى تسمع تنفس بريك العميق) أهى الغمزة ؟
(ينظر بريك تجاه المغنين بسعادة وإمتنان .. يتجه إلى
الأريكه أمام كرسى الخيزران .. تمسك مارجريت

من يده الوسادة .. وتقف فى مواجهة صدر المسرح وهى تحتضن الوسادة .. ينظر بريك اليها بإعجاب متزايد .. تتحرك بسرعة إلى صدر مؤخرة المسرح وتلقى بالوسادة على السرير .. مارجريت تمسك بالزجاجات الموجودة فى خزانة الشراب .. تذهب إلى البهو .. تلقى بالزجاجات الواحدة تلو الأخرى من فوق الحاجز إلى الحديقة .. تتكسر الزجاجات تدخل مارجريت الحجرة وتقف فى صدر المسرح فى مواجهة بريك)

لقد جف الشراب ولا أحد غيرى يستطيع أن يصحبكم إلى المدينة لإحضار قدر آخر منه

بريك : ستحضر لى لاسى بعض الشراب

مارجريت : لقد أمرت لاسى ألا تفعل ذلك.

بريك : أستطيع أن أقود السيارة

مارجريت : بعد أن فقدت رخصة القيادة ! سأبلغ الشرطة تليفونيا وستوقف بالطريق قبل أن تقطع نصف المسافة إلى محل خمور «روبى لايت فوت» لقد كذبت على الوالد ولكن يمكننا أن نحول هذه الأكذوبة إلى حقيقة . وعندئذ سأحضر لك الشراب وسنشرب سويا – هنا – الليلة – فى نفس المكان

الذى زاره الموت ! ما رأيك ؟ ماذا تقول يا طفلى الصغير ؟

بريك : (يتجه إلى جانب السرير) أنا معجب بك يا ماجى ..

(يجلس بريك على حافة السرير . ينظر إلى الضوء أعلاه ثم ينظر إلى مارجريت . تمد يدها إلى الضوء وتطفئه . ثم تركع بسرعة بجانب بريك أسفل السرير)

مارجريت : آه أيها القوم الضعفاء ذوو الجمال الذين تستسلمون بهذه العذوبة . إن ما تحتاجه هو شخص ما يمسك بك برقة وبحب ويعيد إليك حياتك كشىء من الذهب فرطت فيه — وأنا أستطيع أن أفعل ذلك . بل ومصممه على ذلك .وليس هناك من هو اكثر تصميما من قطة على سطح من الصفيح — هل تجد اكثر منها تصميما يا طفلى الصغير ؟

(تلمس خده برفق)

ستار

